الفصل

في الملل والأهواء والنحل

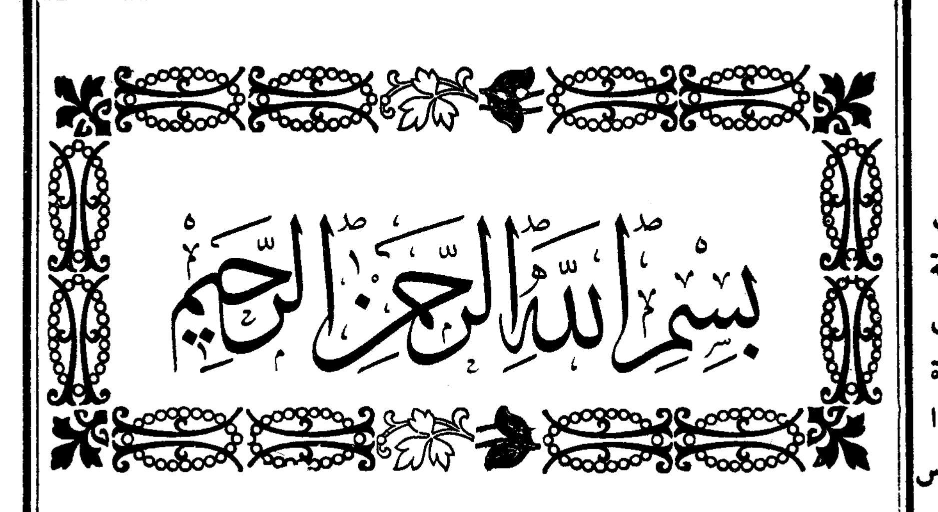
للإمام ابن حزم الظاهري الأندلسي المتوفى ٤٥٦

وبهامشه

الملل والنحل للشهرستاني المتوفى سنه ٥٤٨

الجزء الثالث

مكتبة السلام العالمية
٣٢ ش الفلكى ت ٣١٠٧٣



(الكلام في الرؤية)

(قال ابو محمد) ذهبت المعتزلة وجهم بن صفوان الى ان الله تعالى لا يرى فى الآخرة، وقد روينا هذا القول عن مجاهد وعذره فى ذلك ان الخبر لم يبلغ اليه، وروينا هذا القول ايضا عن الحسن البصرى وعكرمة وقد روى عن عكرمة والحسن ايجاب الرؤية له تعالى، وذهبت المجسمة الى ان الله تعالى يرى فى الدنيا والآخرة، وذهب جمهور اهل السنة والمرجئة وضرار ابن عمرو من المعتزلة الى ان الله تعالى يرى فى الآخرة ولا يري فى الدنيا اصلا، وقال الحسن ابن محمد النجار هو جائز ولم يقطع به

(قال ابو محمد) اما قول المجسمة ففاسد بما تقدم من كلامنا فى هذا الكتاب والحمد لله رب العالمين وعمدة من انكر ان الرؤيا المعهودة عندنا لا تقع الا على الالوان لا على ما عداها البتة، وهذا مبعد عن البارى عز وجل، وقد احتج من انكر الرؤية علينا بهذه الحجة بعينها، وهذا سوء وضع منهم، لاننا لم نقل قط بتجويز هذه الرؤية على البارى عز وجل وانما قلنا انه تعالى يرى فى الآخرة بقوة غير هذه القوة الموضوعة فى العين الآن لكن بقوة موهوبة من الله تعالى وقد سماها بعض القائلين بهذا القول الحاسة السادسة، وبيان ذلك اننا نعلم الله عز وجل بقلوبنا علماً صحيحا، هذا ما لا شك فيه، فيضع الله تعالى فى الابصار قوة تشاهد بها الله وترى بها كالتى وضع فى الدنيا فى القلب، وكالتى وضعها الله عز وجل فى أذن موسى صلى الله عليه وسلم حتى شاهد الله وسمعه مكلما له، واحتجت المعتزلة بقول الله عز وجل لا تدركه الابصار

(قال ابو محمد) هذا لا حجة لهم فيه، لان الله تعالى انما نفى الادراك والادراك عندنا فى اللغة معنى زائد على النظر والرؤية، وهو معنى الاحاطة وليس هذا المعنى فى النظر والرؤية فالادراك منفى عن الله تعالى على كل حال فى الدنيا والآخرة، برهان ذلك قول الله عز وجل فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا ان معى ربى سيهدين * ففرق الله عز وجل بين الادراك والرؤية فرقا جليا، لانه تعالى اثبت الرؤية بقوله فلما تراءى الجمعان واخبر تعالى انه رأى بعضهم بعضا فصحت منهم الرؤيا لبنى اسرائيل ونفى الله الادراك بقول موسي عليه السلام لهم كلا ان معى ربى سيهدين. فاخبر الله تعالى انه رأى اصحاب

فرعون

ربهاحق يماين الجزئيات كلها فيستخلص من الشبكة فيتصل بكلياتها وتستقر فى عالمها مسرورة محبورة ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور رأى (فيثاغورس ابن منسارخس) من أهل ساميا وكان فى زمن سليمان عليه السلام قد أخذ الحكمة من معدن النبوة وهو الحكيم الفاضل ذو الرأى المتين والعقل الرصين يدعى أنه شاهد العوالم بحسه وحدسه وبلغ فى الرياضة الى أن سمع خفيف الفلك ووصل الى مقام الملك وقال سمعت شيئا قط الزمن حركاتها ولا رأيت شيئاً ابهى من صورها وهيآتها وقوله فى الالهيات أن البارى سبحانه وتعالى واحد كالآحاد ولا يدخل في العدد ولا يدرك من جهة العقل ولا من جهة النفس فلا الفكر العقلى يدركه ولا

فرعون بنى اسرائيل ولم يدركوم، ولا شك فى ان ما نفاه الله تعالى عز وجل فهو غير الذى اثبته، فالادراك غير الرؤية، والحجة لقولنا هو قول الله تعالى * وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة * واعترض بعض المعتزلة وهو ابو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائى فقال ان الى هاهنا ليست حرف جر لكنها اسم وهى واحدة الآلاء وهى النعم فهى فى موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة

(قال ابو محمد) وهذا بعيد لوجهين، احدهما ان الله تعالى اخبر ان تلك الوجوه قد حصلت لها النضرة وهى النعمة والنعمة نعمة، فاذا حصلت لها النعمة فبعيد ان ينتظر ما قد حصل لها وانما ينتظر مالم يقع بعد، والثانى تواتر الاخبار عن النبي صلى الله عليه وسلم ببيان ان المراد بالنظر هو الرؤية لا ما تاوله المتاولون وقال بعضهم ان معناها الى ثواب ربها ناظرة اى منتظرة

(قال ابو محمد) هذا فاسد جدا لانه لا يقال فى اللغة نظرت الى فلان بمعنى انتظرته

(قال ابو محمد) وحمل الكلام على ظاهره الذى وضع له فى اللغة فرض لا يجوز تعديه الا بنص او اجماع، لان من فعل غير ذلك افسد الحقائق كلها والشرائع كلها والمعقول كله، فان قال قائل ان حمل اللفظ علي المعهود اولى من حمله علي غير المعهود قيل له الاولى فى ذلك حمل الامور على معهودها فى اللغة مالم يمنع من ذلك نص او اجماع اوضرورة، لم يات نص ولا اجماع ولا ضرورة تمنع ماذكرنا فى معنى النظر، وقد وافقتنا المعتزلة علي انه لا عالم عندنا الا بضمير وانه لا فعال الا بمعاناة، ولا رحيم الا برقة قلب، ثم اجمعوا معنا علي ان الله تعالى عالم كل مايكون بلا ضمير، وانه عز وجل فعال بلا معاناة ورحيم بلا رقة، فاى فرق بين تجويزهم ماذكرنا وبين تجويزهم رؤية ونظرا بقوة غير القوة المعهودة لولا الخذلان ومخالفة القرآن والسنن نعوذ بالله من ذلك وقد قال بعض المعتزلة اخبرونا اذا رؤى البارى اكله يرى ام بعضه

(قال ابو محمد) وهذا سؤال تعلوه من الملحدين اذ سألونا نحن والمعتزلة فقالوا اذا علمتم البارى تعالى اكله تعلمونه ام بعضه

(قال ابو محمد) وهذا سؤال فاسد مغالط به لانهم اثبتوا كلا وبعضا حيث لا كل ولا بعض والكل والبعض لا يقعان الا فى ذى نهاية والبارى تعالى خالق النهاية والمتناهي فهو عز وجل لا متناه ولا نهاية فلا كل له ولا بعض

(قال ابو محمد) والآية المذكورة والاحاديث الصحاح المأثورة فى رؤية الله تعالى يوم القيامة موجبة القبول لتظاهرها وتباعد ديار الناقلين لها ورؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين لا أحرمنا الله ذلك بفضله ومحال ان تكون هذه الرؤية رؤية القلب لان جميع العارفين به تعالى يرونه فى الدنيا بقلوبهم وكذلك الكفار فى الآخرة بلا شك فان قال قائل انما اخبر تعالى بالرؤية عن الوجه قيل وبالله تعالى التوفيق معروف فى اللغة التى بها خوطبنا ان تنسب الرؤية الى الوجه والمراد بها العين قال بعض الاعراب

انافس من ناجاك مقدار لفظة ... وتمتاد نفسى ان نات عنك معينها
وان وجوها يصطحبن بنظرة ... اليك لمحسود عليك عيونها

(الكلام في القرآن وهو القول فى كلام الله تعالى)

المنطق النفسى يصفه فهو فوق الصفات الروحانية غير مدرك من نحو ذاته وانما يدرك بآثاره وصنائعه وأفعاله وكل عالم من العوالم يدركه بقدر الآثار التى تظهر فيه فينعته ويصفه بذلك القدر الذى خصه من صنعه فالموجودات فى العالم الروحاني قد خصت بآثار خاصة روحانية فينعته من حيث تلك الآثار ولا شك أن هداية الحيوان مقدرة على الآثار التى جبل الحيوان عليها وهداية الانسان مقدرة علي الآثار التى فطر الانسان عليها وكل يصفه من نحو ذاته ويقدسه عن خصائص صفاته ثم قال الوحدة تنقسم الى وحدة غير مستفادة من الغير وهى وحدة البارى تعالى ووحدة الاحاطة بكل شئ ووحدة الحكمة على كل شيء ووحدة

(قال ابو محمد) واختلفو فى كلام الله عز وجل بعد ان أجمع اهل الاسلام كلهم ان لله تعالى كلاما وعلى ان الله تعالى كلم موسى عليه السلام وكذلك سائر الكتب المنزلة كالتوات والانجيل والزبور والصحف فكل هذا لا اختلاف فيه بين احد من اهل الاسلام ثم قالت المعتزلة ان كلام الله تعالى صفة فعل مخلوق وقالوا ان الله عزوجل كلم موسى بكلام احدثه فى الشجرة وقال اهل السنة ان كلام الله عز وجل هو علمه لم يزل وانه غير مخلوق وهو قول الامام احمد بن حنبل وغيره رحمهم الله وقالت الاشعرية كلام الله تعالى صفة ذات لم تزل غير مخلوقة وهو غير الله تعالى وخلاف الله تعالى وهو غير علم الله تعالى وانه ليس لله تعالي الا كلام واحد

(قال ابو محمد) واحتج اهل السنة بحجج منها أن قالوا ان كلام الله تعالى لو كان غير الله لكان لايخلوا من ان يكون جسما او عرضا فلو كان جسما لكان فى مكان واحد ولو كان ذلك لكنا لم بلغ الينا كلام الله عز وجل ولا كان يكون مجموعا عندنا في كل بلد كذلك وهذا كفر ولو كان عرضا لاقتضى حاملا ولكان كلام الله تعالى الذى هو عندنا هو غير كلامه الذى عند غيرنا وهذا محال ولكان ايضا يفنى بفناء حامله وهذا لايقولونه وبالله تعالى التوفيق قالوا ولو سمع موسى عليه السلام كلام الله تعالى من غير الله تعالى لما كان له عليه السلام فى ذلك فضل علينا لاننا نسمع كلام الله عز وجل من غيره فصح ان لموسى عليه السلام مزية على من سواه وهو انه عليه السلام سمع كلام الله بخلاف من سواه وايضا فقد قامت الدلائل على ان الله تعالى لايشبهه شيء من خلقه بوجه من الوجوه ولا بمعنى من المعانى فلما كان كلامنا غيرنا وكان مخلوقا وجب ضرورة ان يكون كلام الله تعالي ليس مخلوقا وليس غير الله تعالي كما قلنا فى العلم سواء بسواء

(قال ابو محمد) واما الاشعرية فيلزمهم فى قولهم ان كلام الله غير الله ماألزمنام فى العلم وفي القدرة سواء سواء مما قد تقصيناه قبل هذا والحمد لله رب العالمين واما قولهم ليس لله تعالى الا كلام واحد فخلاف مجرد لله تعالى ولجميع اهل الاسلام لان الله عزوجل يقول * قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى * ولو ان مافى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر مانفدت كلمات الله *

(قال ابو محمد) ولا ضلال اضل ولا حياء اعدم ولا مجاهرة اطم ولا تكذيب لله اعظم ممن سمع هذا الكلام الذى لايشك مسلم انه خبر الله تعالى الذى لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بان لله كلمات لاتنفد ثم يقول هو من رأيه الخسيس انه ليس لله تعالي الا كلام واحد (١) فان ادعوا انهم فروا من ان يكثروا مع الله ا كذبهم قولهم ان هاهنا خمسة عشر شيئا كلها متغايرة وكلها غير الله وخلاف الله وكلها لم تزل مع الله تعالى عما يقول الظالمون علو كبيرا

(١) قوله الا كلام واحد الخ هذا الرجل ان ذهب الى ان الكلام هو العلم كيف يجعله متكثرا وهو يقول علم الله ليس غيره وان ذهب الى ان كلام الله غير العلم فكيف ينكر علي من يطلقه على صفة تكون امرا ونهيا وغير ذلك من سائر معانى الكلام هذا مما لايظهر له معنى

قال

تصدر عنه الآحاد الموجودات والكثرة فيها والى وحدة مستفادة وذلك وحدة المخلوقات وربما يقول الوحدة على الاطلاق تنقسم الى وحدة قبل الدهر ووحدة مع الدهر ووحدة بعد الدهر ووحدة قبل الزمان ووحدة مع الزمان فالوحدة التى قبل الدهر وحدة البارى تعالي والوحدة التى هى مع الدهر وحدة العقل الاول والوحدة التى هى بعد الدهر وحدة النفس والوحدة التى هى مع الزمان وحدة العناصر والمركبات وربما يقسم الوحدة قسمة اخرى فيقول الوحدة تنقسم الى وحدة بالذات والى وحدة بالعرض فالوحدة بالذات ليست الا لمبدع الكل الذى تصدر منه الوحدانية فى العدد

(قال ابوا محمد) وقالت ايضا هذه الطائفة المنتمية الى الاشعرية ان كلام الله تعالى عز وجل لم ينزل به جبريل عليه السلام على قلب محمد صلى الله عليه وسلم وانما نزل عليه بشيء آخر هو عبارة عن كلام الله تعالى وان الذى نقرا فى المصاحف ويكتب فيها ليس شيء منها كلام الله وان كلام الله تعالى الذى لم يكن ثم كان ولايحل لاحد ان يقول انما قلنا ان لله تعالى لايزايل البارى ولا يقوم بغيره ولايحل فى الاماكن ولا ينتقل ولاهو حروف موصلة ولا بعضه خير من بعض ولا افضل ولا اعظم من بعض وقالوا لم يزل الله تعالى قائلا لجهنم هل امتلات وقائلا للكفار اخسؤا فيها ولا تكلمون ولم يزل تعالى قائلا لكل ماأراد تكوينه كن

(قال ابو محمد) وهذا كفر مجرد بلا تاويل وذلك اننا نسالهم عن القرآن اهو كلام الله ام لا فان قال ليس هو كلام الله كفروا باجماع الامة وان قالوا بل هو كلام الله سالناهم عن القرآن أهو الذى يتلى فى المساجد ويكتب فى المصاحف ويحفظ فى الصدور ام لا فان قالوا لا كفروا باجماع الامة وان قالوا نعم تركوا قولهم الفاسد وقروا ان كلام الله تعالى فى المصاحف ومسموع من القراء ومحفوظ فى الصدور كما يقول جميع اهل الاسلام

(قال ابو محمد) وقال قوم فى اللفظ بالقرآن ونسبوا الى اهل السنة انهم يقولون ان الصوت غير مخلوق والخط غير مخلوق

(قال ابو محمد) وهذا باطل وما قال قط مسلم ان الصوت الذي هو الهواء غير مخلوق وان الخط غير مخلوق

(قال ابو محمد) والذى نقول به و بالله تعالي التوفيق هو ما قاله الله عز وجل و نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لانزيد علي ذلك شيئا وهو ان قول القائل القرآن وقوله كلام الله كلاهما معنى واحد واللفظان مختلفان والقرآن هو كلام الله عز وجل علي الحقيقة بلامجاز ونكفر من لم يقل ذلك ونقول ان جبريل عليه السلام نزل بالقرآن الذى هو كلام الله تعالى على الحقيقة على قلب محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى * نزل به الروح الامين علي قلبك لتكون من المنذرين * ثم نقول ان قولنا القرآن وقولنا كلام الله لفظ مشترك يعبر به عن خمسة اشياء فنسمى الصوت المسموع الملفوظ به قرآنا ونقول انه كلام الله تعالى علي الحقيقة وبرهان ذلك هو قول الله عز وجل * وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله * وقوله تعالى * وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه * وقوله تعالى * فاقرؤا ماتيسر من القرآن * وانكر على الكفار وصدق مؤمنى الجن فى قولهم * انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد * فصح ان المسموع وهو الصوت الملفوظ به هو القرآن حقيقة وهو كلام الله تعالي حقيقة من خالف هذا فقد عاند القرآن ويسمى المفهوم من ذلك الصوت قرآنا وكلام الله علي الحقيقة فاذا فسرنا الزكاة المذكورة فى القرآن والصلاة والحج وغير ذلك قلنا فى كل هذا كلام الله وهو القرآن ونسمى المصحف كله قرآنا وكلام الله وبرهاننا علي ذلك قول الله عز وجل * انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون * وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نهى ان يسافر بالقرآن الى ارض الحرب لئلا يناله العدو وقوله تعالى * لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة * وكتاب الله تعالى هو القرآن باجماع الامة فقد سمى

والمعدود والوحدة بالعرض تنقسم الى ماهو مبدأ العدد وليس داخلا فى العدد والى ماهو مبدأ للعدد وهو داخل فيه والاول كالواحدية للعقل الفعال لانه لا يدخل فى العدد والمعدود والثاني ينقسم الى مايدخل فيه كالجزء له فان الاثنين انما هو مركب من واحدين وكذلك كل عدد فركب من آحاد لامحالة وحيث ما ارتقى العدد الى اكثر نزل نسبة الوحدة اليه الى أقل والى مايدخل فيه كاللازم له لا كالجزء فيه وذلك لان كل عدد معدود لن يخلو قط عن وحدة ملازمة فان الاثنين والثلاثة فى كونهما اثنين وثلاثة واحد وكذلك المعدودات من المركبات والبسائط واحدة اما فى الجنس أو فى النوع أو فى الشخص كالجوهر فى أنه جوهر على الاطلاق

رسول الله صلى الله عليه وسلم المصحف قرآنا والقرآن كلام الله تعالى باجماع الامة فالمصحف كلام الله تعالى برهاننا على ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أمر بتعاهد القرآن وقال عليه السلام انه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها وقال الله تعالى * بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم * فالذى فى الصدور هو القرآن وهو كلام الله على الحقيقة لا مجازاً ونقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آية الكرسى اعظم آية فى القرآن وان ام القرآن فاتحة الكتاب لم ينزل فى القرآن ولا فى التوراة ولا فى الانجيل مثلها وان قل هو الله احد تعدل ثلث القرآن وقال الله عز وجل * ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير منها او مثلها * فان قالوا انما يتفاضل الاجر علي قراءة ذلك قلنا لهم نعم ولا شك فى ذلك ولا يكون التفاضل فى شىء مما يكون فيه التفاضل الا فى الصفات التى هى اعراض فى الموصوف بها واما فى الذوات فلا ونقول ايضا ان القرآن هو كلام الله تعالى وهو علمه وليس شيئا غير البارى تعالى برهان ذلك قول الله عز وجل * ولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم * وقال تعالى * وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته * وباليقين يدرى كل ذى فهم انه تعالى انما عنى سابق علمه الذى سلف بما ينفذه ويقضيه

(قال ابو محمد) فهذه خمسة معان ينبرعن كل معنى منها بانه قرآن وانه كلام الله ويخبر عن كل واحد منها اخباراً صحيحا بانه القرآن وانه كلام الله تعالي بنص القرآن والسنة للذين اجمع عليهما جميع الامة واما الصوت فهو هواء مندفع من الحلق والصدر والحنك واللسان والاسنان والشفتين الى آذان السامعين وهو حروف الهجاء والهواء وحروف الهجاء والهواء كل ذلك مخلوق بلا خلاف قال الله عز وجل * وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم * وقال تعالى * بلسان عربى مبين * واللسان العربي ولسان كل قوم هى لغتهم واللسان واللغات كل ذلك مخلوق بلا شك والمعانى المعبر عنها بالكلام المؤلف من الحروف المؤلفة انما هى الله تعالى والملائكة والنبيون وسموات وارضون ومافيهما من الاشياء وصلاة وزكاة وذكرام خالية والجنة والنار وسائر الطاعات وسائر اعمال الدين وكل ذلك مخلوق حاشا الله وحده لا شريك له خالق كل مادونه واما المصحف فانما هو ورق من جلود الحيوان ومركب منها. من مداد مؤلف من صمغ وزاج وعفص وماء وكل ذلك مخلوق وكذلك حركة اليد فى خطه وحركة اللسان فى قراءته واستقرار كل ذلك فى النفوس هذه كلها اعراض مخلوقة وكذلك عيسى عليه السلام هو كلمة لله وهو مخلوق بلا شك قال الله تعالى * كلمة منه اسمه المسيح * واما علم الله تعالى فلم يزل وهو كلام الله تعالى وهو القرآن وهو غير مخلوق. ليس هو غير الله تعالى اصلا ومن قال ان شيئا غير الله تعالى لم يزل مع الله عز وجل فقد جعل لله عز وجل شريكا ونقول ان لله عز وجل كلاما حقيقة وانه تعالى كلم موسى ومن كلم من الانبياء والملائكة عليهم السلام تكليما حقيقة لا مجازا ولا يجوز ان يقال البته ان الله تعالى متكلم لانه لم يسم بذلك نفسه ومن قال ان الله تعالي مكلم موسى لم ننكره لانه يخبر عن فعله تعالى لذى لم يكن ثم كان ولا يحل لاحد ان يقول انما قلنا ان لله تعالى كلاما لنفى الخرس عنه لما ذكرنا قبل من أنه ان كان يعنى الخرس المعهود فانه لا ينتفى الا بالكلام المعهود لذى هو حركة اللسان والشفتين وان كان انما ينفى خرسا غير معهود فهذا لا يعقل اصلا ولا يفهم

والانسان فى أنه انسان والشخص المعين مثل زيد فى أنه ذلك الشخص بعينه واحد فلم تنفك الوحدة من الموجودات قط وهذه وحدة مستفادة من وحدة الباري تعالى ومن الموجودات كلها وان كانت فى ذواتها متكثرة وانما شرف كل موجود بغلبة الوحدة فيه وكل ما هو أبعد من الكثرة فهو أشرف وأكمل ثم إن فيثاغورس رأيا فى العدد والمعدود قد خالف فيها جميع الحكماء قبله وخالفه فيها من بعده وهو أنه جرد العدد عن المعدود تجريد الصورة عن المادة وتصوره موجوداً محققا وجود الصورة وتحققها وقال مبدأ الموجودات هو العدد وهو أول مبدع أبدعه البارى فاول العدد هو الواحد وله اختلاف رأى فى انه هل

وايضا فيلزمه ان يسميه تعالى شهاما لنفى الخشم عنه ومتحركا لنفى الخدر وهذا كله الحاد في اسمائه عز وجل لكن لما قال الله تعالى انه له كلاما قلناه واقررنا به ولو لم يقله عز وجل لم يحل لاحد ان يقوله وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ولما كان اسم القرآن يقع على خمسة اشياء وقوعا مستويا صحيحا منها اربعة مخلوقة وواحد غير مخلوق لم يجز البتة لاحد ان يقول ان القرآن مخلوق ولا ان يقال ان كلام الله مخلوق لان قائل هذا كاذب اذ أوقع صفة الخلق على مالا يقع عليه مما يقع عليه اسم قرآن واسم كلام الله عز وجل ووجب ضرورة ان يقال إن القرآن لاخالق له ولا مخلوق وان كلام الله تعالى لاخالق ولا مخلوق لان الاربعة المسميات منه ليست خالقة ولا يجوز ان نطلق على القرآن ولا على كلام الله تعالى اسم خالق ولان المعنى الخامس غير مخلوق ولا يجوز ان توضع صفة البعض على الكل الذي لا تعمه تلك الصفة بل واجب ان يطلق نفى تلك الصفة التى للبعض على الكل وكذلك لو قال قائل ان الاشياء كلها مخلوقة او قال للحق مخلوق او قال كل موجود مخلوق لقال الباطل لان الله تعالى شيء موجود حق ليس مخلوقا لكن اذا قال الله تعالى خالق كل شيء جاز ذلك لانه قد اخرج بذكر الله تعالى ان المخلوق فى كلامه الاشكال ومثال ذلك فيما بيننا ان ثيابا خمسة الاربعة منها حمر والخامس غير احمر لكان من قال هذه الثياب حمر كاذبا ولكان من قال هذه الثياب ليست حمرا صادقا وكذلك من قال الانسان طبيب يعنى كل انسان لكان كاذبا ولو قال ليس الانسان طبيبا يعنى كل انسان لكان صادقا وكذلك لا يجوز ان يطلق ان الحق مخلوق ولا ان العلم مخلوق لان اسم الحق يقع على الله تعالى وعلى كل موجود واسم العلم يقع على كل علم وعلى علم الله عز وجل وهو غير مخلوق لكن يقال الحق غير مخلوق والعلم غير مخلوق هكذا جملة هذا بين فقيد كل حق دون الله تعالى فهو مخلوق وكل علم دون الله تعالى فهو مخلوق فهو كلام صحيح وهكذا لا يجوز ان يقال ان كلام الله مخلوق ولا أن القرآن مخلوق ولكن يقال علم الله غير مخلوق وكلام لله غير مخلوق والقرآن غير مخلوق ولو أن قائلا قال إن الله مخلوق وهو يعنى صوته المسموع او الالف واللام والهاء او الحبر الذى كتبت هذه الكلمة به لكان فى ظاهر قوله عند جميع الامه كافرا ما لم يبين فيقول صوتى او هذا الخط مخلوق

(قال ابو محمد) فهذه حقيقة البيان فى هذه المسألة الذى لم تتعهد فيه ماقاله الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم واجمعت الامة كلها على جملته واوجبته الضرورة والحمد لله رب العالمين فان سأل سائل عن اللفظ بالقرآن قلنا له سؤالك هذا يقتضى ان اللفظ المسموع هو غير القرآن وهذا باطل بل اللفظ المسموع هو القرآن نفسه وهو كلام الله عز وجل نفسه كما قال تعالى * حتى يسمع كلام الله * وكلام الله تعالى غير مخلوق لما ذكرنا واما من افرد السؤال عن الصوت وحروف الهجا والحبر فكل ذلك مخلوق بلا شك

(قال ابو محمد) ونقول ان الله تعالى قد قال ما اخبرنا انه قاله وانه تعالى لم يقل بعد ما اخبرنا انه سيقول فى المستأنف ولكن سيقوله ومن تعدى هذا فقد كذب الله جهلا واما من قال ان الله تعالى لم يزل قائلا كن لكل ما كونه أو يريد تكوينه فان هذا قول فاحش موجب ان العالم لم يزل لان الله تعالى اخبرنا انه تعالى * اذا اراد شيئا فانما امره ان يقول له كن

يدخل فى العدد كما سبق وميله أكثر الى انه لا يدخل فى العدد فيبتدى العدد من اثنين و يقول هو منقسم الى زوج وفرد فالعدد البسيط الاول اثنان والزوج البسيط أربعة وهو المنقسم بمتساويين ولم يجعل الاثنين زوجا فانه لو انقسم الى واحدين كان الواحد داخلا فى العدد ونحن ابتدأنا فى العدد من اثنين والزوج قسم من اقسامه فكيف يكون نفسه والفرد البسيط الاول ثلاثة قال وتتم القسمة بذلك وما وراء فهو قسمة القسمة فالاربعة هي نهاية العدد وهي الكمال وعن هذا كان يقسم بالرباعية لا وحق الرباعية التى هى مدبر أنفسنا التي هي أصل الكل وماوراء ذلك فزوج الفرد وزوج الزوج وزوج الزوج والفرد ويسمى الخمسة عددا

فيكون * فصح ان كل مكون فهوكائن اثر قول الله تعالى له كن بلا مهلة فلو كان الله تعالى لم يزل قائلا كن لكان كل مكون لم يزل وهذا قول من قال ان العالم لم يزل وله مدبر خالق لم يزل وهكذا كفر مجرد نعوذ بالله منه وقول الله تعالى هو غير تكليمه لان تكليم الله تعالى من كلم فضيلة عظيمة

(قال ابو محمد) قال الله تعالى * منهم من كلم الله * واما قوله فقد يكون سخطا قال تعالى انه قال لاهل النار * اخسئوا فيها ولا تكلمون * و قال لابليس * مامنعك ان تسجد لما خلقت بيدى * قال اخرج منها ولا يجوز ان يقال ابليس كليم الله ولا ان اهل النار كلماء الله فقول الله عز وجل محدث بالنص وبرهان ذلك ايضا قول الله تعالى * ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لاخلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم * ثم قال تعالى انه قال لهم * اخسئوا فيها ولا تكلمون *وقال تعالى انهم قالوا * ربنا هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لاتعلمون * فنص تعالى على انه لايكلمهم وانه يقول لهم فثبت يقينا ان قول الله تعالى هو غير كلامه وغير تكليمه لكن يقول كل كلام و تكليم فهما قول وليس كل قول منه تعالى كلاما ولا تكليما بنص القرآن ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان الله تعالى اخبرنا انه كلم موسى وكلم الملائكة عليهم السلام وثبت يقينا انه كلم محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء وقال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله * فخص تعالى بتكليمه بعضهم دون بعض كما ترى وقال تعالى * وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اومن وراء حجاب اويرسل رسولا فيوحي باذنه مايشاء * ففي هذه الآيات والحمد لله اكبر نص على تصحيح كل ما قلناه في هذه المسئلة وما توفيقنا الا بالله واخبرنا تعالى في هذه الآية انه لايتكلم بشرا الا باحدهذه الوجوه الثلاثة فقط فنظرنا فيها فوجدناه تعالى قد سمى ماتأتينا به الرسل عليهم السلام تكليما انتقل منه للبشر فصح بذلك ان الذى اتتنا به رسله عليهم السلام هو كلام الله وانه تعالى قد كلمنا بوحيه الذى اتتنا به رسله عليهم السلام واننا قد سمعنا كلام الله عز وجل الذى هو القرآن الموحى الى النبي بلا شك والحمد لله رب العالمين ووجدناه تعالى قد سمى وحيه الى انبيائه عليهم السلام تكليما لهم ووجدناه عز وجل قد ذكر وجها ثالثا وهو التكليم الذى يكون من وراء حجاب وهو الذى فضل به بعض النبيين على بعض وهو الذى يطلق عليه تكليم الله عز وجل دون صلة كما كلم موسى عليه السلام * من شاطىء الواد الايمن في البقعة المباركة من الشجرة * واما القسمان الاولان فانما يطلق عليهما تكليم الله عز وجل بصلة لا مجردا فنقول كلم الله جميع الانبياء بالوحي اليهم و نقول في القسم الثاني كلمنا الله تعالى في القرآن على لسان نبيه عليه السلام بوحيه اليه ونقول قال لنا الله عز وجل * اقيموا الصلاة وآتوا الزكاة * ونقول اخبرنا الله تعالى عن موسى وعيسى وعن الجنة والنار في القرآن و فيما اوحى الله الى رسوله صلى الله عليه وسلم ولو قال قائل حدثنا الله تعالى عن الامم السالفة وعن الجنة والنار في القرآن على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لكان قولا صحيحا لامدفع له لان الله تعالى يقول * ومن اصدق من الله حديثا * وكذلك

دائرا فانها اذا ضربتها في نفسها أبدا اعادت الخمسة من رأس ويسمى الستة عددا تاما فان أجزاءها متساوية بجملتها والسبعة عددا كاملا فانها مجموع الفرد والزوج وهي نهاية والثمانية مبتدأة مركبة من زوجين والتسعة من ثلاثة أفراد والعشرة وهي نهاية اخرى من مجموع العدد من الواحد الى الاربعة وهي نهاية اخرى فللعدد أربع نهايات اربعة وسبعة وتسعة وعشرة ثم يعود الى الواحد فنقول احد عشر وتعدو التركيبات فيما وراء الاربعة على انحاء شتى فالخمسة على مذهب من لا يرى الواحد في العدد فهي مركبة من عدد وفرد وعلى مذهب من يرى ذلك فهي مركبة من فرد وزوجين وكذلك الستة على الاول فركبة من فردين أوعدد وزوج وعلى الثاني

يقول قص الله علينا اخبار الامم فى القرآن قال تعالى * نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن * و نقول سمعنا كلام الله تعالى فى القرآن علي التحقيق لا مجازا وفضل علينا الملائكة والانبياء عليهم السلام في هذا بالوجه الثاني الذي هو تكليمهم بالوحى اليهم فى النوم واليقظة دون وسيطة وبتوسط الملك ايضا وفضل جميع الملائكة وبعض الرسل علي جميعهم عليهم السلام بالوجه الثالث الذى هو تكليم في اليقظة من وراء حجاب دون وسيطة ملك لكن بكلام مسموع بالآذان معلوم بالقلب زائد علي الوحي الذى هو معلوم بالقلب فقط او مسموع من الملك عن الله تعالى وهذا هو الوجه الذى خص به موسى عليه السلام من الشجرة ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء من المستوى الذي سمع فيه صريف الاقلام وسائر من كلم الله تعالى كذلك من النبيين والملائكة عليهم السلام قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * وقال تعالى * واذ قال ربك للملائكة انى جاعل * ولا يجوز ان يكون شيء من هذا بصوت اصلا لانه كان يكون حينئذ يفيد بوسيطة مكلم غير الله تعالى وكان ذلك الصوت بمنزلة الرعد الحادث فى الجو والقرع الحادث فى الاجسام والوحى اعلي من هذه منزلة والتكليم من وراء حجاب اعلي من سائر الوحى بنص القرآن لان الله تعالى سمى ذلك تفضيلا كما تلونا وكل ماذكرنا وان كان يسمى تكليما فالتكليم المطلق اعلى فى الفضيلة من التكليم الموصل كما ان كل روح فهو روح الله تعالى على الملك لكن اذا قلنا روح الله على الاطلاق يعنى بذلك جبريل او عيسى عليهم السلام كان ذلك فضيلة عظيمة لهما

(قال ابو محمد) واذا قرأنا القرآن قلنا كلامنا هذا هو كلام الله تعالى حقيقة لا مجازا ولا يحل حينئذ لاحد أن يقول ليس كلامى هذا كلام الله تعالى وقد انكر الله عز وجل هذا على من قاله اذ يقول تعالى * سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر * الى قوله تعالى فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر ساصليه سقر *

(قال ابو محمد) وكذلك يقول احدنا دينى دين محمد صلى الله عليه وسلم واذا عمل عملا اوجبته سنة قال عملى هذا عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحل لاحد من المسلمين ان يقول دينى غير دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قال ذلك لوجب قتله بالردة وكذلك ليس له ان يقول اذا عمل عملا جاءت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا غير عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قاله لادب ولكان كاذبا وكذلك يقول احدنا دينى هو دين الله عز وجل يريد الذى امر به عز وجل ولو قال دينى غير دين الله عز وجل لوجب قتله بالردة وكذلك يقول اذا حدث احدنا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا كلام هذا هو نفس كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو قال ان كلامى هذا هو غير كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان كاذبا وهذه اسماء اوجبتها ملة الله عز وجل واجمع عليها اهل الاسلام ولم يخف علينا ولا على من سلف من المسلمين ان حركة لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير حركة السنتنا وكذلك حركة اجسامنا فى العمل وكذلك ماتوصف به النفوس من العلم ولكن التسمية فى الشريعة ليست الينا انما هى لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فمن خالف هذا كان كمن قال فرعون وابو جهل

فمركبة من ثلاثة أزوج والسبعة على الاول فمركبة من فرد وزوج وعلى الثانى من فرد وثلاثة أزواج والثمانية على الاول فمركبة من زوجين وعلى الثانى فمركبة من أربعة أزواج والتسعة على الاول فمركبة من ثلاثة أفراد وعلى الثانى من فرد وأربعة أزواج والعشرة على الاول فمركبة من عدد وزوجين أو زوج وفردين وعلى الثاني فما يحسب من الواحد الى الاربعة وهو النهاية والكمال ثم الاعداد الاخر فقياسها هذا القياس قال وهذه هى أصول الموجودات ثم أنه ركب العدد على المعدود والمقدار على المقدور فقال المعدود الذى فيه اثنينية وهو أصل المعدودات ومبدأها العقل باعتبار أن فيه اعتبارين اعتبار من حيث ذاته وانه ممكن

مؤمنان وموسى ومحمد كافران فاذا قيل له فى ذلك قال اوليس ابو جهل وفرعون مؤمنين بالكفر ومحمد وموسى كافران بالطاغوت فهذا وان كان لكلامه مخرج فهو عند اهل الاسلام كافر لتعديه ماأوجبته الشريعة من التسمية وقد شهدت العقول بوجوب الوقوف عند ماأوجبه الله تعالى فى دينه فمن عد عن ذلك وزعم انه اتبع دليل عقله في خلاف ذلك فليعلم انه فارق قضية العقل الصادقة الموجبة للوقوف عند حكم الشريعة وخالف المؤمنين واتبع غير سبيلهم قال تعالى *ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى ونصله جهنم وساءت مصيرا* نعوذ بالله من ذلك

(قال ابو محمد) قال بعضهم فاذا سمعنا نحن كلام الله تعالى وسمعه موسى عليه السلام فاى فرق بينه وبيننا قلنا اعظم الفرق وهو ان موسى والملائكة عليهم السلام سمعوا الله تعالى يكلمهم ونحن سمعنا كلام الله تعالى من غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اذ امره ان يقرأ عليه القرآن فقال له ابن مسعود يارسول الله اقرأ. عليك وعليك أنزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى فصح يقينا ان القرآن الذى انزله الله تعالى نفسه فسمعه من غيره وقالوا فكلام الله تعالى اذاً يحل فينا قلنا هذا تهويل بارد ونعم اذا سمى الله تعالى كلامنا اذا قرأنا كلامه اله تعالى فنحن نقول بذلك ونقول ان كلام الله فى صدورنا وجار علي السنتنا ومستقر فى مصاحفنا ونبرأ ممن انكر ذلك بقوله الفاسد المخرج له عن الاسلام ونعوذ بالله من الخذلان

(الكلام فى اعجاز القرآن)

(قال ابو محمد) قد ذكرنا قيام البرهان عن ان القرآن معجز قد اعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب وغيرهم من الانس والجن بتعجيز رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من ذكرنا عن ان يانوا بمثله وتبكيتهم بذلك فى محافلهم وهذا امر لا ينكره احد مؤمن ولا كافر واجمع المسلمون على ذلك ثم اختلف اهل الكلام فى خمسة انحاء من هذه المسألة فالنحو الاول قول روى عن الاشعرى وهو ان المعجز الذي تحدى الناس بالمجيء بمثله هو الذي لم يزل مع الله تعالى ولم يفارقه قط ولا نزل الينا ولا سمعناه وهذا كلام فى غاية النقصان والبطلان اذ امن المحال ان يكلف احد ان يجيء بمثل لما لم يعرفه قط ولا سمعه وايضا فيلزمه ولا بد بل هو نفس قوله انه اذا لم يكن المعجز الا ذلك فان المسموع المتلو عندنا ليس معجزا بل مقدورا علي مثله وهذا كفر مجرد لاخلاف فيه لاحد فانه خلاف للقرآن لان الله تعالى الزمهم بسورة او عشر سور منه وذلك الكلام الذى هو عند الاشعري هو المعجز ليس له سوراً ولا كثيرا بل هو واحد فسقط هذا القول والحمد لله رب العلمين وله قول كقول جميع المسلمين أن هذا المتلو هو المعجز والنحو الثانى هل الاعجاز متماد ام قد ارتفع بتمام قيام الحجة به فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض أهل الكلام أن الحجة قد قامت بعجز جميع العرب عن معارضته ولو عورض الآن لم تبطل بذلك الحجة التى قد صحت كما ان عصى موسى اذ قامت حجته بانقلابها حية لم يضره ولا أسقط حجته عودها عصا كما كانت وكذلك خروج يده بيضاء من جيبه ثم عودها كما كانت وكذلك سائر الآيات وقال جمهور أهل الاسلام ان الاعجاز باق الى يوم القيامة والآية بذلك باقية ابدا كما كانت

(قال أبو محمد) وهذا هو الحق الذى لا يحل القول بغيره لانه نص قول الله تعالى اذ

يقول

الموجود بذاته واعتبار من حيث مبدعه وانه واجب الوجود به فقابله الاثنان والمعدود الذى فيه ثلثية هو النفس اذا زاد على الاعتبارين اعتبارا ثالثا والمعدود الذى فيه أربعية هو الطبيعة اذ زاد على الثلاثة رابعا ثم النهاية يعني نهاية المبادي وما بعده المركبات فيها من وجود مركب الا وفيه من العناصر والنفس والعقل شيء اما عين أو أثر حتى ينتهى الى السبع فبقدر المعدودات على ذلك وينتهى الى العشرة وبعد العقل والنفوس التسعة بافلاكها التى هى أبدانها وعقولها المفارقة وكالجوهر وتسعة أعراض وبالجملة انما يتعرف حال الموجودات من العدد والمقادير الاول ويقول البارى تعالى عالم بجميع المعلومات على طريق الاحاطة بالاسباب التى

يقول * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا *

(قال أبو محمد) فهذا نص جرى على أنه لايأتون بمثله بلفظ الاستقبال فصح يقينا ان ذلك على التأبيد وفى المستأنف أبدا ومن ادعى أن المراد بذلك الماضى فقد كذب لانه لايجوز ان تحال اللغة فينقل لفظ المستقبل الى معنى الماضى الا بنص آخر جلى وارد بذلك أو باجماع متيقن أن المراد به غير ظاهره أو ضرورة ولا سبيل فى هذه المسالة الى شئ من هذه الوجوه وكذلك قوله تعالى * قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا * عموم لكل انس وجن أبدا *لايجوز تخصيص شىء من ذلك أصلا بغير ضرورة ولا اجماع

(قال ابو محمد) ومن قال بالوقف وانه ليس للعموم صيغة ولا للظاهر فلاحجة هاهنا تقوم له على الطائفة المذكورة فصح ان اعجاز القرآن باق الى يوم القيامة والحمد لله رب العالمين والنحو الثالث ماالمعجز منه انظمه ام مافى نصه من الانذار بالغيوب فقال بعض اهل الكلام ان نظمه ليس معجزاً وانما اعجازه مافيه من الاخبار بالغيوب وقال سائر اهل الاسلام بل كلا الامرين معجزا وانما اعجازه مافيه من الاخبار بالغيوب وقال سائر اهل الاسلام بل كلا الامرين معجز نظمه وما فيه من الاخبار بالغيوب وهذاهوالحق الذى ماخالفه فهو ضلال وبرهان ذلك قول الله تعالى * فأتوا بسورة من مثله * فنص تعالى على انهم لايا تون بمثل سورة من سوره واكثرسوره ليس فيها أخبار بغيب فكان من جعل المعجز الأخبار الذى فيه بالغيوب مخالفاً لما نص الله تعالى على انه معجز من القرآن فسقطت هذه الأقاويل الفاسدة والحمد لله رب العالمين * والنحو الرابع ماوجه اعجازه فقالت طائفة وجه اعجازه كونه فى أعلى مراتب البلاغة وقالت طوائف انما وجه اعجازه ان الله منع الخلق من القدرة على معارضته فقط فأما الطائفة التى قالت انما اعجازه لأنه فى اعلى درج البلاغة فانهم شغبوا فى ذلك بان ذكروا آيات منه مثل قوله تعالى * ولكم فى القصاص حياة * ونحو هذا وموه بعضهم بان قال لوكان كما تقولون من ان الله تعالى منع من معارضته فقط لوجب ان يكون أغث ما يمكن ان يكون من الكلام فكانت تكون الحجة بذلك أبلغ

(قال أبو محمد) ما نعلم لهم شغبا غير هذين وكلاهما لاحجة لهم فيه اما قولهم لوكان كما قلنا لوجب ان يكون أغث مايمكن ان يكون من الكلام فكانت تكون الحجة أبلغ فهذا هوالكلام الغث حقا لوجوه أحدها انه قول بلا برهان لانه يعكس عليه قوله بنفسه فيقال له بل لو كان اعجازه لكونه فى أعلى درج البلاغة لكان لاحجة فيه لان هذا يكون فى كل من كان فى أعلى طبقة وأما آيات الأنبياء فخارجة عن المعهود فهذا أقوى من شغبهم وثانيها انه لايسأل الله تعالى عما يفعل ولا يقال له لم عجزت بهذا النظم دون غيره ولم ارسلت هذا الرسول دون غيره ولم قبت عصاموسى حية دون ان تقلبها اسدا وهذا كله حمق ممن جاء به لم يوجبه قط عقل وحسب الآية ان تكون خارجة عن المعهود فقط وثالثها انهم حين طردوا سؤالهم ربهم بهذا السؤال الفاسد لزمهم ان يقولوا هلا كان هذا الاعجاز فى كلام يجمع اللغات فيستوى فى معرفة اعجازه العرب والعجم لان العجم لايعرفون اعجاز القرآن الا باخبار

هى الاعداد والمقادير وهى لاتختلف فعلمه لا يختلف وربما يقول المقابل للواحد هوالعنصر الاول كاقال (أنكسمانيسر) ويسميه الهيولى الاولى وذلك هوالواحد المستفاد لان الواحد الذى هو لا كالآحاد وهو واحد يصدر عنه كل كثرة وتستفيد الكثرة منه الوحدة التى تلازم الموجودات فلا يوجد موجود الاوفيه من وحدته حظ على قدر استعداده ثم من هداية العقل حظ على قدر قبوله ثم من قوة النفس حظ على قدر تهيئه وعلى ذلك آثار المبادى فى المركبات فان كل مركب لن يخلو عن مزاج ما وكل مزاج لايعرى عن اعتدال ما وكل اعتدال عن كال أو قوة كال أما طبيعى الى هو مبدأ الحركة وأما عن كال نفسانى هو مبدأ الحس فاذا بلغ المزاج

العرب فقط فبطل هذا الشغب الغث والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) وأما ذكرهم * ولكم فى القصاص حياة * وماكان نحوها من الآيات فلا حجة لهم فيها ويقال لهم ان كان كما تقولون ومعاذ الله من ذلك فانما المعجز منه على قولكم هذه الآيات خاصة واما سائره فلا وهذا كفر لا يقوله مسلم فان قالوا جميع القرآن مثل هذا الآيات فى الاعجاز قيل لهم فلم خصصتم بالذكر هذه الآيات دون غيرها اذاً وهل هذا منكم الا ايهام لاهل الجهل ان من القرآن معجزا وغير معجز ثم نقول لهم قول الله تعالى وأوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسي وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا أمعجز هو على شروطكم فى كونه فى أعلى درج البلاغة أم ليس معجزا فان قالوا ليس معجزا كفروا وان قالوا انه معجز صدقوا وسئلوا هل على شروطكم فى أعلى درج البلاغة فان قالوا نعم كابروا وكفوا مؤنتهم لانها أسماء رجال فقط ليس على شروطهم في البلاغة وأيضاً فلو كان اعجاز القرآن لانه فى أعلى درج البلاغة لكان بمنزلة كلام الحسن وسهل بن هرون والجاحظ وشعر امرىء القيس ومعاذ الله من هذا لان كل مايسبق فى طبقته لم يؤمن أن ياتي من يماثله ضرورة فلا بد لهم من هذه الخطة أو من المصير الى قولنا ان الله تعالى منع من معارضته فقط وأيضا فلو كان اعجازه من أنه فى أعلى درج البلاغة المعهودة لوجب أن يكون ذلك الآية ولما هو أقل من آية وهذا ينقض قولهم ان المعجز منه ثلاث آيات لا أقل فان قالوا فقولوا أنتم هل القرآن موصوف بانه فى أعلى درج البلاغة ام لا قلنا وبالله تعالى التوفيق ان كنتم تريدون ان الله قد بلغ به ما أراد فنعم هو فى هذا المعنى فى الغاية التى لا شيء ابلغ منها وان كنتم تريدون هل هو فى أعلى درج البلاغة فى كلام المخلوقين فلا لانه ليس من نوع كلام المخلوقين لا من اعلاه ولا من ادناه ولا من اوسطه وبرهان هذا ان انسانا لو ادخل فى رسالة له اوخطبة اوتأليف اوموعظة حروف الهجاء المقطعة لكان خارجا عن البلاغة المعهودة جملة بلا شك فصح انه ليس من نوع بلاغة الناس اصلا وان الله تعالى منع الخلق من مثله وكساه الاعجاز وسلبه جميع كلام الخلق برهان ذلك ان الله حكى عن قوم من أهل النار انهم يقولون اذا سئلوا عن سبب دخولهم النار * لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى آتانا اليقين * وحكى تعالى عن كافر قال * ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر * وحكى عن آخرين انهم قالوا * لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا اوتكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا اوتسقط السماء كما زعمت علينا كسفا اوتأتى بالله والملائكة قبيلا اويكون لك بيت من زخرف اوترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأه * فكان هذا كله اذ قاله غير الله عز وجل غير معجز بلا خلاف اذلم يقل احد من اهل الاسلام ان كلام غير الله تعالى معجز لكن لما قاله الله تعالى وجعله كلاما له اصاره معجزا ومنع من مماثلته وهذا برهان كاف لا يحتاج الى غيره والحمد لله * والنحو الخامس ما مقدار المعجز منه فقالت الاشعرية ومن وافقهم ان المعجز انما هو مقدار اقل سورة منه وهو انا اعطيناك الكوثر فصاعدا وان مادون ذلك ليس معجزاً واحتجوا فى

الانساني الى حد قبول هذا الكمال أفاض عليه العنصر وحدته والعقل هدايته والنفس نطقه وحكمته قال ولما كانت التأليفات الهندسية مرتبة على المعادلات العددية عددناها أيضا من المبادي فصارت طائفة من الفيثار غورثيين الى أن المبادى هى التأليفات الهندسية على مناسبات عددية ولهذا صارت المتحركات السماوية ذات حركات مناسبة لحينة هى أشرف الحركات وألطف التاليفات ثم تعدوا من ذلك الى الاقوال حتى صارت طائفة منهم الى أن المبادى هى الحروف المجردة عن المادة وأوقعوا الالف فى مقابلة الواحد والباء في مقابلة الاثنين الى غير ذلك من المقابلات ولست أدرى قدروها علي أي لسان ولغة فان الالسن تختلف

ذلك بقول الله تعالى قل فاتوا بسورة من مثله قالوا ولم يتحد تعالى باقل من ذلك وذهب سائر اهل الاسلام الى ان القرآن كله قليله وكثيره معجز وهذا هو الحق الذى لا يجوز خلافه ولا حجة لهم فى قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله لانه تعالى لم يقل ان مادون السورة ليس معجزا بل قد قال تعالى على ان يأتوا بمثل هذا القرآن ولا يختلف اثنان فى ان كل شيء من القرآن قرآن فكل شيء من القرآن معجز ثم تعارضهم فى تحديدهم المعجز بسورة فصاعدا فنقول أخبرونا ماذا تعنون بقولكم ان المعجز مقدار سورة أسورة كاملة لا اقل ام مقدار الكوثر فى الآيات ام مقدارها فى الكلمات ام مقدارها فى الحروف ولا سبيل الى وجه خامس فان قالوا المعجز سورة تامة لا اقل لزمهم ان سورة البقرة حاشا آية واحدة او كلمة واحدة من آخرها او من أولها ليست معجزة وهكذا كل سورة وهذا كفر مجرد لا خفاء به إذ جعلوا كل سورة فى القرآن سوى كلمة من أولها او من وسطها او من آخرها لمقدور على مثلها وان قالوا بل مقدارها من الآيات لزمهم ان آية الدين ليست معجزة لانها ليست ثلاث آيات ولزمهم مع ذلك ان والفجر وليال عشر والشفع والوتر معجز كآية الكرسى وآيتان اليها لانها ثلاث آيات وهذا غير قولهم ومكابرة ايضا ان تكون هذه الكلمات معجزة حاشا كله غير معجزة ولزمهم ايضا ان والضحى والفجر والعصر هذه الكلمات الثلاث فقط معجزات لانهن ثلاث آيات فان قالوا هن متفرقات غير متصلات لزمهم اسقاط الاعجاز عن الف آية متفرقة وامكان المجيء بمثلها ومن جعل هذا ممكنا فقد كابر العيان وخرج عن الاسلام وابطل الاعجاز عن القرآن وفى هذا كفاية لمن نصح نفسه ولزمهم ايضا ان ولكم فى القصاص حياة ليس معجزا وهذا نقض لقولهم فى انه فى اعلى درج البلاغة وكذلك كل ثلاث آيات غير كلمة وهذا خروج عن الاسلام وعن المعقول وان قالوا بل فى عدد الكلمات اوقالوا عدد الحروف لزمهم شيئان مسقطان لقولهم احدهما ابطال احتجاجهم بقوله تعالى بسورة من مثله لانهم جعلوا معجزا ماليس سورة ولم يقل تعالى بمقدار فلاح تمويههم والثانى ان سورة الكوثر عشر كلمات اثنان واربعون حرفا وقد قال الله تعالى وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسي وايوب ويونس وهارون وسليمان اثنتا عشرة كلمة اثنان وسبعون حرفا وان اقتصرنا على الاسماء فقط كانت عشرة كلمات اثنين وستين حرفا فهذا أكثر كلمات وحروفا من سورة الكوثر فينبغي ان يكون هذا معجزا عندكم ويكون ولكم فى القصاص حياة غير معجز فان قالوا ان هذا غير معجز تركوا قولهم فى اعجاز مقدار أقل سورة فى عدد الكلمات وعدد الحروف وان قالوا بل هو معجز تركوا قولهم فى أنه فى اعلى درج البلاغة ويلزمهم ايضا اننا ان اسقطنا من هذه الاسماء اسمين ومن سورة الكوثر كلمات أن لا يكون شيء من ذلك معجزا فظهر سقوط كلامهم وتخليطه وفساده وايضا فاذا كانت الآية منه او الآيتان غير معجزة وكانت مقدورا على مثلها واذا كان ذلك فكله مقدور على مثله وهذا كفر فان قالوا اذا اجتمعت ثلاث آيات صارت غير مقدور عليها قيل لهم هذا غير قولكم ان اعجازه انما هو من طريق البلاغة لان طريق البلاغة فى الاية كهو فى الثلاث ولا فرق والحق من هذا هو ماقاله الله تعالى

باختلاف الامصار والمدن أو على أى وجه من التركيب فان التركيبات أيضا مختلفة فالبسائط من الحروف مختلف فيها والمركبات كذلك ولا كذلك عدد فانه لا يختلف أصلا وصارت جماعة منهم أيضا الى أن مبدأ الجسم هو الابعاد الثلاثة والجسم مركب عنها وأوقع النقطة فى مقابلة الواحد والخط فى مقابلة الاثنين والسطح فى مقابلة الثلاثة والجسم فى مقابلة الاربعة وراعوا هذه المقابلات فى تراكيب الاجسام وتضاعيف الاعداد ومماينقل عن فيثاغورس أن الطبايع أربعة والنفوس التى فينا أيضا اربعة العقل والرأى والعلم والحواس ثم ركب فيه العدد على المعدود والروحانى على الجسمانى قال أبو على بن سينا وامثل مايحمل عليه هذا القول أن يقال كون الشيء

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله وان كل كلمة قائمة المعنى يعلم اذا تليت انها من القرآن فانها معجزة لا يقدر احد على المجيء بمثلها ابدا لان الله تعالى حال بين الناس وبين ذلك كمن قال ان آية النبوة ان الله تعالى يطلقني على المشي في هذه الطريق الواضحة ثم لا يمشي فيها احد غيري ابدا اومدة يسميها فهذا اعظم مايكون من الايات وان الكلمة المذكورة انها متى ذكرت في خبر على انها ليست قرآنا فهي غير معجزة وهذا هو الذى جاء به النص والذى عجز عنه اهل الارض مذار بهاية عام واربعين عاما ونحن نجد في القرآن ادخال معنى بين معنيين ليس بينهما كقوله تعالى * وما نتنزل الا بامر ربك له مابين ايدينا وماخلفنا ومابين ذلك * وليس هذا من بلاغة الناس في ورد ولا في صدر ومثل هذا في القرآن كثير والحمد لله رب العالمين

(الكلام في القدرة)

قال ابو محمد) اختلف الناس في هذا الباب فذهبت طائفة الى ان الانسان مجبر على افعاله وانه لا استطاعة له اصلا وهو قول جهم بن صفوان وطائفة من الازارقة وذهبت طائفة اخرى الى ان الانسان ليس مجبرا واثبتوا له قوة واستطاعة بها يفعل مااختار فعله ثم افترقت هذه الطائفة على فرقتين فقالت احداها الاستطاعة التى يكون بها الفعل لا تكون الا مع الفعل ولا يتقدمه البتة وهذا قول طوائف من اهل الكلام ومن وافقهم كالنجار والاشعرى ومحمد بن عيسى برعوث الكاتب وبشر بن غياث المريسى وابى عبد الرحمن العطوى وجماعة من المرجئة والخوارج وهشام بن الحكم وسليمان بن جرير واصحابها وقالت الاخرى ان الاستطاعة التى يكون بها الفعل هي قبل الفعل موجودة في الانسان وهو قول المعتزلة وطوائف من المرجئة كمحمد بن شبيب ويونس بن عمران وصالح قبة والناشي وجماعة من الخوارج والشيعة ثم افترق هؤلاء على فرق فقالت طائفة ان الاستطاعة قبل الفعل ومع الفعل ايضا للفعل ولتركه وهو قول بشر بن المعتمر البغدادى وضرار بن عمرو الكوفى وعبد الله بن غطفان ومعمر بن عمرو العطار البصرى وغيرهم من المعتزلة وقال ابو الهذيل محمد بن الهذيل العبدى البصرى العلاف لا تكون الاستطاعة مع الفعل البتة ولا تكون الا قبله ولابد وتفنى مع اول وجود الفعل وقال ابو اسحاق بن ابراهيم بن سيار النظام وعلي الاسوارى وابو بكر بن عبد الرحمن بن كيسان الاصم ليست الاستطاعة شيئا غير نفس المستطيع وكذلك ايضا قالوا في العجز انه ليس شيئا غير العاجز الا النظام فانه قال هو آفة دخلت علي المستطيع

(قال ابو محمد) فامامن قال بالاجبار فانهم احتجوا فقالوا لما كان الله تعالى فعالا وكان لا يشبهه شيء من خلقه وجب ان لا يكون احد فعالا غيره وقالوا ايضا معنى اضافة الفعل الى الانسان انما هو كما تقول مات زيد وانما اماته الله تعالى وقام البناء وانما اقامه الله تعالى

(قال ابو محمد) وخطأ هذه المقالة ظاهر بالحس والنص وباللغة التى بها خاطبنا الله تعالى وبها نتفاهم فاما النص فان الله عز وجل قال في غير موضع من القرآن * جزاء بما كنتم تعملون لم تقولون مالا تفعلون وعملوا الصالحات * فنص تعالى علي اننا نعمل ونفعل ونصنع واما الحس فان بالحواس وبضرورة العقل وبديهة علمنا يقينا علما لا يخالج فيه الشك ان

واحدا غير كونه موجودا أو أنسانا وهو في ذاته اقدم منهما فالحيوان الواحد لا يحصل واحدا الا وقد تقدمه معنى الوحدة التى صار به واحدا أو لولاه لم يصح وجوده فاذا هو الاشرف الابسط الاول وهذه صورة العقل فالعقل يجب أن يكون الواحد من هذه الجهة والعلم دون ذلك في الرتبة لانه بالعقل ومن العقل فهو الاثنان الذى يتفرد الى الواحد ويصدر منه كذلك العلم يؤول الى العقل ومعنى الظن والرأى عدد السطح والحس عدد المصمت أن السطح لكونه ذا ثلاث جهات هو طبيعة الظن الذى هو أعم من العلم مرتبة وذلك لان العلم يتعلق بمعلوم معين والظن والرأى يتجذب الى الشيء ونقيضه والحس أعم من الظن فهو المصمت أي جسم له أربع

بين الصحيح الجوارح وبين من لا صحه بجوارحه فرقا لانحا لجوارحه لان الصيح الجوارح يفعل القيام والقعود وسائر الحركات مختارا لها دون مانع والذى لاصحة لجوارحه لو رام ذلك جهده لم يفعله اصلا ولا بيان ابين من هذا الفرق والجبر فى اللغة هو الذى يقع الفعل منه بخلاف اختياره وقصده فاما من وقع فعله باختياره وقصده فلا يسمى فى اللغة مجبرا واجماع الامة كلها على لاحول ولا قوة الا بالله مبطل قول المجبرة ووجب ان لنا حولا وقوة ولكن لم يكن لنا ذلك الا بالله تعالى ولو كان ماذهب اليه الجهميه لكان القول لاحول ولا قوة الا بالله لامعنى له وكذلك قوله تعالى *لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين* فنص تعالى على ان لنا مشيئة الا انها لا تكون منا الا ان يشاء الله كونها وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) ومن عرف عناصر الاشياء من الواجب والممتنع والممكن ايقن بالفرق بين صحيح الجوارح وغير صحيحها لان الحركة الاختيارية باول الحس هى غير الاضطرارية وان الفعل الاختيارى من ذى الجوارح المؤوفة ممتنع وهو من ذي الجوارح الصحيحة ممكن واننا بالضرورة نعلم ان المقعد لو رام القيام جهده لما امكنه ونقطع يقينا انه لا يقوم وان الصحيح الجوارح لا ندرى اذا رأيناه قاعدا يقوم ام يتكىء ام يتمادى على قعوده وكل ذلك منه ممكن واما من طريق اللغة فان الاجبار والاكراه والاضطرار والغلبة اسماء مترادفة وكلها واقع على معنى واحد لا يختلف وقوع الفعل ممن لا يؤثره ولا يختاره ولا يتوهم منه خلافه البتة واما من آثر مايظهر منه من الحركات والاعتقاد ويختاره ويميل اليه هواه فلا يقع عليه اسم اجبار ولا اضطرار لكنه مختار والفعل منه مراد متعمد مقصود ونحو هذه العبارات عن هذا المعنى فى اللغة العربية التى نتفاهم بها فان قال قائل فلم ابيتم هاهنا من اطلاق لفظة الاضطرار واطلقتموها في المعارف فقلتم انها باضطرار وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى فى الانسان فالجواب ان بين الامرين فرقا بينا وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله وممكن ذلك منه وليس كذلك ماعرفه يقينا ببرهان لانه لا يتوهم البتة انصرافه عنه ولا يمكنه ذلك اصلا فصح انه مضطر اليها وايضا فقد اثنى الله عز وجل على قوم دعوه فقالوا *ولا تحملنا مالا طاقة لنا به* وقد علمنا ان الطاقة والاستطاعة والقدرة والقوة فى اللغة العربية ألفاظ مترادفة كلها واقع على معنى واحد وهذه صفة من يمكن عنه الفعل باختياره أو تركه باختياره ولا شك فى أن هؤلاء القوم الذين دعوا هذا الدعاء قد كلفوا شيا من الطاعات والاعمال واجتناب المعاصى فلو لا ان هاهنا أشياء لهم بها طاقة لكان هذا الدعاء حمقا لانهم كانوا يصيرون داعين الله عز وجل فى أن لا يكلفهم مالا طاقة لهم به وهم لا طاقة لهم بشىء من الاشياء فيصير دعاؤهم فى أن لا يكلفوا ماقد كلفوه وهذا محال من الكلام والله تعالى لا يثنى على المحال فصح بهذا أن هاهنا طاقة موجودة على الافعال وبالله تعالى التوفيق * وأما احتجاجهم بان الله تعالى لما كان فعالا وجب أن لا يكون فعال غيره نخطا من القول لوجوه أحدها أن النص قد ورد بان للانسان أفعالا وأعمالا قال تعالى *كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون* فاثبت

جهات ومما نقل عن فيثاغورس أن العالم انما ألف من اللحون البسيطة الروحانية ويذكران الاعداد الروحانية غير منقطعة بل أعداد متحدة تتجزى من نحو العقل ولا تتجزى من نحو الحواس وعدعوالم كثيرة فمنه عالم هو سرور محض فى أصل الابداع وابتهاج وروح فى وضع الفطرة ومنه عالم هو دونه ومنطقها ليس مثل منطق العوالم العالية فان المنطق قد يكون باللحون الروحانية البسيطة وقد يكون باللحون الروحانية المركبة والاول يكون سرورها دائما غير منقطع ومن اللحون ماهو بعد ناقص فى التركيب لان المنطق بعد لم يخرج الى الفعل فلا يكون السرور بغاية الكمال لان اللحن ليس بغاية الاتفاق وكل عالم هو دون الاول بالرتبة ويتفاضل العوالم بالحسن

الله لهم الفعل وكذلك تقول ان الانسان يصنع لان النص قد جاء بذلك ولولا النص ما أطلقنا شيئاً من هذا وكذلك لما قال الله تعالى * وفاكهة مما يتخيرون * علمنا ان للانسان اختياراً لان أهل الدنيا وأهل الجنة سواء فى أنه تعالى خالق أعمال الجميع على أن الله تبارك وتعالى قال * وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة * فعلمنا أن الاختيار الذى هو فعل الله تعالى وهو منفى عن سواه هو غير الاختيار الذي أضافه الى خلقه ووصفهم به ووجدنا هذا أيضا حسا لان الاختيار الذى توحد الله تعالى به هو أن يفعل ما شاء كيف شاء واذا شاء وليست هذه صفة شيء من خلقه وأما الاختيار الذى أضافه الله تعالى الى خلقه فهو ما خلق فيهم من الميل الى شيء ما والايثار له على غيره فقط وهنا غاية البيان وبالله تعالى التوفيق ومنها أن الاشتراك فى الاسماء لا يقع من أجله التشابه الاترى أنك تقول الله الحي والانسان حي والانسان حليم كريم عليم والله تعالى حكيم كريم عليم فليس هذا يوجب اشتباها بلاخلاف وانما يقع الاشتباه بالصفات الموجودة فى الموصوفين والفرق بين الفعل الواقع من الله عز وجل والفعل الواقع منا هو أن الله تعالى اخترعه وجعله جسما أو عرضا أو حركة أو سكونا أو معرفة أو ارادة أو كراهية وفعل عز وجل كل ذلك فينا بغير معاناة منه وفعل تعالى لغيره علة واما نحن فاءنما كان فعلا لنا لانه عز وجل خلقه فينا وخلق اختيارنا له وأظهره عز وجل فينا محمولا لاكتساب منفعة أو لدفع مضرة ولم نخترعه نحن واما من قال بالاستطاعة قبل الفعل فعمدة حجتهم أن قالوا لا يخلو الكافر من أحد أمرين اما أن يكون مأمورا بالايمان أو لا يكون مامورا به فان قلتم أنه غير مامور بالايمان فهذا كفر مجرد وخلاف للقرآن والاجماع وان قلتم هو مامور بايمان وهكذا تقولون فلايخلو من أحد وجهين اما أن يكون أمر وهو يستطيع ما أمر به فهذا قولنا لاقولكم أو يكون أمر وهو لايستطيع ما أمر به فقد نسبتم الي الله عز وجل تكليف ما لايستطاع ولزمكم أن تجيزوا تكليف الاعمى أن يرى والمقعد أن يجرى أو يطلع الى السماء وهذا كله جور وظلم والجور والظلم منفيان عن الله عز وجل وقالوا اذلا يفعل المرء فعلا الا باستطاعة موهوبة من الله عز وجل ولا تخلو تلك الاستطاعة من أن يكون المرء أعطيها والفعل موجود أو أعطيها والفعل غير موجود فان كان أعطيها والفعل موجود فلاحاجة به اليها اذقد وجد الفعل منه الذى يحتاج الى الاستطاعة ليكون ذلك الفعل بها وان كان أعطيها والفعل غير موجود فهذا قولنا ان الاستطاعة قبل الفعل قالوا والله تعالى يقول * ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا * قالوا فلو لم تتقدم الاستطاعة الفعل لكان الحج لايلزم أحدا قبل أن يحج وقال تعالى * وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين * وقال تعالى * فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا * فلوكانت الاستطاعة للصوم لا تتقدم الصوم مالزمت أحدا الكفارة به وقال تعالى * يحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم أنهم لكاذبون * فصح أن استطاعة الخروج موجودة مع عدم الخروج وقال تعالى * فاتقوا الله ما استطعتم * ولهم أيضا فى خلق الافعال اعتراض نذكره ان شاء الله تعالى وبالله التوفيق والحمد لله رب العالمين

والبهاء والزينة والآخر ثقل العوالم وثقلها وسفلها وكذلك لم تجتمع كل الاجتماع ولم تتحد الصورة بالمادة كل الاتحاد وجاز على كل جزء منه الانفكاك عن الجزء الآخر الا أن فيه نورا قليلا من النور الاول فلذلك النور وجد فيه نوع ثبات ولولا ذلك لم يثبت طرفة عين وذلك النور القليل جسم النفس والعقل الحامل لهما في هذا العالم وذكران الانسان بحكم الفطرة واقع فى مقابلة العالم كله وهو عالم صغير والعالم انسان كبير ولذلك صار حظه من النفس والعقل أوفر فمن أحسن تقويم نفسه وتهذيب اخلاقه وتزكية أحواله أمكنه أن يصل الى معرفة العالم وكيفية تأليفه ومن ضيع نفسه ولم يقم بمصالحها من التهذيب والتقويم

(باب

باب ما الاستطاعة

(قال أبو محمد) أن الكلام علي حكم لفظة قبل تحقيق معناها ومعرفة المراد بها وعن أى شيء يعبر بذكرها طمس للوقوف على حقيقتها فينبغى أولا أن نوقف على معنى الاستطاعة فاذا تكلمنا عليه وقررناه بحول الله تعالى وقوته سهل الاشراف علي صواب هذه الاقوال من خطئها بعون الله تعالى وتأييده فنقول وبالله تعالي نتأيد ان من قال ان الاستطاعة هى المستطيع قول في غاية الفساد ولوكان لقائله اقل علم باللغة العربية ثم بحقائق الاسماء والمسميات ثم بماهية الجواهر والاعراض لم يقل هذا السخف أما اللغة فان الاستطاعة انما هى مصدر استطاع يستطيع استطاعة والمصدر هو فعل الفاعل وصفته كالضرب الذى هو فعل الضارب والحمرة التى هي صفة الاحمر والاحمرار الذى هو صفة المحمر وماشبه هذا والصفة والفعل عرضان بلا شك فى الفاعل منا وفى الموصوف والمصادر هى احداث المسمين بالاسماء باجماع من اهل كل لسان فاذا كانت الاستطاعة فى اللغة التى بها نتكلم نحن وهم انما هى صفة فى المستطيع فبالضرورة نعلم ان الصفة هى غير الموصوف لان الصفات تتعاقب عليه فتمضى صفة وتاتي أخرى فلوكانت الصفة هى الموصوف لكان الماضى من هذه الصفات هو الموصوف الباقى ولا سبيل الى غير هذا البتة فاذ لاشك فى ان الماضى هو غير الباقى فالصفات هي غير الموصوف بها وماعدا هذا فهو من المحال والتخليط فان قالوا ان الاستطاعة ليست مصدر استطاعة ولاصفة المستطيع كابروا وأتوا بلغة جديدة غير اللغة الذى نزل بها القرآن والتى لفظة الاستطاعة التى فيها نتنازع انما هى كلمة من تلك اللغة ومن احال شيئا من الالفاظ اللغوية عن وضوعها فى اللغة بغير نص محيل لها ولاباجماع من اهل الشريعة فقد فارق حكم اهل العقول والحياء وصار فى نصاب من لايتكلم معه ولايعجز احد ان يقول الصلاة ليست ماتأمنون بها وانما هى امر كذا والماء هو الخمر وفى هذا بطلان الحقائق كلها وأيضا فاننا نجد المرء مستطيعا ثم نراه غير مستطيع لخدر عرض فى اعضائه أولتكتيف وضبط أولاغماء وهو بعينه قائم لم ينتقص منه شيء فصح بالضرورة ان الذى عدم من الاستطاعة هو غير المستطيع الذى كان ولم يعدم هذا أمر يعرف بالمشاهدة والحس وبهذا أيقنا ان الاستطاعة عرض من الاعراض تقبل الاشد والاضعف فنقول استطاعة أشد من استطاعة واستطاعة أضعف من استطاعة وايضا فان الاستطاعة لها ضد وهو العجز والاضداد لاتكون الأعراضا تقتسم طرفى البعد كالخضرة والبياض والعلم والجهل والذكر والنسيان وماأشبه هذا وهذا كله أمر يعرف بالمشاهدة ولاينكره الاعمى القلب والحواسي ومعاند مكابر للضرورة والمستطيع جوهر والجوهر لاضد له فصح بالضرورة ان الاستطاعة هى غير المستطيع بلاشك وايضا فلوكانت الاستطاعة هي المستطيع لكان العجز ايضا هو العاجز والعاجز هو المستطيع بالامس فعلى هذا يجب ان العجز هو المستطيع فان تمادوا علي هذا لزمهم ان العجز عن الامر هو الاستطاعة عليه وهذا محال ظاهر فان قالوا ان العجز غير المستطيع وهو آفة دخلت علي المستطيع سئلوا عن الفرق الذى من اجله

خرج من عداد العدد والمعدود وانحل عن رباط القدر والمقدور صار ضياعا هملا وربما يقول النفس الانسانية تأليفات عددية أولحنية ولهذا ناسبت النفس مناسبات الالحان والتذت بسماعها وطاشت وتواجدت بسماعها وجاشت ولقد كانت قبل انصالها بالابدان قد أبدعت من تلك التأليفات العددية الاولى ثم اتصلت بالابدان فان كانت التهذيبات الخلقية على تناسب الفطرة وتجردت النفوس عن المناسبات الخارجة اتصلت بعالمها وانخرطت فى سلكها على هيئة أجمل وأكمل من الاول فان التأليفات الاول

قالوا ان الاستطاعة هى المستطيع ومنعوا ان يكون العجز هو العاجز ولا سبيل الى وجود فرق في ذلك وبهذا نفسه يبطل قول من قال ان الاستطاعة هي بعض المستطيع سواء بسواء لان العرض لا يكون بعضا للجسم وأما من قال ان الاستطاعة كل ماتوصل به الى الفعل كالابرة والدلو والحبل وماأشبه ذلك فقول فاسد تبطله المشاهدة لانه قد توجد هذه الالات وتعدم صحة الجوارح لايمكن الفعل فان قالوا قد تعدم هذه الآلات وتوجد صحة الجوارح ولا يمكن الفعل قلنا صدقتم وبوجود هذه الآلات تم الفعل الا ان لفظة الاستطاعة التى فى معناها نتنازع هى لفظة قد وضعت فى اللغة التى بها نتفاهم ونعبر عن مرادنا على عرض فى المستطيع فليس لاحد أن يصرف هذه اللفظة عن موضوعها فى اللغة برايه من غير نص ولا اجماع ولو جاز هذا لبطلت الحقائق ولم يصح تفاهم ابدا وقد علمنا يقينا أن لفظة الاستطاعة لم تقع قط فى اللغة التى بها نتفاهم علي حبل ولا على مهماز ولا علي ابرة فان قالوا قد صح عن ائمة اللسان كابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما ان الاستطاعة زاد وراحلة قيل لهم نعم قد صح هذا ولا خلاف بين احد له فهم باللغة أنهما عنيا بذلك القوة على وجود زاد وراحلة وبرهان ذلك ان الزاد والرواحل كثير فى العالم وليس كونها عنيا فى العالم موجبا عندهما فرض الحج على مالا يجدها فصح ضرورة انهما عنيا بذلك القوة على احضار زاد وراحلة والقوة على ذلك عرض كما قلنا وبالله تعالى التوفيق وهكذا القول ايضا ان ذكروا قول الله عز وجل * واعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم * لان هذا هو نص قولنا ان القوة عرض ورباط الخيل عرض فسقط هذا القول والحمد لله رب العالمين فاذ قد سقطت هذه الاقوال كلها وصح ان الاستطاعة عرض من الاعراض فواجب علينا معرفة ماتلك الاعراض فنظرنا ذلك بعون الله عز وجل وتأييده فوجدنا بالضرورة الفعل لا يقع باختيار الا من صحيح الجوارح التى يكون بها ذلك الفعل فصح يقينا ان سلامة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة ثم نظرنا سالم الجوارح لا يفعل مختارا الا حتى يستضيف الى ذلك ارادة الفعل فعلمنا ان الارادة ايضا محركة للاستطاعة ولا نقول ان الارادة استطاعة لان كل عاجز عن الحركة فهو مريد لها وهو غير مستطيع وقد علمنا ضرورة ان العاجز عن الفعل فليس فيه استطاعة للفعل لانهما ضدان والضدان لا يجتمعان معا ولا يمكن ايضا ان تكون الارادة بعض الاستطاعة لانه كان يلزم من ذلك ان فى تعاجز المريد استطاعة ما لان بعض الاستطاعة استطاعة وبعض العجز عجز ومحال ان يكون فى العاجز عن الفعل استطاعة له البتة فالاستطاعة ليست عجزا فمن استطاع علي شىء وعجز عن اكثر منه ففيه استطاعة على مايستطيع عليه هى غير الاستطاعة التى فيه على مااستطاع عليه وبالله تعالى التوفيق ثم نظرنا فوجدنا السالم الجوارح المريد للفعل قد يعترضه دون الفعل مانع لا يقدر معه على الفعل اصلا فعلمنا ان هاهنا شئيا آخر به تتم الاستطاعة ولا بد وبه يوجد الفعل فعلمنا ضرورة ان هذا الشيء اذ هو تمام الاستطاعة ولا تصح الاستطاعة الا به فهو باليقين قوة اذ الاستطاعه قوة وان ذلك الشيء قوة بلا شك فقد علمنا انه ماتى به من عند الله تعالى لانه تعالى مؤتي القوى اذ لا يمكن ذلك لاحد دونه عز وجل فصح ضرورة ان الاستطاعة صحة الجوارح مع ارتفاع الموانع

قد كانت ناقصة من وجه حيث كانت بالقوة فبالرياضة والمجاهدة فى هذا العالم بلغت الى حد التكمال خارجة من حد القوة الى حد الفعل قال والشرائع التى وردت بمقادير الصلاة والزكاة وسائر العبادات انما هى لايقاع هذه المناسبات في مقابلة تلك التأليفات الروحانية وربما يبالغ فى تقرير التاليف حتى يكاد يقول ليس فى العالم سوى التاليف والاجسام والاعراض تاليفات والنفوس والعقول تاليفات ويعسر كل العسر تقرير ذلك نعم تقدير التاليف علي المؤلف والتقدير علي المقدر

وهذان الوجهان قبل الفعل وقوة اخرى من عند الله عزوجل وهذا الوجه مع الفعل باجتماعهما يكون الفعل وبالله تعالى التوفيق ومن البرهان على صحة هذا القول اجماع الامة كلها على سؤال الله تعالى التوفيق والاستعاذة به من الخذلان فالقوة التي تردمن الله تعالى على العبد فيفعل بها الخير تسمى بالاجماع توفيقا وعصمة وتأييدا والقوة التي ترد من الله تعالى فيفعل العبد بها الشر تسمى بالاجماع خذلانا والقوة التي تردمن الله تعالى على العبد فيفعل بها ماليس طاعة ولامعصية تسمى عونا او قوة او حولا وتبين من صحة هذا صحة قول المسلمين لاحول ولاقوة الابالله والقوة لاتكون لاحد البتة فعل الابها فصح انه لاحول ولاقوة لاحد الابالله العلي العظيم وكذلك يسمى تيسيرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له وقد وافقنا جميع المعتزلة على ان الاستطاعة فعل الله عز وجل وانه لايفعل احد خيرا ولاشرا الابقوة اعطاه الله تعالى اياها الا انهم قالوا يصلح بها الخير والشر معا (قال ابو محمد) فجملة القول في هذا بان عناصر الاخبار ثلاثة وهو ممتنع اوواجب او ممكن بينهما هذا امر بضرورة الحس والتمييز فاذا الامر كذلك فان عدمت صحة الجوارح كان له مانع الى الفعل واما الصحيح الجوارح المرتفع الموانع فقد يكون منه الفعل وقد لايكون فهذه هي الاستطاعة الموجودة قبل الفعل برهان ذلك قول الله عز وجل حكاية عن القائلين *لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون* فاكذبهم الله في انكارهم استطاعة الخروج قبل الخروج وقوله تعالى* ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا* فلو لم تكن هنا استطاعة قبل فعل المرء الحج لما لزم الحج الامن حج فقط ولما كان احد عاصيا بترك الحج لانه ان لم يكن مستطيعا للحج حتى يحج فلا حج عليه ولاهو مخاطب بالحج وقوله تعالى* فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا* فلو لم يكن على المظاهر العائد لقوله استطاعة على الصيام قبل أن يصوم لما كان مخاطبا بوجوب الصوم عليه اذا لم يجد الرقبة اصلا ولكان حكمه مع عدم الرقبة وجوب الاطعام فقط وهذا باطل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن بايعه فمن لم يستطع فقاعدا فمن لم يستطع فعلى جنب وهذا اجماع متيقن لاشك فيه فلو لم يكن الناس مستطيعين للقيام قبل القيام لما كان احد مامورا بالصلاة قبل ان يصليها كذلك ولكان معذورا ان صلى قاعدا وعلى جنب بكل وجه لانه اذا صلى كذلك لم يكن مستطيعا للقيام وهذا باطل وقوله صلى الله عليه وسلم اذا امرتكم بشئ فاتو به مااستطعتم فلو لم يكن هاهنا استطاعة لشئ مما امرنا به ان نفعله لما لزمنا شيء مما امرنا به مما لم نفعله ولكننا غير عصاة بالترك لاننا لم نكلف بالنص الا مااستطعنا وقوله صلى الله عليه وسلم اتستطيع ان تصوم شهرين قال فلو لم يكن احد مستطيعا للصوم الا حتى يصوم لكان هذا السؤال منه عليه السلام محالا وحاشا له من ذلك ومما يتبين صحة هذا وان المراد في كل ماذكرنا صحة الجوارح وارتفاع الموانع قول الله تعالى* ويدعون الى السجود فلايستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانو يدعون الى السجود وهم سالمون* فنص تعالى على ان في عدم السلامة بطلان الاستطاعة وان وجود السلامة بخلاف ذلك فصح ان سلامة الجوارح استطاعة واذا صح هذا فبيقين ندرى ان سلامة الجوارح يكون بها الفعل وضده والعمل وتركه والطاعة والمعصية لان كل هذا يكون بصحة الجوارح فان قال قائل فان

أمر يهتدي به ويعول عليه وكان (خرينوس وزينون الشاعر) متابعين لفيثاغورس على رأيه في المبدع والمبدع الا انهما قال الباري تعالى أبدع النفس والعقل دفعة واحدة ثم أبدع جميع ما تحتهما بتوسطهما وفي بدؤ ماابدعهما لايموتان ولايجوز عليهما الدثور والفناء وذكرا ان النفس اذا كانت طاهرة زكية من كل دنس صارت في العالم الاعلى الى مسكنها الذي يشاكلها ويجانسها وكان الجسم الذي هو من النار والهواء جسمها في ذلك العالم مهذبا من كل ثقل وكدر فاما الجرم الذي من الماء

سلامة الجوارح عرض والعرض لا يبقى وقتين قيل له هذه دعوى بلا برهان والآيات المذكورات مبطلة لهذه الدعوى وموجبة ان هذه الاستطاعة من سلامة الجوارح وارتفاع الموانع موجودة قبل الفعل ثم لو كان ماذكرتم ماكان فيه دفع لما قاله عز وجل من ذلك ثم وجدنا الله تعالى قد قال * وكانوا لا يستطيعون سمعا * وقال تعالى حاكيا قول الخضر لموسى عليه السلام * انك لن تستطيع معي صبرا * وقال * ذلك تاويل مالم تسطع عليه صبرا * وعلمنا ان كلام الله تعالى لا يتعارض ولا يختلف قال الله تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فتيقنا ان الاستطاعة التي اثبتها الله تعالى قبل الفعل هي غير الاستطاعة التي نفاها مع الفعل ولا يجوز غير ذلك البتة فاذ ذلك كذلك فالاستطاعة كما قلنا شيئان أحدهما قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع والثاني لا يكون الا مع الفعل وهو القوة الوارة من الله تعالى بالعون والخذلان وهو خلق الله تعالى للفعل فيمن ظهر منه وسمى من اجل ذلك فاعلا لما ظهر منه اذ لا سبيل الى وجود معنى غير هذا البتة فهذا هو حقيقة الكلام في الاستطاعة بما جاءت به نصوص القرآن والسنن والاجماع وضرورة الحس وبديهة العقل فعلى هذا التقسيم بنا الكلام في هذا الباب فاذا نفينا وجود الاستطاعة قبل الفعل فانما نعني بذلك الاستطاعة التي بها يقع الفعل ويوجد واجبا ولا بد وهي خلق الله تعالى للفعل في فاعله واذا اثبتنا الاستطاعة قبل الفعل فانما نعني بها صحة الجوارح وارتفاع الموانع التي يكون الفعل بها ممكنا متوهما لا واجبا ولا ممتنعا وبها يكون المرء مخاطبا مكلفا مامورا منهيا وبعد معها يسقط عنه الخطاب والتكليف ويصير الفعل منه ممتنعا ويكون عاجزا عن الفعل

(قال ابو محمد) فاذ قد تبين ما الاستطاعة فنقول بعون الله عز وجل فيما اعترضت به المعتزلة الموجبة للاستطاعة جملة قبل الفعل ولا بد فنقول وبالله تعالى التوفيق انهم قالوا اخبرونا عن الكافر المأمور بالايمان أهو مامور بما لا يستطيع ام بما يستطيع فجوابنا وبالله تعالى نتأيد اننا قد بينا آنفا ان صحة الجوارح وارتفاع الموانع استطاعة وحامل هذه الصفة مستطيع بظاهر حاله من هذا الوجه وغير مستطيع مالم يفعل الله عز وجل فيه ما به يكون تمام استطاعته ووجود الفعل فهو مستطيع من وجه غير مستطيع من وجه آخر وهذا مع انه نص القرآن كما اوردنا فهو ايضاً مشاهد كالبناء المجيد فهو مستطيع بظاهر حاله ومعرفته بالبناء غير مستطيع للآلات التي لا يوجد البناء الا بها وهكذا في جميع الاعمال وأيضا فقد يكون المرء عاصيا لله تعالى في وجه مطيعا له في آخر مؤمنا بالله كافرا بالطاغوت فان قالوا فقد نسبتم لله تكليف ما لا يستطاع قلنا هذا باطل ما نسبنا اليه تعالى الا ما اخبر به عن نفسه انه لا يكلف احدا الا ما يستطيع بسلامة جوارحه وقد يكلفه ما لا يستطيع في علم الله تعالى لان الاستطاعة التي بها يكون الفعل ليست فيه بعد ولا يجوز ان يطلق على الله تعالى أحد القسمين دون الآخر واما قولهم ان هذا كتكليف المقعد الجرى او الاعمى النظر وادراك الالوان والارتفاع الى السماء فان هذا باطل لان هؤلاء ليس فيهم شيء من قسمي الاستطاعة فلا استطاعة لهم اصلا واما الصحيح الجوارح ففيه احد قسمي الاستطاعة وهو سلامة الجوارح ولولا ان الله عز وجل آمننا بقوله تعالى * ماجعل عليكم في الدين من حرج *

والارض فان ذلك يدثر ويفنى لانه غير مشاكل للجسم السماوى لان الجسم السماوى لطيف لا وزن له ولا يلمس فالجسم في هذا العالم مستبطن في الجرم لانه أشد روحانية وهذا العالم لا يشاكل الجسم بل الجرم يشاكله وكل ما هو مركب والاجزاء النارية والهوائية عليه أغلب كانت الجسمية أغلب وهو مركب والاجزاء المائية والارضية عليه أغلب كانت الجرمية أغلب وهذا العالم عالم الجرم وذلك العالم عالم الجسم فالنفس في ذلك العالم تحشر في بدن جسمانى لا جرمانى دائما لا يجوز

لكان غير منكر ان يكلف الله تعالى الاعمى ادراك الالوان والمقعد الجرى والطلوع الى السماء ثم يعذبهم عند عدم ذلك منهم ولله تعالى ان يعذب من شاء دون ان يكلفه وان ينعم من شاء دون ان يكلفه كما رزق من شاء العقل وحرمه الجماد والحجارة وسائر الحيوان وجعل عيسى بن مريم نبيا فى المهد حين ولادته وشد على قلب فرعون فلم يؤمن قال تعالى * لا يسأل عما يفعل وهم يسألون * وليس فى بداية العقول حسن ولا قبيح لعينه ألبتة وقالت المعتزلة متى اعطى الانسان الاستطاعة أقبل وجود الفعل فان كان قبل وجود الفعل قالوا فهذا قولنا وان كان حين وجود الفعل فما حاجتنا اليها فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الاستطاعة قسمان كما قلنا فاحدهما قبل الفعل وهو سلامة الجوارح وارتفاع الموانع والثانى مع الفعل وهو خلق الله للفعل فى فاعله ولولاهما لم يقع الفعل كما قال الله عزوجل ولو كانت الاستطاعة لا تكون الا قبل الفعل ولابد ولا تكون مع الفعل اصلا كما زعم ابو الهزيل لكان الفاعل اذا فعل عديم الاستطاعة وفاعلا فعلا لا استطاعة له على فعله حين فعله واذ لا استطاعة له عليه فهو عاجز عنه فهو فاعل عاجز عما يفعل معا وهذا تناقض ومحال ظاهر

(قال ابو محمد) ولهم الزامات سخيفة هى لازمة لهم كما تلزم غيرهم سواء بسواء منها قولهم متى احرقت النار العود افى حال سلامته ام وهو غير محترق فان كانت احرقته فى حال سلامته فهو اذا محرق غير محرق وان كانت احرقته وهو محرق فما الذى فعلت فيه وكسؤالهم متى كسر المرء العود أكسره وهو صحيح فهو اذا مكسور صحيح اوكسره وهو مكسور فما الذى احدث فيه وكسؤالهم متى اعتق المرء عبده افى حال رقه فهو حر عبد معا اوفى حال عتقه فاى معنى لعتقه اياه ومتى طلق المرء زوجته اطلقها وهى غير مطلقة فهى مطلقة لا مطلقة معا ام طلقها وهى مطلقة فما الذى اثر فيها طلاقه ومتى مات المرء فى حياته مات ام وهو ميت ومثل هذا كثير

(قال ابو محمد) وكل هذه سفسطة وسؤالات سخيفة مموهة والحق فيها ان تفريق النار اجزاء ماعملت فيه هو المسمى احراقا وليس للاحراق شىء غير ذلك فقولهم هل احرقت وهو محرق تخليط لان فيه ايها مان الاحراق غير الاحراق وهذه سخافة وكذلك كسر العود انما هو اخراجه عن حال الصحة والكسر نفسه هو حال العود حينئذ وكذلك اخراج العبد من الرق الى عتقه هو عتقه ولا مزيد ليست له حال اخرى وكذلك خروج المرأة من الزوجية الى الطلاق هو تطليقها نفسه وكذلك فراق الروح للجسد وهو الاماتة والموت نفسه ولا مزيد وليست هاهنا حال اخرى وقع الفعل فيها وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى ان اتمام الاستطاعة لا يكون الا مع الفعل لا قبله)

(قال ابو محمد) يقال لمن قال ان الاستطاعة كلها ليست الا قبل الفعل وانها قبل الفعل بتمامها وتكون ايضاً مع الفعل اخبرونا عن الكافر هل يقدر قبل ان يؤمن فى حال كفره على الايمان قدرة تامة أم لا وعن تارك الصلاة هل يقدر قدرة تامة على الصلاة فى حال تركه وعن الزانى هل يقدر فى حال زناه على ترك الزنا بان لا يكون منه زنا اصلا ام لا وبالجملة فالا وامر كلها انما هى امره بحركة اوامر بسكون أوامر باعتقاد اثبات شىء ما أو

عليه الفناء والدثور ولذته تكون دائمة لا يملها الطباع والنفوس وقيل لفيثاغورس لم قلت با بطال العالم قال لانه يبلغ العلة التى من أجلها كان فاذا بلغها سكنت حركته وأكثر اللذات العلوية هى التاليفات اللحنية وذلك كما يقال التسبيح والتقديس غذاء الروحانيين وغذاء كل موجود هو مما خلق منه ذلك الموجود وأما (ايراقليطس وأباسيس) كانا من الفيثاغورسيين وقالوا ان مبدأ الموجودات هو النار فما تكاثف منها وتحجر فهو الارض وما تحلل من الارض بالنار صار ماء وما تحلل من الماء

امر باعتقاد ابطال شيء ما وهذا كله يجمعه فعل أو ترك فاخبرونا هل يقدر الساكن المامور بالحركة على الحركة حال السكون أو يقدر المتحرك المأمور بالسكون على السكون فى حال الحركة وعن معتقد ابطال شيء ما وهو مامور باعتقاد اثباته هل يقدر فى حال اعتقاده ابطاله على اعتقاد اثباته ام لا وعن معتقد اثبات شيء ما وهو مامور باعتقاد ابطاله هل يقدر فى حال اعتقاده اثباته على اعتقاد ابطاله ام لا وعن المامور بالترك وهو فاعل ما امر بتركه أيقدر على تركه فى حال فعله فيكون فاعلا لشيء تاركا لذلك الشيء معا ام لا فان قالوا نعم هو قادر على ذلك كابروا العيان وخالفوا المعقول والحس واجازوا كل طاعة من كون المرء قاعدا قائما معا ومؤمنا بالله كافرا به معا وهذا اعظم ما يكون من المحال الممتنع وان قالوا انه لا يقدر قدرة تامة يكون بها الفاعل لشيء هو فاعل لخلافه قالوا الحق و رجعوا الى انه لا يستطيع احد استطاعة تامة يقع بها الفعل الا حتى يفعله وكل جواب اجابوا به هاهنا فانما هو ايهام ولواذو مدافعة بالروح لانه الزام ضروري حسي متيقن لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق فان قالوا لسنا نقول انه يقدر على ان يجمع بين الفعلين المتضادين معا ولكننا قلنا انه قادر على ان يترك ما هو فيه ويفعل ما امر به قيل لهم هذا هو نفسه الذى اردنا منكم وهو انه لا يقدر قدرة تامة ولا يستطيع استطاعة تامة على فعل مادام فاعلا لما ينافيه فاذا ترك كل ذلك وشرع فيما امر به فحينئذ تمت قدرته واستطاعته لا بد من ذلك وهذا هو نفس ما موهوا به فى سؤالهم لنا هل امر الله تعالى العبد بما يستطيع قبل ان يفعله ام بما لا يستطيع حتى يفعله وهذا لهم لازم لانهم شنعوه وعظموه وانكروه ونحن لا ننكره ولا نرى ذلك الزاما صحيحا فقبحه عائد عليهم وانما يلزم الشيء من يصححه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقد اجاب فى هذه المسالة عبد الله بن احمد الكعبي البلخى احد رؤساء الاصلح من المعتزلة بان قال اننا لا نختلف فى ان الله عز وجل قادر على تسكين المتحرك وتحريك الساكن وليس يوصف بالقدرة على ان يجعله ساكنا متحركا معا

(قال ابو محمد) وليس كما قال الجاهل الملحد فيما وصف الله تعالى به بل الله تعالى قادر على ان يجعل الشيء ساكنا متحركا معا فى وقت واحد من وجه واحد ولكن كلام البلخي هذا لازم لمن التزم هذه الكفرة الصلعاء (١) من ان الله تعالى لا يوصف بالقدرة على المحال ويقال لهم لم لا يوصف بالقدرة على ذلك لان له قدرة على ذلك ولا يوصف بها ام لانه لا قدرة له على ذلك ولا محيد لهم عن هذا وهذه طائفة جعلت قدرة الله تعالى متناهية بل قطعوا قطعا بانه تعالى لا يقدر على الشيء حتى يفعله وهذا كفر مجرد لا خفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد) ويقال للمعتزلة ايضا انتم مقرون ايضا معنا بان الله تعالى لم يزل عليما بان كل كائن فانه سيكون على ما هو عليه اذا كان ولم يزل الله تعالى يعلم ان فلانا سيطا فلانة فى وقت كذا فتحمل منه بولد يخلقه الله تعالى من منيهما الخارج منهما عند جماعه اياها وانه يعيش

بالنار صار هواء فالنار مبدأ وبعدها الارض وبعدها الماء وبعدها الهواء وبعدها النار والنار هى المبدأ واليها المنتهي فمنها التكون واليها الفساد وأما (ابيقورس) الذي تفلسف فى أيام ديمقراطيس وكان يرى أن مبادى الموجودات أجسام تدرك عقلا وهى كانت تتحرك من الخلاف الخلا لانهاية له الا ان لها ثلاثة اشياء الشكل والعظم والثقل وديمقراطيس كان يرى ان لها شيئين العظم والشكل فقط وذكران تلك الاجسام لا تتجزى أي لا تنفعل ولا تنكسر وهى معقولة أى موهومة غير محسوسة فاصطكت تلك

(١) قوله الكفرة الخ تقدم له هذا الكلام مرارا وتقدم لنا ان هذه مقالة الاشعرية وانهم قالوها فرارا من المحال لكل لو تعلقت القدرة بكل شيء حتى الواجب والمستحيل لكان الواجب ممكنا الان من تحت القدرة لا بد ان يكون ممكنا حتى تغيره القدرة من حال الى حال وكذا شريك البارى لا يكون مستحيلا بل ممكنا وهذا من اشنع المقالات فليتامل اه مصححه

ثمانين سنة ويملك ويفعل ويصنع فاذا قلتم ان ذلك الفلان يقدر قدرة تامة على ترك ذلك الوطء الذى لم يزل الله تعالى يعلم انه سيكون وانه يخلق ذلك الولد منه فقد قطعتم بانه قادر على ان يمنع الله من خلق ماقد علم انه سيخلقه وانه قادر قدرة تامة على ابطال علم الله عز وجل وهذا كفر ممن اجازه فان قال قائل فانكم انتم تطلقون ان المرء مستطيع قبل الفعل لصحة جوارحه فهذا يلزمكم قلنا هذا لايلزمنا لاننا لم نطلق ان له قدرة تامة على ذلك اصلا بل قلنا انه لا يقدر على ذلك قدرة تامة البتة ومعنى قولنا انه مستطيع بصحة جوارحه اى انه متوهم منه ذلك لوكان ونحن لم نطلق الاستطاعة الاعلى هذا الوجه حيث اطلقها الله عز وجل فان قالوا إن الله تعالى قادر على كل ذلك ولا يوصف بالقدرة على فسخ علمه الذى لم يزل قلنا وهذا ايضا مما تكلمنا فيه آنفا بل الله تعالى قادر على كل ذلك بخلاف خلقه على ماقد مضى كلامنا فيه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وقد نص الله تعالى على ماقلنا بقوله عز وجل سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون * الى قوله * ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين * فاكذبهم الله تعالى فى نفيهم عن انفسهم الاستطاعة التى هى صحة الجوارح وارتفاع الموانع ثم نص تعالى على انه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا أمر تكوين لاامر بالقعود لانه تعالى ساخط عليهم لقعودهم وقد نص تعالى على انه * انما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون * فقد ثبت يقينا انهم مستطيعون بظاهر الامر بالصحة فى الجوارح وارتفاع الموانع وان الله تعالى كون فيهم قعودهم فبطل ان يتم لاستطاعتهم لخلاف فعلهم الذى ظهر منهم وقال عز وجل * من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * فبين عز وجل بيانا جليا ان من اعطاه الهدى اهتدى ومن اضله فلا يهتدى فصح يقينا ان بوقوع الهدى له من الله تعالى وهو التوفيق يفعل العبد ما يكون به مهتديا وان بوقوع الاضلال من الله تعالى وهو الخذلان وخلق ضلال العبد يفعل المرء مايكون به ضالا فان قال قائل معنى هذا من سماه الله مهتديا ومن سماه ضالا قيل له هذا باطل لان الله تعالى نص على ان من اضله الله فلن تجد له وليا مرشدا فلو اراد الله تسميته كما زعمتم لكان هذا القول منه عز وجل كذبا لان كل ضال فله اولياء على ضلاله يسمونه مهتديا وراشدا وحاشا الله من الكذب فبطل تاويلهم الفاسد وصح قولنا والحمد لله رب العالمين

(قال ابو محمد) وقال الله تعالى مخبرا عن الخضر الذى آتاه الله تعالى العلم والحكمة والنبوة حاكيا عن موسى عليه السلام وفتاه . فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما * وقال تعالى مخبرا عنه ومصدقا عنه . وما فعلته عن أمرى . فصح أن كل ماقال الخضر عليه السلام فمن وحى الله عز وجل ثم أخبر عز وجل بان الخضر قال لموسى عليه السلام * انك لن تستطيع معى صبرا * فلم ينكر الله تعالى كلامه ذلك ولا أنكره موسى عليه السلام لكن أجابه بقوله * ستجدنى ان شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا * فلم يقل له موسى عليه السلام انى مستطيع للصبر بل صدق قوله فى ذلك اذ أقره ولم ينكره ورجا ان يجد الله له استطاعة على الصبر فيصبر ولم يوجبه موسى عليه السلام أيضا لنفسه الا أن يشاء الله تعالى ثم كرر عيه الخضر بعد ذلك مرات انه غير مستطيع للصبر اذ لم يصبر فلم ينكر ذلك موسى عليه السلام فهذه شهادة ثلاثة انبياء محمد وموسى والخضر صلى الله عليه وسلم واكبر من شهادتهم شهادة الله عز وجل

الاجزا فى حركاتها اضطرارا واتفاقا فحصل من اصطكاكها صور هذا العالم واشكالها وتحركت على انحناء من جهات التحرك وذلك هو الذى يحكي عنهم انهم قالوا بالاتفاق فلم يثبتوا لها صانعا أوجب الاصطكاك واوجد هذه الصورة وهؤلاء قد أثبتوا الصانع واثبتوا سبب حركات تلك الجواهر واما اصطكاكها فقد قالوا فيها بالاتفاق فلزمهم حصول العالم بالاتفاق والخطة وكان لفيثاغورس تلميذان رشيدان يدعي احدهما فلنكس ويعرف بمرزنوش قد دخل فارس ودعا الناس الى حكمة فيثاغورس واضاف

بتصديقهم فى ذلك اذ قد نصه الله تعالى علينا غير منكر له بل مصدقا لهم وهذا لا يرده
الا مخذول وقال عز وجل * وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء
عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا * فنص تعالى نصا جليا على انهم كانوا لا يستطيعون السمع
الذى أمروا به وانهم مع ذلك كانت أعينهم فى غطاء عن ذكر الله عز وجل ومع ذلك استحقوا
على ذلك جهنم وكانوا فى ظاهر الامر مستطيعين بصحة جوارحهم وهذا نص قولنا بلا تكلف
والحمد لله رب العالمين على هداه لنا وتوفيقه ايانا لا اله الا هو وقال تعالى * اذ يقول الظالمون ان
تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا * فنفى الله
عز وجل عنهم استطاعة شىء من السبل غير سبيل الضلال وحده وفى هذا كفاية لمن عقل وقال
تعالى * وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * فنص تعالى على ان من لم يأذن له فى الايمان لم يؤمن وان
من أذن له فى الايمان آمن وهذا الاذن هو التوفيق الذى ذكرنا فيكون به الايمان ولا بد وعدم
الاذن هو الخذلان الذى ذكرنا نعوذ بالله منه وقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام ومصدقا
له اذ يقول * والا تصرف عنى كيدهن أصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف
عنه كيدهن * فنص تعالى على ان رسوله صلى الله عليه وسلم ان لم يعنه بصرف الكيد عنه صبا وجهل
وانه تعالى صرف الكيد عنه فسلم وهذا نص جلى على انه اذا وفقه اعتصم واهتدى وقال تعالى
حاكيا عن ابراهيم خليله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومصدقا له * لئن لم يهدنى ربى لاكونن من
القوم الضالين * فهذا نص على ان من أعطاه الله عز وجل قوة الايمان آمن واهتدى وان من منعه
تلك القوة كان من الضالين وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين وقال تعالى * واصبر وما صبرك الا
بالله * فنص تعالى على انه أمره بالصبر ثم أخبره انه لا صبر له الا بعون الله تعالى فاذا أعانه بالصبر صبر
وقال تعالى * ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدى من يضل * وهذا نص جلى على ان من أضله الله
تعالى بالخذلان له فلا يكون مهتديا وقال تعالى * واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا * فهذا نص لا اشكال
فيه على ان الله عز وجل منعهم ان يفقهوه فان قال قائل انما قال تعالى انه يفعل ذلك بالذين لا يؤمنون
ولذلك قال تعالى * وما يضل به الا الفاسقين، وكذلك يطبع الله على قلوب الكافرين، قيل له وبالله
تعالى التوفيق لو صح لك هذا التاويل لكان حجة عليك لانه تعالى قد منعهم للتوفيق وسلط عليهم
الخذلان وأضلهم وطبع على قلوبهم فاجعله كيف شئت فكيف وليس ذلك على ما تاولت ولكن
الايات ظواهرها وعلى ما يقتضيه لفظها دون تكلف هو ان الله تعالى لما أضلهم صاروا ضالين فاسقين
حين أضلهم لا قبل ان يضلهم وكذلك انما صاروا لا يؤمنون حين جعل بينهم وبينه حجابا وحين
جعل على قلوبهم أكنة وفى آذانهم الوقر لا قبل ذلك وانما صاروا كافرين حين طبع على قلوبهم
لا قبل ذلك وقال تعالى * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا * فنص تعالى
على انه لولا أن ثبت نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوفيق لركن اليهم فانما يثبت رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين ثبته الله عز وجل لا قبل ذلك ولو لم يعطه التثبيت وخذله لركن اليهم
وضل واستحق العذاب على ذلك ضعف الحياة وضعف الممات فتبا لكل مخذول يظن فى نفسه
الخسيسة انه مستغن عما افتقر اليه محمد صلى الله عليه وسلم من توفيق الله وتثبيته وانه قد
استوفى من الهدى ما لا مزيد عليه وانه ليس عند ربه أفضل مما أعطاه بعد ولا أكثر وقد

حكمه الى مجوسية القوم
والاخر يدعى قلانوس
ودخل الهند ودعا الناس
الى حكمه واضاف حكمه
الى برهمية القوم الا ان المجوس
كما يقال اخذوا جسمانية
قوله و لهذا اخذوا روحانيته
ومما اخبر عنه فيثاغورس
واوصى به قال انى عاينت
هذه العوالم العلوية بالحس
بعد الرياضة البالغة وارتفعت
عن عالم الطبائع الى عالم
النفس وعالم العقل فنظرت
الى ما فيها من الصور المجردة
وما لها من الحسن والبهاء
والنور وسمعت ما لها من
اللحون الشريفة
والاصوات الشجية
الروحانية وقال ان ما فى هذا
العالم يشتمل على مقدار

أمرنا عز وجل أن نقول * إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * فنص تعالى على أمرنا بطلب العون منه وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين فلو لم يكن هاهنا عون خاص من آتاه الله اياه اهتدى ومن حرمه اياه وخذله ضل لما كان لهذا الدعاء معنى لان الناس كلهم كانوا يكونون معانين منعما عليهم مهديين وهذا بخلاف النص المذكور وقال تعالى * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم * فنص تعالى على انه ختم على قلوب الكافرين وان على سمعهم وأبصارهم غشاوة حائلة بينهم وبين قول الحق فمن هو الجاعل هذه الغشاوة على سمعهم وعلى أبصارهم الا الذي ختم على قلوبهم عز وجل وهذا هو الخذلان الذي ذكرنا ونعوذ بالله منه وهذا نص على أنهم لا يستطيعون الايمان مادام ذلك الختم على قلوبهم والغشاوة على أبصارهم واسماعهم فلو ازالها تعالى لآمنوا الا ان يعجزوا ربهم عز وجل عن ازالة ذلك فهذا خروج عن الاسلام وقال تعالى . ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا . فنص تعالى كما ترى على انه من لم يتفضل عليه ولم يرحمه اتبع الشيطان ضرورة فصح ان التوفيق به يكون الايمان وان الخذلان به يكون الكفر والعصيان وهو اتباع الشيطان ومعنى قوله تعالى الا قليلا على ظاهره وهو استثناء من المنعم عليهم المرحومين الذين لم يتبعوا الشيطان برحمة الله تعالى لهم أي لاتبعتم الشيطان الا قليلا لم يرحمهم الله فاتبعوا الشيطان اذ رحمكم أنتم فلم تتبعوه وهذا نص قولنا ولله تعالى الحمد وقال تعالى . فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا وهذا نص ما قلنا ان من اضله الله تعالى لا سبيل له الى الهدى وان الضلال وقع مع الاضلال من الله تعالى للكافر والفاسق وقال تعالى ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده فاخبر تعالى ان عنده هدى يهدى به من يشاء من عباده فيكون مهتديا وهذا تخصيص ظاهر كما ترى وقال تعالى . فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء . فهذا نص ما قلنا وان الله تعالى قد نص قائلا لنا ان من أراد هداه شرح صدره للاسلام فآمن بلا شك وان من أراد ضلاله ولم يرد هداه ضيق صدره واحرجه حتى يكون كمريد الصعود الى السماء فهذا الايؤمن البتة ولا يستطيع وهو في ظاهره مستطيع بصحة جوارحه

قال أبو محمد ان الضال لمن ضل بعد ما ذكرنا من النصوص التي لا تحتمل تأويلا ومن شهادة خمسة من الانبياء ابراهيم وموسى ويوسف والخضر ومحمد عليهم السلام بانهم لا يستطيعون فعلا لشيء من الخير الا بتوفيق الله تعالى لهم وانهم ان لم يوفقهم ضلوا جميعا مع ما أوردنا من البراهين الضرورية المعروفة بالحس وبديهة العقل

قال أبو محمد ومن عرف تراكيب الاخلاق المحمودة والمذمومة علم انه لا يستطيع احد غير ما يفعل مما خلقه الله عز وجل فيه فتجد الحافظ لا يقدر على تاخر الحفظ والبليد لا يقدر على الحفظ والفهيم لا يقدر على الغباوة والغبي لا يستطيع ذكاء الفهم والحسود لا يقدر على ترك الحسد والنزيه النفس لا يقدر على الحسد والحريص لا يقدر على ترك الحرص والبخيل لا يقدر على البذل والجبان لا يقدر على الشجاعة والكذاب لا يقدر على ضبط نفسه عن الكذب

يسير من الحسن لكونه مملول الطبيعة وما فوقه من العوالم أبهى وأشرف وأحسن الى أن يصل الوصف الى عالم النفس والعقل فيقف فلا يمكن المنطق وصفه ما فيها من الشرف والكرم والحسن والبهاء فليكن حرصكم واجتهادكم على الاتصال بذلك العالم حتى يكون بقاؤكم ودوامكم طويلا بعد ما لكم من الفساد والدثور وتصيرون الى عالم هو حسن كله وبهاء كله وسرور كله وعز وحق كله ويكون سروركم ولذتكم دائمة غير منقطعة قال ومن كانت الوسائط بينه وبين مولاه أكثر

كذلك يوجدون من طفوليتهم والسيء الخلق لايقدر على الحلم والحى لايقدر على القحة والوقح لايقدر على الحياء والعى لايقدر على البيان والطيوش لايقدر على الصبر والغضوب لايقدر على الحلم والصبور لايقدر على الطيش والحليم لايقدر على الغضب والعزيز النفس لايقدر على المهانة والمهين لايقدر على عزة النفس وهكذا فى كل شيء فصح انه لايقدر احد الاعلى مايفعل بما يتم الله تعالى فيهم القوة على فعله وان كان خلاف ذلك متوهما منهم بصحة البنية وعدم المانع

(قال أبو محمد) والملائكة والحور العين والجن وجميع الحيوان كله في الاستطاعة سواء كاذكرنا ولافرق بين شيء في ذلك كله وكلهم قد خلق الله عز وجل فيهم الاستطاعة الظاهرة بصحة الجوارح ولا يكون منهم فعل الا بعون وارد من الله تعالى اذا ورد كان الفعل معه ولا بد قد خلق الله عز وجل فيهم اختيارا وارادة وحركة وسكونا هم افعالهم على غيرها والملائكة وحور العين معصومون لم يخلق الله تعالى فيهم معصية اصلا لاطاعة ولا معصية وأما الذى يقدر على كل مايفعل ومالا يفعل ولم يزل قادرا على كل مايخطر بالقلب فهو واحد لاشريك له وهو الله عز وجل ليس كمثله شيء ولم يكن له كفوا أحد وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى الهدى والتوفيق)

(قال أبو محمد) احتجت المعتزلة بقول الله عز وجل * وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى . وبقوله تعالى . انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا .

(قال ابو محمد) وهذا حق وقد قال تعالى * ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة * فاخبر تعالى ان الذين هدى بعض الناس لا كلهم وقال تعالى * ان تحرص على هداهم فان الله لايهدى من يضل * وهى قراءة مشهورة عن عاصم بفتح الياء من يهدى وكسر الدال فاخبر تعالى ان فى الناس من لم يهده وقال تعالى * من يضلل الله فلا هادى له * فاخبر تعالى ان الذين اضل فلم يهدهم وقال تعالى * فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء * فاخبر تعالى ان الذين هدى غير الذى أضل ومثل هذا كثير وكل ذلك كلام الله عز وجل وكله حق لايتعارض ولا يبطل بعضه بعضا قال الله تعالى * ولوكان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح يقينا ان كل ماأوردنا من الآيات فكلها متفق لاتختلف فنظرنا فى الآيات المذكورة فوجدناها ظاهرة لائحة وهو ان الله تعالى اخبر انه هدى ثمود فلم يهتدوا وهدى الناس كلهم السبيل ثم هم بعد اماشاكر واما كفور وأخبر تعالى فى الآيات الاخر انه هدى قوما فاهتدوا ولم يهد آخرين فلم يهتدوا فعلمنا ضرورة ان الهدى الذى أعطاه الله عزوجل جميع الناس هو غير الذى اعطاه بعضهم ومنعه بعضهم فلم يعطهم اياه هذا

امر

فهو فى رتبة العبودية انقص وان كان البدن مفتقرا فى مصالحه الى تدبير الطبيعة مفتقرة في تأدية أفعالها الى تدبير النفس وكانت النفس مفتقرة فى فى اختيارها الافضل الى ارشاد العقل ولم يكن فوق العقل فاتح الا الهداية الالهية فبالحرى أن يكون المستعين بصريح العقل فى كافة المصارف مشهودا له بفطنة الاكتفاء بمولاه وأن يكون التابع لشهوة البدن المنقاد لدواعى الطبيعة والموانى لهوي النفس بعيدا من مولاه ناقصا فى رتبته

(رأي سقراط ابن سفرنيسقوس) الحكيم

أمر معلوم بضرورة العقل وبديهته فاذ لاشك فى ذلك فقد لاح الامروهوان الهدى فى اللغة العربية من الاسماء المشتركة وهى التى يقع الاسم منها على مسميين مختلفين بنوعهما فصاعدا فالهدى يكون بمعنى الدلالة تقول هديت فلانا الطريق بمعنى أريته اياه ووقفته عليه وأعلمته اياه سواء سلكه أو تركه وتقول فلان هاد بالطريق أى دليل فيه فهذا الهدى الذى هداه الله ثمود وجميع الجن والملائكة وجميع الانس كافرهم ومؤمنهم لانه تعالى دلهم على الطاعات والمعاصى وعرفهم مايسخط مما يرضي فهذا معنى ويكون الهدى بمعنى التوفيق والعون علي الخير والتيسير له وخلقه لقبول الخير فى النفوس فهذا هو الذى اعطاه الله عز وجل الملائكة كلهم والمهتدين من الانس والجن ومنعه الكفار من الطائفتين والفاسقين فيما فسقوا فيه ولو اعطاهم اياه تعالى لما كفروا ولافسقوا وبالله تعالى التوفيق ومما يبين هذا قوله تعالى فى الآيات المذكورة * انا هديناه السبيل * فبين تعالى ان الذى هداهم له فهو الطريق فقط وكذلك ايضا قوله تعالى * الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين * فهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين وكذلك قوله تعالى * ولوشئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين * وقوله تعالي . ولوشاء الله لجمعهم على الهدى . وهذا بلاشك غير ماهدي جميعهم عليه من الدلالة والتبيين للحق من الباطل

(قال ابو محمد) وقوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولاليهديهم طريقا الاطريق جهنم

(قال ابو محمد) فهذا نص جلى على ماقلناو بيان ان الدلالة لهم على طريق جهنم يحملون فيه اليها هدى لهم الى تلك الطريق ونفى عنهم تعالي فى الآخرة كل هدى الى شيء من الطرق الاطريق جهنم ونعوذ بالله من الضلال

(قال ابو محمد) وقال بعض من يتعسف القول بلاعلم ان قول الله عز وجل . وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمي على الهدى . وقوله تعالى . اناهديناه السبيل . وقوله تعالى . وهديناه النجدين انما أراد تعالى بكل ذلك المؤمنين خاصة

(قال ابو محمد) وهذا باطل لوجهين احدهما تخصيص الآيات بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل والثانى ان نص الآيات يمنع من التخصيص ولابد وهو ان الله تعالى قال . وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فرد تعالى الضمير فاستحبوا العمي على الهدي الى المهديين انفسهم فصح أن الذين هدوا لم يهتدوا وايضا فان الله تعالى قال لرسوله صلى الله عليه وسلم . ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء . وقال له تعالى . وانك لتهدى الى صراط مستقيم . فصح يقينا ان الهدي الواجب على النبى صلى الله عليه وسلم هو الدلالة وتعليم الدين وهو غير الهدى الذى ليس هو عليه وانما هو لله تعالى وحده فان ذكر ذاكر قول الله عز وجل * ولوعلم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون * فليس هذا علي ماظنه من لاينعم النظر من ان الله وحده لواسمعهم لم يسمعوا بذلك بل ظاهر الآية مبطل لهذا الظن لانه تعالى قال ولوعلم الله فيهم خيرا لاسمعهم فصح يقينا ان من علم الله تعالى فيه خيرا اسمعه وثبت ان فيه خيرا ثم قال تعالي * ولو اسمعهم لتولوا

الفاضل الزاهد من أثينيه وكان قد اقتبس الحكمة من فيثاغورس وارسالاوس واقتصر من أصنافها على الالهيات والاخلاقيات واشتغل بالزهد ورياضة النفس وتهذيب الاخلاق واعرض عن ملاذ الدنيا واعتزل الى الجبل وأقام فى غار به ونهى الرؤساء الذين كانوا فى زمانه عن الشرك وعبادة الاوثان فثوروا عليه الغاغة والجاؤا الملك الى قتله فحبسه الملك ثم سقاه السم وقصته معروفة قال سقراط أن البارى تعالى لم يزل هويته فقط وهو جوهر فقط واذا رجعنا الى حقيقة الوصف والقول فيه وجدنا النطق

وهم معرضون . فصح يقينا انه اراد بلاشك انه لو أسمعهم لتولوا عن الكفر وهم معرضون عنه لايجوز غيرهذا اصلا لانه تعالى قد نص على أن اسماعه لايكون الا لمن علم فيه خيرا ومن المحال الباطل ان يكون من علم الله تعالى فيه خيرا يتولى عن الخير و يعرض عنه فبطل ماحرفوه بظنونهم من كلام الله عز وجل وكذلك قوله تعالى . انا هديناه السبيلا اما شاكرا واما كفورا . فانه تعالى قسم من هدى السبيل قسمين كفورا وشاكرا فصح ان الكفور أيضا هدى السبيل فبطل ماتوهموه من الباطل ولله تعالى الحمد وصح ماقلنا

ـ﴿ الكلام فى الاضلال ﴾ـ

(قال ابو محمد) وقد تلونا من كلام الله تعالى فى الباب الذى قبل هذا والباب الذى قبله متصلا به نصوصا كثيرة بان الله تعالى اضل من شاء من خلقه وجعل صدورهم ضيقة حرجة فان اعترضوا بقول الله تعالى عن الكفار انهم قالوا * وما اضلنا الا المجرمون * فلا حجة لهم فى هذه الوجوه احدها انه قول كفار قد قالوا الكذب وحكى الله تعالى حينئذ * والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ماكانوا يفترون * فان ابوا الا الاحتجاج بقول الكفار فليجعلوه الى جنب قول ابليس * رب بما اغويتنى لازينن لهم فى الارض * والوجه الثانى اننا لاننكر اضلال المجرمين واضلال ابليس لهم ولكنه اضلال آخر ليس اضلال الله تعالى لهم والثالث انه لاعذر لاحد فى ان الله تعالى اضله ولالوم على الخالق تعالى فى ذلك واما من أضل آخر من دون الله تعالى فهو ملوم وقد فسر الله تعالى اضلاله لمن يضل كيف هو وفسر تعالى ذلك الاضلال تفسيرا اغنانا به عن تفسير الخلعاء العيارين كالنظام والعلاف وثمامة وبشر بن المعتمر والجاحظ والناشى وما هنالك من الاحزاب ومن تبعهم من الجهال فبين تعالى فى نص القرآن أن اضلاله لمن أضل من عباده انما هو ان يضيق صدره عن قبول الايمان وأن يحرجه حتى لايرغب فى تفهمه والجنوح اليه ولايصبر عليه ويوعر عليه الرجوع الى الحق حتى يكون كانه يتكلف فى ذلك الصعود الى السماء . وفسر ذلك ايضا عز وجل فى آية اخرى قد تلوناها آنفا بانه يجعل اكنة على قلوب الكافرين يحول بين قلوبهم وبين تفهم القرآن والاصاخة لبيانه وهداه وان يفقهوه وانه جعل تعالى بينهم وبين قول الرسول صلى الله عليه وسلم حجابا مانعا لهم من الهدى وفسره ايضا تعالى بانه ختم على قلوبهم وطبع عليها فامتنعوا بذلك من وصول الهدى اليها وفسر تعالى اضلال من دونه فقال تعالى انه جعلهم ائمة يدعون الى النار وفسر تعالى ايضا القوة التى اعطاها المؤمنين وحرمها الكافرين بانها تثبيت على قبول الحق وانه تعالى يشرح صدورهم لفهم الحق واعتقاده والعمل به وانه صرف لكيد الشيطان ولفتنته عنهم نسأل الله أن يمدنا بهذه العطية وان يصرف عنا الاضلال بمنه وأن لايكلنا الى انفسنا فقد خاب وخسر من ظن فى نفسه انه قد استكمل القوى حتى استغنى عن أن يزيده الله تعالى توفيقا وعصمة ولم يحتج الى خالقه فى ان يصرف عنه فتنته ولا كيده لاسيما من جعل نفسه اقوى على ذلك من خالقه تعالى ولم يجعل عند خالقه قوة يصرف بها عنه كيد الشيطان نعوذ بالله مما امتحنهم به ونبرأ الى الله خالقنا تعالى من الحول والقوة كلها الا ما اتانا منها متفضلا علينا وأما كل ماجاء فى القرآن من اضلال الشياطين للناس وانسائهم اياهم ذكر الله تعالى وتزيينهم لهم

والعقل قاصرا عن اجتناء وصفه وتحققه وتسميته وادراكه لان الحقائق كلها من تلقاء جوهره فهو المدرك حقا والواصف لكل شيء وصفا والمسمى لكل موجود اسما فكيف يقدر المسمى أن يسميه اسما وكيف يقدر المحاط أن يحيط به وصفا فيرجع فيصفه من جهة اثاره وأفعاله وهى أسماء وصفات الا انها ليست من الاسماء الواقعة على الجوهر المخبر عن حقيقته وذلك مثل قولنا انه أى واضع كل شيء وخالق أى مقدر كل شيء وعزيز أى ممتنع أن يضام وحكيم أى محكم أفعاله على النظام وكذلك سائر

ووسوستهم وفعل بعض الناس ذلك ببعض فصحيح كما جاء فى القرآن دون تكلف وهذا كله القاء لما ذكرنا فى قلوب الناس وهو من الله تعالى خلق لكل ذلك فى القلوب وخالق لافعال هؤلاء المضلين من الجن والانس وكذلك قوله تعالى * حسدا من عند انفسهم * لانه فعل اضيف الى النفس لظهوره منها وهو خلق الله تعالى فيها فان ذكروا قول الله تعالى * وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون * فهو كما قال الله عز وجل وهو حجة على المعتزلة لان الله تعالى اخبر انه لا يضل قوما حتى يبين لهم ما يتقون وما يلزمهم وصدق الله عز وجل لان المرء قبل ان يأتيه خبر الرسول غير ضال بشيء مما يفعل اصلا فانما سمي الله تعالى فعله فى العبد اضلالا بعد بلوغ البيان اليه لا قبل ذلك وبالله التوفيق فصح بهذه الآية انه تعالى يضلهم بعد ان يبين لهم وقد فسر بعضهم الاضلال بانه منع اللطف الذى يقع به الايمان فقط

(قال أبو محمد) ونصوص القرآن تزيد على هذا المعنى زيادة لاشك فيها وتوجب أن الاضلال معنى زائد أعطاه الله للكفار والعصاة وهو ما ذكرنا من تضييق الصدور وتحريجها والختم على القلوب والطبع عليها واكنانها عن أن يفقهوا الحق فان قالوا ان هذا فعل النفوس كلها ان لم يمدها الله تعالى بتوفيق قلنا لهم من خلقها هذه الخلقة المفسدة فان لم يؤيدها بالتوفيق فان قالوا الله تعالى هو خلقها كذلك أقروا بان الله تعالى أعطاها هذه البلية وركب فيها هذه الصفة المهلكة فان فروا الى قول معمر والجاحظ ان هذا كله فعل الطبيعة لم يتخلصوا من سؤالنا وقلنا لهم فمن خلق النفس وخلق فيها هذه الطبيعة الموجبة لهذه الافاعيل فان قالوا الله سبحانه وتعالى اقروا بان الله أعطاها هذه الصفة المهلكة لما ان لم يمدها بلطف وتوفيق وكذلك ان قالوا ان النفس هى فعلت الطبيعة الموجبة لهذه المهالك كانوا مع خروجهم من الاسلام بهذا القول محيلين ايضا محالا ظاهرا لان النفس لو فعلت هى طبيعتها لكانت اما مختارة لفعلها واما مضطرة الى فعلها على ما هى عليها فان كانت مختارة فقد يجب أن تقع طبيعتها مرارا بخلاف مالا توجد الا عليه وان كانت مضطرة فمن خلقها مضطرة الى هذا الفعل فلا بد من انه الله تعالى فرجعوا ضرورة الى أن الله تعالى هو الذى اعطاها هذه الصفة المهلكة التى بها كانت المعصية مع انه لم يقل احد من المسلمين ان النفس احدثت طبيعتها مع انه ايضا قول يبطله الحس والمشاهدة وضرورة العقل

(قال أبو محمد) وأما القائلون بالاصلح من المعتزلة فانهم انقطعوا هاهنا وقالوا لا ندرى ما معنى الاضلال ولا معنى الختم على قلوبهم ولا الطبع عليها وقال بعضهم معنى ذلك ان الله تعالى سماهم ضالين وحكم انهم ضالون وقال بعضهم معنى اضلهم اتلفهم كما تقول ضلت بعيري وهذه كلها دعاوى بلا برهان

(قال أبو محمد) لم نجد لهم تأويلا اصلا فى قول الله عز وجل حكاية عن موسى عليه السلام انه قال * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء *

(قال أبو محمد) وهذا هو الضلال حقا وهو ان يحملهم اللجاج والعمى فى لزوم أصل قد ظهر فساده وتقليد من لا خير فيه من اسلافهم على ان يدعوا انهم لا يعرفون ما معنى الاضلال والختم

الصفات وقال أن علمه وقدرته وجوده وحكمته بلا نهاية ولا يبلغ العقل ان يصفها ولو وصفها لكانت متناهية فالزم عليك انك تقول انها بلا نهاية ولا غاية وقد نرى الموجودات متناهية فقال انما تناهيها بحسب احتمال القوابل لا بحسب القدرة والحكمة والوجود ولما كانت المادة لم تحتمل صورا بلا نهاية فتناهت الصور لا من جهة بخل فى واهب بل لقصور فى المادة وعن هذا اقتضت الحكمة الالهية انها وان تناهت ذاتا وصورة وحيزا ومكانا الا انها لا تناهى زمانا فى آخرها الا من نحو أولها وان لم يتصور بقاء شخص

والطبع والأكنة على القلوب وقد فسر الله كل ذلك تفسيراً جليا وأيضا فانها الفاظ عربية معروفة المعاني فى اللغة التى نزل بها القرآن فلا يحل لاحد صرف لفظة معروفة المعنى فى اللغة عن معناها الذى وضعت له فى اللغة التى بها خاطبنا الله تعالى فى القرآن الى معنى غير ما وضعت له الا أن يأتى نص قرآن أو كلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اجماع من علماء الامة كلها على انها مصروفة عن ذلك المعنى الى غيره أو يوجب صرفها ضرورة حس أو بديهة عقل فيوقف حينئذ عندما جاء من ذلك ولم يات فى هذه الالفاظ التى اضلهم الله تعالى فيها وخيرهم الشيطان عن فهمها نص ولا اجماع ولا ضرورة بانها مصروفة عن موضعها فى اللغة بل قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ميسر لما خلق له فبين عليه السلام أن الهدى والتوفيق هو تيسير الله تعالى للخير الذي له خلقه وان الخذلان تيسيره الفاسق للشر الذى له خلقه وهذا موافق للغة والقرآن والبراهين الضرورية العقلية ولما عليه الفقهاء والائمة المحدثون من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وعامة المسلمين حاشا من أضله الله على علم من أتباع الباريين الخلفاء كالنظام وثمامة والعلاف والجاحظ

(قال أبو محمد) ونبين هذا أيضا بيانا طبيعيا ضروريا لا خفاء به بعون الله تعالى وتاييده على من له أدنى بصر بالنفس واخلاقها وقدرة الله تعالى فى اختراعها فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الله عز وجل خلق نفس الانسان مميزة عاقلة عارفة بالاشياء على ما هى عليه فهمة بما تخاطب به وجعلها ماموره منهية فعالة منعمة معذبة ملتذة آلمة حساسة وخلق فيها قوتين متعاديتين متضادتين فى التاثير وهما التميز والهوى كل واحدة منهما تريد الغلبه على اثار النفس فالتميز هو الذى خص نفس الانسان والجن والملائكة دون الحيوان الذى لا يكلف والذي ليس ناطقا والهوى هو الذى يشاركها فيه نفوس الجن والحيوان الذى ليس ناطقا من حب اللذات والغلبة

(قال ابو محمد) وهذه القوة فى كل الحيوان حاشا الملائكة فانما فيها قوة التمييز فقط ولذلك لم يقع منها معصية اصلا بوجه من الوجوه فاذا عصم الله النفس غلب التمييز بقوة من عنده هى له مددو عون فجرت افعال النفس على مارتب الله عز وجل فى تمييزها من فعل الطاعات وهذا هو الذى يسمى العقل واذا خذل جل وعز النفس امد الهوي بقوة هى الاضلال فجرت افعال النفس علي مارتب الله عز وجل فى هواها من الشهوات وحب الغلبة والحرص والبغى والحسد وسائر الاخلاق الرذلة والمعاصى وقد قامت البراهين على ان النفس مخلوقة وكذلك جميع قواها المنتجه عن قوتيها الاولتين التمييز والهوى كل ذلك مخلوق مركب فى النفس مرتب على ماهو عليه فيها كل جار على طبيعته المخلوق لجرى كيفياته بها على ماهي عليه فاذ قد صح ان كل ذلك خلق الله تعالى فلا مغلب لبعض ذلك علي بعض الا الخالق الكل وحده لا شريك له وقد نص الله تعالى على ذم النفس جملة الا من رحمها الله تعالى وعصمها قال جل وعز * ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى * فاخبر عز وجل بنص ما قلنا فصح ان المرحومة المستثناة لا تأمر بسوء وبالله تعالى التوفيق قال الله تعالى * وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى . وذم الله تعالى الهوى فى غير ما موضع من كتابه وهذا نص ما قلنا وحسبنا الله ونعم الوكيل

فاقتضت الحكمة استيفاء الاشخاص ببقاء الانواع وذلك تجدد أمثالها ليستحفظ الشخص ببقاء النوع واستبقى النوع بتجدد الاشخاص فلا يبلغ القدرة الى حد النهاية ولا الحكمة تقف على غاية ثم من مذهب سقراط ان أخص ما يوصف به البارى تعالى هو كونه حيا قيوما لان العلم والقدرة والجود والحكمة تندرج تحت كونه حيا والحياة صفة جامعة للكل والبقاء والسرمد والدوام تندرج تحت كونه قيوما والقيومية صفة جامعة للكل وربما يقول هو حى ناطق من جوهره أى من ذاته وحياتنا ونطقنا لا من

الكلام في القضاء والقدر

(قال أبو محمد) ذهب بعض الناس لكثرة استعمال المسلمين هاتين اللفظتين الى ان ظنوا ان فيهما معنى الاكراه والاجبار وليس كما ظنوا وانما معنى القضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله تعالى ورسوله صلي الله عليه وسلم وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا انه الحكم فقط ولذلك يقولون القاضي بمعنى الحاكم وقضى الله عز وجل بكذا أي حكم به ويكون أيضاً بمعنى امر قال تعالى . وقضي ربك ألا تعبدوا إلا إياه * انما معناه بلا خلاف انه تعالى أمر أن لا تعبدوا إلا إياه ويكون أيضا بمعنى أخبر قال الله تعالى * وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * بمعنى اخبرناه ان دابرهم مقطوع بالصباح وقال تعالى * وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا * أي أخبرناهم بذلك ويكون أيضا بمعنى أراد وهو قريب من معنى حكم قال الله تعالى * اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون * ومعنى ذلك حكم بكونه فكونه ومعنى القدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهي اليه الشيء تقول قدرت البناء تقديرا اذا رتبته وحددته قال تعالى * وقدر فيها اقواتها * بمعنى رتب اقواتها وحددها وقال تعالى * انا كل شيء خلقناه بقدر * يريد تعالى برتبة وحد فمعنى قضى وقدر حكم ورتب ومعنى القضاء والقدر حكم الله تعالى في شيء بحمده أو ذمه وبكونه وترتيبه على صفة كذا والى وقت كذا فقط وبالله تعالى التوفيق

الكلام في البدل

(قال أبو محمد) قال بعض القائلين بالاستطاعة مع الفعل اذا سئل هل يستطيع الكافر ما امر به من الايمان أم لا يستطيعه فاجاب أن الكافر مستطيع للايمان على البدل بمعنى ان لا يتمادى في الكفر لكن يقطعه ويبدل منه الايمان

(قال أبو محمد) والذي يجب أن يجيب به هو الجواب الذي بينا صحته بحول الله تعالى وقوته في كلامنا في الاستطاعة وهو أن تقول هو مستطيع في ظاهر الامر بسلامة جوارحه وارتفاع موانعه غير مستطيع للجمع بين الايمان والكفر مادام كافرا ومادام لا يؤتيه الله جل وعز العون فاذا آتاه اياه تمت استطاعته وفعل ولا بد فان قيل فهو مكلف مامور قلنا نعم فان قيل أهو عاجز عما هو مامور به ومكلف أن يفعله قلنا وبالله التوفيق هو غير عاجز بظاهر بنيته لسلامة جوارحه وارتفاع الموانع وهو عاجز عن الجمع بين الفعل وضده مالم ينزل الله تعالى له العون فيتم ارتفاع العجز عنه ويوجد الفعل ولا بد وتقول ان العجز في اللغة انما يقع على الممنوع بآفة على الجوارح أو بمانع ظاهر الى الحواس والمامور بالفعل ليس في ظاهر امره عاجزا اذ لا آفة في جوارحه ولا مانع له ظاهرا وهو في الحقيقة عاجز عن الجمع بين الفعل وضده وبين الفعل وتركه وعن فعل مالم يؤته الله عونا عليه وعن تكذيب علم الله تعالى الذي لم يزل بانه لم يفعل الا ما سبق علمه تعالى فيه هذه حقيقة الجواب في هذا الباب والحمد لله رب العالمين فان قيل فهو مختار لما يفعل قلنا نعم اختيارا صحيحا لا مجازا لانه مريد لكونه منه محب له مؤثر على تركه وهذا معنى لفظة الاختيار على الحقيقة وليس مضطرا ولا مجبرا ولا مكرها لان هذه الفاظ في اللغه لا تقع الا على الكاره لما يكون منه في هذه الحال وقد يكون المرء مضطرا مختارا مكرها في حالة واحدة كانسان في رجله اكلة لا دواء له الا بقطعها

جوهرنا ولهذا يتطرق الى حياتنا ونطقنا العدم والدثور والفساد ولا يتطرق ذلك الى حياته ونطقه تعالى وتقدس وحكى (فلوطرخيس) عنه في المبادى انه قال أصول الاشياء ثلاثة وهي العلة الفاعلة والعنصر والصورة فالله تعالى هو الفاعل والعنصر هو الموضوع الاول للكون والفساد والصورة جوهر لا كون وقال الطبيعة امة للنفوس والنفس امة للعقل والعقل امة للمبدع الاول من أجل أن أول مبدع أبدعه المبدع الاول صورة العقل وقال المبدع لا غاية له ولا نهاية وما ليس له نهاية ليس له

فيامر اعوانه مختارالامره اياهم بقطعها وبحسمها بالنار بعد القطع ويامرهم بامساكه وضبطه وان لا يلتفتوا الى صياحه ولا الى أمره لهم بتركه اذا احس الالم ويتوعدهم على التقصير فى ذلك بالضرب والنكال الشديد فيفعلون به ذلك فهو مختار لقطع رجله اذ لو كره ذلك كراهة تامة لم يكرهه أحد على ذلك وهو بلا شك كاره لقطعها مضطر اليه اذ لو وجد سبيلا بوجه من الوجوه دون الموت الى ترك قطعها لم يقطعها وهو مجبر مكره بالضبط من أعوانه حتى يتم القطع والحسم اذ لو لم يضبطوه ويعسروه ويقهروه ويكرهوه ويجبروه لم يمكن من قطعها البتة وانما اتينا بهذا لئلا ينكر الجاهلون أن يكون أحد يوجد مختارا من وجه مكرها من وجه آخر عاجزا من وجه مستطيعا من آخر قادرا من وجه ممنوعا من آخر وبالله تعالى نتايد

الكلام فى خلق الله عز وجل لافعال خلقه

(قال ابو محمد) اختلفوا فى خلق الله تعالى لافعال عباده فذهب اهل السنة كلهم وكل من قال بالاستطاعة مع الفعل كالمريسى وابن عون والنجارية والاشعرية والجهمية وطوائف من الخوارج والمرجئة والشيعة الى ان جميع افعال العباد مخلوقة خلقها الله عز وجل فى الفاعلين لها ووافقهم على هذا موافقة صحيحة من المعتزلة ضرار بن عمرو وصاحبه ابو يحيى حفص الفرد وذهب سائر المعتزلة ومن وافقهم على ذلك من المرجئة والخوارج والشيعة الى ان افعال العباد محدثة فعلها فاعلوها ولم يخلقها الله عز وجل على تخليط منهم فى مائية افعال النفس الا بشر بن المعتمر عطف فقال الا انه ليس شيء من افعال العباد الا ولله تعالى فيه فعل من طريق الاسم والحكم يريد بذلك انه ليس للناس فعل الا ولله تعالى فيه حكم بانه صواب أو خطأ ونسميه بانه حسن أو قبيح طاعة أو معصية

(قال ابو محمد) وقد ادى هذا القول الفاحش الملعون رجلا من كبار المعتزلة وهو عباد بن سليمان تلميذ هشام بن عمرو الفوطى الى ان قال ان الله تعالى لم يخلق الكفار لانهم ناس وكفر معا لكن خلق أجسامهم دون كفرهم

(قال ابو محمد) ويلزمه مثل هذا نفسه فى المؤمنين وفى جميع الملائكة والجن لانه ليس الا مؤمن وكافر والمؤمن انسان وايمانه أو ملك وايمانه أو جنى وايمانه وكفره فعلى قول هذا البائس السخيف لا يجوز ان يقال ان الله تعالى خلق من الناس ولا الجن ولا الملائكة سعيد بل يكون القول بهذا كذبا وحسبك بهذا القول خلافا للقرآن وللمسلمين وقال معمر والجاحظ ان افعال العباد كلها لا فعل لهم فيها وانما نسب اليهم مجازا لظهورها منهم وانها فعل الطبيعة حاشا الارادة فقط فانه لا فعل للانسان غيرها البتة

(قال ابو محمد) ومن تدبر هذا القول علم انه أقبح من قول جهم وجميع المجبرة لانهم جعلوا افعال العباد طبيعة اضطرارية كفعل النار للاحراق بطبعها وفعل الثلج للتبريد بطبعه وفعل السقمونيا فى احدارها الصفراء بطبعها وهذه صفة الاموات لا صفة الاحياء المختارين واذا لم يبق على قول هذين الرجلين للانسان فعل الا الارادة فقد وجدنا الارادة لا يقدر الانسان على صرفها ولا احالتها ولا على تبديلها بوجه من الوجوه وانما يظهر من المرء تبديل حركاته وسكونه واما ارادته فلا حيلة له فيها ونحن نجد كل قوى الآلة من الرجال

شخص وصورة وقال اللانهاية فى سائر الموجودات لو تحققت لكان لها صورة واقعة ووضع وترتيب وما تحقق له صورة ووضع وترتيب صار متناهيا فالموجودات ليست بلا نهاية والمبدع الاول ليس بذى نهاية ليس على انه ذاهب فى الجهات بلا نهاية كما يتخيله الخيال والوهم بل لا يرتقى اليه الخيال حتى يصفه بنهاية ولا نهاية فلانهاية له من جهة العقل اذ ليس يحده ولا من جهة الحس فليس يحده فهو ليس له نهاية فليس له شخص وصورة خيالية أو وجودية حسية أو عقلية تعالى وتقدس ومن مذهب (سقراط) ان النفوس

يحب وطء كل جميلة يستمتع بها لولا التقوى و يحب النوم عن الصلاة فى الليالى القارة والهواجر الحارة و يحب الاكل فى ايام الصوم ويحب امساك ماله عن الزكاة وانما ياتى خلاف مايريد مغالبة لارادته وقهرا لها واماصرفالها فلا سبيل له اليه فقد تم الاخبار صحيحا على قول هذين الرجلين وحسبنا الله ونعم الوكيل

(قال أبو محمد) والبرهان على صحة قول من قال ان الله تعالى خلق أعمال العباد كلها نصوص من القرآن و براهين ضرورية منتجة من بديهة العقل والحس لايغيب عنها الا جاهل وبالله تعالى التوفيق فمن النصوص قول الله عز وجل * هل من خالق غير الله

(قال أبو محمد) هذا كاف لمن عقل واتقى الله وقد قال لى بعضهم انما انكر الله تعالى ان يكون هاهنا خالق غيره يرزقنا كما فى نص الآية

(قال أبو محمد) وجواب هذا انه ليس كما ظن هذا القائل بل القضية قد تمت فى قوله غير الله ثم ابتدأ عز وجل بتعديد نعمه علينا فاخبرنا انه يرزقنا من السماء والارض وقال تعالى . فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم . وهذا برهان جلى على ان الدين مخلوق لله عز وجل وقال تعالى . والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا

(قال أبو محمد) ومنهم من يعبد المسيح وقالت الملائكة وصدقوا بل كانوا يعبدون الجن فصح ان كل ماعبدوه ومنهم المسيح والجن لايخلقون شيئا ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فثبت يقينا انهم مصرفون مدبرون وان أفعالهم مخلوقة لغيرهم وقال تعالى . افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون .

(قال ابو محمد) وهذا نص جلى على ابطال ان يخلق احد دون الله تعالى شيئا لانه لو كان هاهنا احد غيره تعالى يخلق لكان من يخلق موجودا جنسا فى حيز ومن لا يخلق جنسا آخر وكان الشبه بين من يخلق موجودا وكان من لا يخلق لا يشبه من يخلق وهذا الحاد عظيم فصح بنص هذه الآية ان الله تعالى هو يخلق وحده وكل من عداه لا يخلق شيئا فليس احد مثله تعالى فليس من يخلق وهو الله تعالى كمن لا يخلق وهو كل من سواه وقال تعالى . ولكل وجهة هو موليها . وهذا نص جلى من كذب به كفر وقد علمنا انه تعالى لم يأمر بتلك الوجهات كلها بل فيها كفر قد نهى الله عز وجل عنه فلم يبق اذ هو مولى كل وجهة الا انه خالق كل وجهة لا احدا من الناس وهذا كاف لمن عقل ونصح نفسه ومنها قول الله عز وجل . هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه . وهذا ايجاب لان الله تعالى خلق كل مافي العالم وان كل من دونه لايخلق شيئا اصلا ولو كان هنا خالق لشىء من الاشياء غير الله تعالى لكان جواب هؤلاء المقررين جوابا قاطعا ولقالوا له نعم نريك افعالنا خلقها من دونك ونعم هاهنا خالقون كثير وهم نحن لافعالنا وقوله عز وجل * أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شىء * وهذا بيان واضح لاخفاء به لان الخلق كله جواهر واعراض ولا شك فى انه لا يفعل الجواهر احد دون الله تعالى وانما يفعله الله عز وجل وحده فلم تبق الا الاعراض فلو كان الله عز وجل خالقا لبعض الاعراض ويكون الناس خالقين

الانسانية كانت موجودة قبل وجود الابدان على نحو من انحاء أما متصلة بكلها أو متمايزة بذواتها وخواصها فاتصلت بالابدان استكمالا واستدامة والابدان قوالبها وآلاتها فتبطل الابدان وترجع النفوس الى كليتها وعن هذا كان يخوف بالملك الذى حبسه انه يريد قتله قال ان سقراط فى حب والملك لا يقدر الاعلى كسر الحب فالحب يكسر ويرجع الماء الى البحر ولسقراط أقاويل فى المسائل الحكمية والعامية والعملية ومما اختلف فيه فيثاغورس وسقراط أن الحكمة قبل الحق أم الحق قبل الحكمة واوضح القول فيه بان الحق اعم من الحكمة الا انه قد يكون جليا وقد يكون خفيا واما الحكمة فهى أخص من

لبضعها لكانوا شركاء فى الخلق ولكانوا قد خلقوا كخلقه خلق اعراضا وخلقوا اعراضا وهذا تكذيب لله تعالى ورد للقرآن مجردا فصح انه لا يخلق شيئا غير الله عز وجل وحده والخلق هو الاختراع فالله مخترع افعالنا كسائر الاعراض ولا فرق فان نفوا خلق الله تعالى لجميع الاعراض لزمهم ان يقولوا انها افعال لغير فاعل أو انها فعل لمن ظهرت منه من الاجرام الجمادية وغيرها فان قالوا هي افعال لغير فاعل فهذا قول اهل الدهر نصا ويكلمون حينئذ بما يكلم به اهل الدهر وان قالوا انها افعال الاجرام كانوا قد جعلوا الجمادات فاعلة مخترعة وهذا باطل محال وهو ايضا غير قولهم فالطبيعة لا تفعل شيئا مخترعة له وانما الفاعل لما ظهر منها خالق الطبيعة المظهر منها ما ظهر فهو خالق الكل ولا بد ولله الحمد ومنها قوله تعالى . أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون . انه خلقنا وخلق العيدان والمعادن التى تعمل وهذا نص جلى على انه تعالى خلق اعمالنا وقد فسر بعضهم قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون منها الاوثان

(قال ابو محمد) وهذا كلام سخيف دل على جهل قائله وعناده وانقطاعه لانه لا يقول احد فى اللغة التى بها خوطبنا فى القرآن وبها نتفاهم فيما بيننا ان الانسان يعمل العود والحجر هذا مالا يجوز فى اللغة أصلا ولا فى المعقول وانما يستعمل ذلك موصولا فنقول عملت هذا العود صنما وهذا الحجر وثنا فانما بين تعالى خلقه الصنمية التى هي شكل الصنم ونص تعالي علي ذلك بقوله تعالى اتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فانما عملنا النحت بنص الاية وبضرورة المشاهدة فهى التى عملنا وهى التى اخبرنا تعالى أنه خلقها

(قال ابو محمد) وقد ذكر عن كبير منهم وهو محمد بن عبد الله الاسكافى انه كان يقول ان الله تعالى لم يخلق العيدان ولا الطنابير ولا المزامير ولقد يلزم المعتزلة ان توافقه على هذا لان الخشبة لا تسمى عودا ولا طنبورا ولو حلف انسان لا يشترى طنبورا فاشترى خشبا لم يحنث وكذلك لو حلف ان لا يشترى خشبا فاشترى طنبورا لم يحنث ولا يقع فى اللغة علي الطنبور اسم خشبة وقال تعالي * خلق السموات والارض . فهى مخلوقة بنص القرآن وقد قال بعضهم انما قال تعالى . خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة ايام فكانت اعمال الناس مخلوقة فى تلك الايام

(قال أبو محمد) لم ينف الله عز وجل ان يخلق شيئا بعد الستة أيام بل قد قال عز وجل يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق . وقال تعالى . ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين . فكان هذا كله فى غير تلك الستة الايام فاذ قد جاء النص بأن الله تعالى يخلق بعد تلك الايام أبدا ولا يزال يخلق بعد ناشئة الدنيا ثم لا يزال يخلق نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أبدا بلا نهاية الاان عموم خلقه تعال للسموات والارض وما بينهما باق علي كل موجود وقال بعضهم لا نقول ان أعمالنا بين السماء والارض لانها غير مماسة للسماء والارض

(قال أبو محمد) وهذا عين التخليط لان الله تعالى لم يشترط المماسة فى ذلك وقد قال تعالى . والسحاب المسخر بين السماء والارض . فصح ان السحاب ليست مماسة للسماء

الحق الا انها لا تكون الا جلية فاذا الحق مبسوط فى العالم مشتمل على الحكمة المستفيضة فى العالم والحكمة موضحة للحق المبسوط فى العالم والحق ما به الشيء والحكمة ما لاجله الشيء ولسقراط الغاز ورموز القاها الى تلميذه اذخانس وحلها فى كتاب فاذن ونحن نوردها مرسلة معقودة منها قوله عند ما فتشت عليه الحياة لقيت الموت وعند ما وجدت الموت لقيت الحياة الدائمة ومنها اسكت عن الضوضاء الذى فى الهواء وتكلم بالليالى حيث لا يكون اعشاش الخفافيش واسدد الخمس الكوى ليضيء مسكن العلة وأملا الوغاطيا وأفرغ على المثلث من القلاع الفارغة وأجلس على باب الكلام وأمسك مع الحذر اللحام الرخو لئلا يصعب فترى

للارض فهى اذا علي قول هذا الجاهل غير مخلوقة ويلزمه أيضا ان يقول بقول معمر والجاحظ فى أن الله تعالى لم يخلق الالوان ولاالطعوم ولاالروائح ولاالموت ولاالحياة لان كل هذاغير مماس للسماء ولا للارض

(قال ابو محمد) وأما قول معمر والجاحظ ان كل هذا فعل الطبيعة فغباوة شديدة وجهل بالطبيعة ومعنى لفظ الطبيعة انما هى قوة الشيء تجرى بها كيفياته على ماهى عليه وبالضرورة نعلم ان تلك القوة عرض لا يعقل وكل ماكان مما لا اختيار له من جسم أو عرض كالحجارة وسائر الجمادات فمن نسب الى مايظهر منها انها أفعالها مخترعة لها فهو فى غاية الجهل وبالضرورة نعلم ان تلك الافعال خلق غيرها فيها ولا خالق هاهنا الا خالق الكل وهو الله لا اله الا هو

(قال أبو محمد) ومن بلغ ههنا فقد كفانا الله تعالى شأنه لمجاهرته بالجهل العظيم والكفر المجرد فى موافقته أهل الدهر وتكذيبه القرآن اذ يقول الله تبارك وتعالى. الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا. وقوله تعالى. تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل. فاخبر تعالى ان تفاضلها فى الطعوم من فعله عزوجل نعوذ بالله مما ابتلاهم به وأقحمهم فيه وقال معمر معنى قوله تعالى. خلق الموت والحياة. انما معناه الاماتة والاحياء

(قال أبو محمد) فما زاد على انه أبدى تمام جهله بوجهين بينين أحدهما احالته النص من كلام ربه تعالى بلا دليل والثاني انه لم يزل عما لزمه لان الموت والحياة هما الاماتة والاحياء بلاشك لان الحياة والاحياء هو جمع النفس مع الجسد المركب الارضى والموت والاماتة شيء واحد وهو التفريق بين النفس والجسد المذكور فقط فاذا كان جمع النفس والجسد وتفريقهما مخلوقين لله تعالى فقد صح ان الموت والحياة مخلوقان له تعالى يقينا وبطل تمويه هذا المجنون

(قال أبو محمد) ومن النصوص القاطعة فى هذا قول الله تعالى. انا كل شيء خلقناه بقدر فلجأ بعضهم الى دعوى الخصوص وذكر قول الله تعالي. تدمر كل شيء بامر ربها فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم. وقوله تعالى. وأوتيت من كل شيء. وقوله. ففتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا

(قال أبو محمد) وكل هذا لا حجة لهم فيه لان قوله تعالي تدمر كل شيء بامر ربها بيان جلى علي انها انما دمرت كل شيء أمرها الله تعالى بتدميره لا مالم يأمرها فهو عموم لكل شيء أمرها به وقوله تعالى وأوتيت من كل شيء فمن للتبعيض فمن أتاه الله شيئا من الاشياء فقد أتاه من كل شيء لانه قد أتاه بعض الاشياء وأما قوله تعالى ففتحنا عليهم أبواب كل شيء فحق ونحن لا ندرى كيفية ذلك الفتح الا أننا ندرى أن الله تعالى صدق فيما قال وانه تعالى انما أتاهم بعض الاشياء التى فتح عليهم أبوابها ثم لو صح برهان فى بعض هذا العموم انه ليس علي ظاهره وانما أريد به الخصوص لما وجب من ذلك ان يحمل كل عموم على خلاف ظاهره بل كل عموم فعلى ظاهره حتى يقوم برهان بانه مخصوص أو انه منسوخ فيوقف عنده ولا يتعدى بالتخصيص وبالنسخ الى مالم يقم برهان بانه منسوخ أو مخصوص ولو كان غير هذا لما صحت

نظام الكواكب ولا تأكل الاسود الذئب ولا تجاوز الميزان ولا تستوطن النار بالسكين ولا تجلس على المكيال ولا تشم التفاحة وامت الحى يحي بموته وكن قاتله بالسكين المرين أو غير المرين واحذر الاسود ذا الاربع ومن جهة العلة كن أرنبا وعند الموت لا تكن نملة وعند مايذكر دوران الحياة امت الميت ليكون ذاكرا وكن مقضضا ولا تكن صديق شرايطى ولا تكن مع اصدقائك قوسا ولا تنعس علي باب اعدائك واثبت علي ينبوع واحد متكئا علي يمينك وينبغي أن تعلم انه ليس زمان من الازمنة يفقد فيه زمان الربيع وافحص عن ثلاث سبل فاذا لم تجدها فارض بان تنام لها نوم المستغرق واضرب الاترجة بالرمانة

حقيقة في شيء من أخبار الله تعالى ولا صحت شريعة أبداً لانه لا يعجز أحد فى أمر من أوامر الله تعالى وفى كل خبر من أخباره عز وجل ان يحمله على غير ظاهره وعلى بعض مايقتضيه عمومه وهذا عين السفسطة والكفر والحماقة ونعوذ بالله من الخذلان ولم يقم برهان على تخصيص قوله تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر

(قال أبو محمد) ومن ذلك قوله تعالى * ما أصاب من مصيبة فى الارض ولا فى أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم *

(قال ابو محمد) فنص الله على انه برأ المصائب كلها فهو بارىء لها والبارىء هو الخالق نفسه بلا شك فصح يقينا ان الله تعالى خالق كل شيء اذ هو خالق كل ما أصاب فى الارض وفى النفوس ثم زاد تعالى بيانا برفع الاشكال جملة بقوله تعالى لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فبين تعالى أن ما أصاب الاموال والنفوس من المصائب فهو خالقها وقد تكون تلك المصائب افعال الظالمين باتلاف الاموال وأذى النفوس فنص تعالى على أن كل ذلك خلق له تعالى وبه عز وجل التوفيق وأما من طريق النظر فان الحركة نوع واحد وكل ما يقال على جملة النوع فهو يقال مقول على أشخاص ذلك النوع ولا بد فان كان النوع مخلوقا فاشخاصه مخلوقة وأيضا فلو كان فى العالم شيء غير مخلوق لله عز وجل لكان من قال العالم مخلوق والاشياء مخلوقة ومادون الله تعالى مخلوق كاذب لان فى كل ذلك عندهم ماليس بمخلوق ولكان من قال العالم غير مخلوق ولم يخلق الله تعالى الاشياء صادقا ونعوذ بالله تعالى من كل قول أدى الى هذا ونسألهم هل الله تعالى اله العالم ورب كل شيء أم لا فان قالوا نعم سئلوا اعموماً او خصوصا فان قالوا بل عموما صدقوا ولزمهم ترك قولهم اذ من المحال أن يكون تعالى الها لما لم يخلق وان قالوا بل خصوصا قيل لهم ففى العالم اذا ماليس الله الها له ومالا رب له وان كان هذا فان من قال ان الله تعالى رب العالمين كاذب وكان من قال ليس الله الها للعالمين ولا رب العالمين صادقا وهذا خروج عن الاسلام وتكذيب لله تعالى فى قوله انه رب العالمين وخالق كل شيء وقد وافقونا على أن الله تعالى خالق حركات المختارين من سائر الحيوان غير الملائكة والانس والجن وبالضرورة ندرى الحركات الاختيارية كلها نوع واحد فمن المحال الباطل ان يكون بعض النوع مخلوقا وبعضه غير مخلوق

(قال أبو محمد) واعترضوا باشياء من القرآن وهى انهم قالوا قال الله عز وجل * فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . وقال تعالى . لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله . وقال تعالى . فتبارك الله أحسن الخالقين . وقوله تعالى . وتخلقون افكا . وقوله تعالى * صنع الله الذى اتقن كل شيء . وقوله . الذي أحسن كل شيء خلقه . وقوله . ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت . واعترضوا باشياء من طريق النظر وهي ان قالوا ان كان الله تعالى خلق أعمال العباد فهو اذا يغضب مما خلق ويكره ما فعل ويسخط فعله ولا يرضى ما فعل ولا مادبر وقالوا أيضا كل من فعل شيئا فهو مسمى به ومنسوب اليه لا يعقل غير ذلك فلو خلق الله الخطاء والكذب والظلم والكفر لنسب كل ذلك اليه تعالى الله عن ذلك وقالوا ايضا لا يعقل فعل واحد من فاعلين

واقتل العقرب بالصوم وان أحببت أن تكون ملكا فكن حمار وحش وليست التسعة باكمل من الواحد وبالاثنى عشر اقتنى اثنى عشر وازرع بالاسود واحصد بالابيض ولا تسلبن الاكليل ولا تهتكه ولا تقفن راضيا بعدمك للخير وأنت موجود ذلك لك فى أربعة وعشرين مكانا وان سألك سائل أن تعطيه من هذا الغذاء فبزه وان كان مستحقا للغذاء المرى فاعطه وان احتاج الى غذاء يمينك فاصنعه لان اللون الذى يطلب ذلك من كال الغذاء فهو للبالغين وقال يكفى من تاجج النار نورها وقال له رجل من أين لى هذا المشار اليه واحد فقال لانى أعلم أن الواحد بالاطلاق غير محتاج الى الثانى فمتى فرضته قريبا للواحد كنت

هذا فعله كله أو هذا فعله كله وقالوا أيضا انتم تقولون ان الله تعالى خلق الفعل وان العبدا كتسبه فاخبرونا عن هذا الاكتساب الذى انفرد به العبد أهو خلق أم هو غيره فان قلتم هو خلق الله لزمكم انه تعالى اكتسبه وانه مكتسب له اذا الكسب هو الخلق وان قلتم ان الكسب هو غير الخلق وليس خلقا لله تعالى تركتم قولكم ورجعتم الى قولنا وقالوا أيضا اذا كانت أفعالكم مخلوقة لله تعالى وانتم تقولون انكم مستطيعون على فعلها وعلى تركها فقد اوجبتم أنكم مستطيعون على ان لا يخلق الله تعالى بعض خلقه وقالوا أيضا اذا كان فعلكم خلقا لله تعالى وعذبكم على فعلكم فقد عذبكم على ما خلق وقالوا ايضا قد فرض الله علينا الرضا بما خلق فان كان الظلم والكفر والكذب مما خلق ففرض علينا الرضا بالكفر والظلم والكذب

(قال ابو محمد) هذه عمدة اعتراضاتهم التى لا يشذ عنها شيء من تفريعاتهم وكل ما ذكروا لا حجة لهم فيه على ما نبين ان شاء الله تعالى بعونه وتأييده ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فنقول وبالله تعالى نستعين أما قول الله تعالى * ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله * فلا حجة لهم فى هذا لان اول الآية فى قوم كتبوا كتابا وقالوا هذا من عند الله فاكذبهم الله تعالى فى ذلك واخبر انه ليس منزلا من عنده ولا مما امر به عز وجل ولم يقل هؤلاء القوم ان هذا الكتاب مخلوق فاكذبهم الله تعالى فى ذلك وقال تعالى ان ذلك الكتاب ليس مخلوقا لله تعالى فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة ولا شك عند المعتزلة وعندنا فى ان ذلك الكتاب مخلوق لله تعالى لانه قرطاس اواديم ومداد وكل ذلك مخلوق بلا شك واما قوله تبارك وتعالى * الله احسن الخالقين * فقد علمنا ان كلام الله تعالى لا يتعارض ولا يتدافع * وقال تعالى * ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فاذا لا شك فى هذا فقد وجدناه تعالى انكر على الكافرين * فقال تعالى * ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار * فهذه الآية بينت ما تعلق به المعتزلة وذلك ان قوما جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فجعلوهم خالقين فانكر الله تعالى ذلك فعلى هذا خرج * قوله تعالى * تبارك الله أحسن الخالقين * كما قال تعالى * يكيدون كيدا واكيد كيدا * وقال * ومكروا ومكر الله * ويبين بطلان ظنون المعتزلة فى هذه الآية قول الله تعالى * ويوم يناديهم أين شركائى قالوا آذناك ما منا من شهيد * أفيكون مسلما من اوجب لله تعالى شركاء من اجل قول الله تعالى للكفار الذين جعلوا له شركاء أين شركائى ولا شك فى ان هذا الخطاب انما خرج جوابا عن ايجابهم له الشركاء تعالى الله عن ذلك وكذلك قوله تعالى * ذق انك انت العزيز الكريم * وقد علمنا ان كلام الله تعالى كله هو على حكم ذلك المعذب لنفسه فى الدنيا انه العزيز الكريم وقد علمنا بضرورة العقل والنص انه ليس لله تعالى شركاء وانه لا خالق غيره عز وجل وانه خالق كل شيء فى العالم من عرض او جوهر وبهذا خرج قوله تعالى * احسن الخالقين * مع * قوله تعالى * افمن يخلق كمن لا يخلق * فلو امكن ان يكون فى العالم خالق غير الله تعالى يخلق شيئا لما انكر ذلك عز وجل اذ هو عز وجل لا ينكر وجود الموجودات وانما ينكر الباطل فصح ضرورة لا شك فيها انه لا خالق غير الله تعالى فاذ لا شك فى هذا فليس فى قول الله تعالى احسن الخالقين اثبات لان فى العالم خالقا غير الله تعالى يخلق شيئا وبالله تعالى التوفيق واما قوله * وتخلقون افكا * وقوله تعالى عن المسيح عليه السلام

كواضع مالا يحتاج اليه البتة الى جانب مالابد منه البتة وقال الانسان له مرتبة واحدة من جهة واحدة وثلاث مراتب من جهة هيئته وقال للقلب آفتان الغم والهم فالغم يعرض منه النوم والهم يعرض منه السهر وقال الحكمة اذا اقبلت خدمت الشهوات العقول واذا ادبرت خدمت العقول الشهوات وقال لا تكرهوا اولادكم على آثاركم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم وقال ينبغى ان تغتم بالحياة وتفرح بالموت لانا نحيي لنموت ونموت لنحيى وقال قلوب المعترفين فى المعرفة بالحقائق منابر الملائكة وبطون المتلذذين بالشهوات قبور الحيوانات الهالكة وقال للحياة حدان احدهما الممل والثانى الاجل فبالاول بقاؤها وبالآخر فناؤها وقال النفس الناطقة جوهر

انه قال * انى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير * وقول زهير بن ابي سلمى المزنى
وأراك تخلق ما فريت * وبعض القوم يخلق ثم لايفرى
فقد قلنا ان كلام الله تعالى لايختلف وقد قال تعالي * أفمن يخلق كمن لايخلق * وقال تعالى * ام اتخذوا من دون الله آلهة لايخلقون شيئا وهم يخلقون * وبيقين علم كل ذى عقل ان من جملة اولئك الآلهة الذين اتخذهم الكفار الملائكة والجن والمسيح عليه السلام قال تعالى * لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . وقال الله تعالي حاكيا عن الملائكة انهم قالوا عن الكفار * بل كانوا يعبدون الجن * فقد صح يقينا بنص هذه الآية ان الملائكة والجن والمسيح عليه السلام لايخلقون شيئا اصلا ولا يختلف اثنان فى ان جميع الانس فى فعلهم كمن ذكرنا ان كانوا هؤلاء يخلقون افعالهم فسائر الناس يخلقون افعالهم وان كان هؤلاء لايخلقون شيئا من افعالهم فسائر الناس لايخلقون شيئا من افعالهم فان ذلك وكلام الله عز وجل لايختلف فاذ لاشك فى هذا فاذ الخلق الذى اثبته الله عز وجل للمسيح عليه السلام فى الطير وللكفار فى الافك هو غير الخلق الذى نفاه عنهم وعن جميع الخلق لايجوز البتة غير هذا فاذ هذا هو الحق بيقين فالخلق الذي اوجبه الله تعالى لنفسه ونفاه عن غيره هو الاختراع والابداع واحداث الشيء من لاشيء بمعنى من عدم الى وجود وأما الخلق الذى اوجبه الله تعالى فانما هو ظهور الفعل منهم فقط وانفرادم به والله تعالى خالقه فيهم وبرهان ذلك ان العرب تسمى الكذب اختلاقا والقول الكاذب مختلقا وذلك القول بلاشك انما هو لفظ ومعنى واللفظ مركب من حروف الهجاء وقد كان كل ذلك موجود النوع قبل وجود اشخاص هؤلاء المختلقين وهذا كقوله عز وجل * أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه ام نحن الزارعون * وكقوله تعالى * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى * فبيقين يدري كل ذى حس يؤمن بالله تعالي وبالقرآن ان الزرع والقتل والرمى الذى نفاه عن الناس وعن المؤمنين وعن رسول الله ﷺ هو غير الزرع والقتل والرمي الذى اضافه اليهم لايمكنه البتة غير ذلك لانه تعالى لايقول الا الحق فاذ ذلك كذلك قال الذى نفاه عمن ذكرنا هو خلق كل شيء واختراعه وابداعه وتكوينه واخراجه من عدم الى وجود والذى اوجب لهم منه ظهوره فيهم ونسبة ذلك كله اليهم كذلك فقط وبالله تعالى التوفيق وقول زهير . واراك تخلق مافريت . لايشك من له اقل فهم بالعربية انه لم يعن الابداع ولا اخراج الخلق من عدم الى وجود وانما اراد النفاذ فى الامور فقط فقد وضح ان لفظة الخلق مشتركة تقع علي معنيين أحدهما لله تعالي لا لاحد دونه وهو الابداع من عدم الى وجود والثاني الكذب فيما لم يكن او ظهور فعل لم يتقدم لغيره او نفاذ فيما حاول وهذا كله موجود من الحيوان ولله تعالى خالق كل ذلك وبالله تعالى التوفيق وبهذا تتألف النصوص كلها واما قوله تعالي * صنع الله الذى اتقن كل شيء * فهو عليهم لالهم لان الله تعالى اخبر ان بصنعه اتقن كل شيء وهذا علي عمومه وظاهره فالله تعالي صانع كل شيء واتقانه له ان خلقه جوهرا او عرضا جارين على رتبة واحدة ابدا وهذا عين الاتقان واما قوله تعالي * احسن كل شيء خلقه * فانهما قراءتان مشهورتان من قرآت المسلمين احداهما احسن كل شيء خلقه باسكان اللام فيكون

بسيط ذو سبع قوى يتحرك بها حركة مفردة وحركات مختلفة فاما حركتها المفردة فاذا تحركت نحو ذاتها ونحو العقل واما حركتها المختلفة فاذا تحركت نحو الحواس الخمس واليونانيون بنوا ثلاثة ابيات على طوالع مقبولة احدها بيت بانطاكية علي جبلها كانوا يعظمونه ويقربون القرابين فيه وقد خرب والثانى من جملة الاهرام التي بمصر بيت كانت فيه اصنام تعبد وهي التى نهاهم سقراط عن عبادتها والثالث بيت المقدس الذى بناه داود وابنه سليمان ويقال ان سليمان هو الذي بناه والمجوس يقول ان الضحاك بناه وقد عظمتهم اليونانيون تعظيم اهل الكتاب (رأى افلاطن الالهى ابن ارسطن بن ارسطوقليس) من آثينية وهو آخر المتقدمين الاوائل

خلقة بدلا من كل شيء بدل البيان فهذه القراءة حجة عليهم لان معناها ان الله تعالى احسن خلقه لكل شيء وصدق الله عزوجل وهكذا نقول ان خلق الله تعالى لكل شيء حسن والله تعالى محسن في كل شيء والقراءة الاخرى خلقه بفتح اللام وهذه ايضا لاحجة لهم فيها لانه ليس فيها ايجاب لان هاهنا شيئا لم يخلق الله عزوجل ومن ادعى ان هذا في اقتضاء الآية فقد كذب وانما يقتضي لفظة الآية ان كل شيء فالله خلقه كما في سائر الآيات والله تعالى احسنه اذ خلقه وهذا قولنا وكذا نقول ان الانسان لا يفعل شيئا الا الحركة اوالسكون والاعتقاد والارادة والفكر وكل هذه كيفيات واعراض حسن خلقها من الله عزوجل قد حسن رتبتها وايقاعها في النفوس والاجساد وانما قبح ماقبح من ذلك من الانسان لان الله تعالى سمى وقوع ذلك أو بعضها ممن وقعت منه قبيحا وسمى بعض ذلك حسنا كما كانت الصلاة الى بيت المقدس حركة حسنة ايمانا ثم سماها تعالى قبيحة كفرا وهذه تلك الحركة نفسها فصح انه ليس في العالم شيء حسن لعينه ولا شيء قبيح لعينه لكن ماسماه الله تعالى حسنا فهو حسن وفاعله محسن قال الله تعالى * ان احسنتم احسنتم لانفسكم * وقال تعالى * هل جزاء الاحسان الا الاحسان * وماسماه الله تعالى قبيحا فهو حركة قبيحة وقد سمى الله تعالى خلقه لكل شيء في العالم حسنا فهو كله من الله تعالى حسن وسمى ما وقع من ذلك من عباده كما شاء فبعض ذلك قبحه فهو قبيح وبعض ذلك حسنه فهو حسن وبعد ذلك قبحه ثم حسنه فكان قبيحا ثم حسنا وبعض ذلك حسنه ثم قبحه فكان حسنا ثم قبح كما صارت الصلاة الى الكعبة حسنة بعد ان كانت قبيحة وكذلك جميع افعال الناس التي خلقها الله تعالى فيهم كالوطء قبل النكاح وبعده وكسبي من نقض الذمة وسائر الشريعة كلها وقد اتفقت المعتزلة معنا على ان خلق الله تعالى للخمر والخنازير والحجارة المعبودة من دونه حسن بلا شك وهو سماه قبائح وارجاسا وحراما ونجسا وسيئا وخبيثا وهكذا القول في خلقه للاعراض في عباده ولا فرق وكذلك وافقنا اكثرهم على انه تعالى خلق فساد الدماغ والجنون المتولد منه والجذام والعمى والصمم والفالج والحدبة والادرة وكل هذا من خلق الله تعالى له حسن وكله فيما بيننا قبيح رديء جدا يستعاذ بالله منه وقد نص الله تعالى على انه خلق المصائب كلها فقال عزوجل * ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير * فنص تعالى على انه برأ المصايب كلها وبرأ هو خلق بلا خلاف من أحد ولا فرق بين الزامهم ايانا ان الله تعالى احسن الكفر والظلم والجور والكذب والقبائح اذ خلق كل ذلك وبين اقرارهم معنا ان الله تعالى قد احسن الخمر والخنازير والدم والميتة والعذرة وابليس وكل ماقال انا اله من دون الله تعالى والاوثان المعبودة من دون الله تعالى والمصايب كلها والامراض والعاهات اذ خلق كل ذلك فاي شيء قالوه في هذه الاشياء فهو قولنا في خلق الله تعالى للكفر به ولشتمه والظلم والكذب ولا فرق كل ذلك قد أحسن الله خلقه اذ حركة اوسكونا اوضميرا في النفس وسمي ظهوره من العبد قبيحا موصوفا به الانسان وأما قوله تعالى * ماترى في خلق الرحمن من تفاوت * فلا حجة لهم في هذا ايضاً لان التفاوت المعهود هو مانافر النفوس اوخرج عن المعهود فنحن نسمي الصورة المضطربة بان فيها تفاوتاً فليس هذا التفاوت الذي نفاه الله تعالى عن خلقه فاذ ليس هو هذا

الاساطين معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان ازدشير ابن دارا في سنة ست عشر من ملكه كان حديثا متعلما يتلمذ لسقراط ولما اغتيل سقراط السم ومات قام مقامه وجلس على كرسيه قد اخذ العلم من سقراط وطماوس والغريبين غريب اثينية وغريب الناطس وضم اليه العلوم الطبيعية والرياضية حكى عنه قوم ممن شاهده وتلمذ له مثل ارسطاطوليس وطماوس وثاوفرسطوس انه قال ان للعالم محدثا مبدعا ازليا واجبا بذاته عالما بجميع معلوماته على نعت الاسباب الكلية كان في الاول ولم يكن في الوجود رسم ولا طلل الامثال عند الباري وربما يعبر عنه بالعنصر والهيولى ولعله يشير الى صور المعلومات في علمه قال فابدع العقل الاول

الذى يسميه الناس تفاوتا فلم يبق الا ان التفاوت الذى نفاه الله تعالى عما خلق هو شيء غير موجود فيه البتة لانه لو وجد فى خلق الله تعالى تفاوتا لكذب قول الله عز وجل ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت ولا يكذب الله تعالى الا كافر فبطل ظن المعتزلة ان الكفر والظلم والكذب والجور تفاوت لان كل ذلك موجود فى خلق الله عز وجل مرئى فيه مشاهد بالعيان فيه فبطل احتجاجهم والحمد لله رب العالمين فان قال قائل فما هذا التفاوت الذى اخبر الله عز وجل انه لا يرى فى خلقه قيل لهم نعم وبالله التوفيق هو اسم لا يقع على مسمى موجود فى العالم اصلا بل هو معدوم جملة اذ لو كان شيئا موجودا فى العالم لوجد التفاوت فى خلق الله تعالى والله تعالى قد اكذب هذا واخبر انه لا يرى في خلقه ثم نقول وبالله تعالى التوفيق ان العالم كله مادون الله تعالى وهو كله مخلوق لله تعالى اجسامه واعراضه كلها لا نحاشى شيئا منها ثم اذا نظر الناظر فى تقسيم انواع اعراضه وانواع اجسامه جرت القسمة جريا مستويا فى تفصيل اجناسه وانواعه بحدودها المميزة لها وفصولها المفرقة بينها على رتبة واحدة وهيئة واحدة الي ان يبلغ الى الاشخاص التى تلى أنواع الانواع لا تفاوت في شيء من ذلك البتة بوجه من الوجوه ولا تخالف فى شيء منه أصلا ومن وقف على هذا علم ان الصورة المستقبحة عندنا والصورة المستحسنة عندنا واقعتان معا تحت نوع الشكل والتخطيط ثم تحت نوع الكيفية ثم تحت اسم العرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت فى هذا بوجه من التقسيم وكذلك ايضا نعلم ان الكفر والايمان بالقلب واقعان تحت نوع الاعتقاد ثم تحت فعل النفس ثم تحت الكيفية والعرض وقوعا مستويا لا تفاضل فيه ولا تفاوت من هذا الوجه من التقسيم وكذلك ايضا نعلم ان الايمان والكفر باللسان واقعان تحت نوع فرع الهواء بآلات الكلام ثم تحت نوع الحركة وتحت نوع الكيفية وتحت اسم العرض وقوعا حقا مستويا لا تفاوت فيه ولا اختلاف وهكذا القول فى الظلم والانصاف وفى العدل والجور وفى الصدق والكذب وفي الزنا والوطء الحلال وكذلك كل ما فى العالم حتى يرجع جميع الموجودات الى الرؤس الاول التى ليس فوقها رأس يجمعها الا كونها مخلوقة لله تعالى وهى الجوهر والكم والكيف والاضافة على ما بينا فى كتاب التقريب والحمد لله رب العالمين فانتفى التفاوت عن كل ما خلق الله تعالى وعادت الآية المذكورة حجة على المعتزلة ضرورة لا منفك لهم عنها وهى انه لو كان وجود الكفر والكذب والظلم تفاوتا كما زعموا لكان التفاوت موجودا فى خلق الرحمن وقد كذب الله تعالى ذلك ونفى أن يرى فى خلقه تفاوت وأما اعتراضهم من طريق النظر بان قالوا انه تعالى ان كان خلق الكفر والمعاصى فهو اذا يغضب مما فعل ويغضب مما خلق ولا يرضى ما صنع ويسخط ما فعل ويكره ما يفعل وانه يغضب ويسخط من تدبيره وتقديره فهذا تمويه ضعيف ونحن لا ننكر ذلك اذ أخبرنا الله عز وجل بذلك وهو تعالى قد أخبرنا انه يسخط الكفر والظلم والكذب ولا يرضاه وانه يكره كل ذلك ويغضب منه فليس الا التسليم لقول الله تعالى نعم نعكس عليهم هذا السؤال نفسه فنقول لهم أليس الله خلق ابليس وفرعون والخمر والكفار فلا بد من نعم فنقول لهم أيرضى عز وجل عن هؤلاء كلهم أم هو ساخط لهم فلا بد من انه ساخط لهم كاره لهم غضبان عليهم غير راض

وبتوسطه النفس الكلي قد انبعثت عن العقل انبعاث الصورة فى المرآة وبتوسطها العنصر (ويحكى) عنه ان الهيولى التى هى موضوع الصور الحسية غير ذلك العنصر ويحكى عنه انه ادرج الزمان فى المبادي وهو الدهر واثبت لكل موجود مشخص فى العالم الحسى مثالا موجودا غير مشخص فى العالم العقلى يسمى ذلك المثل الافلاطونية فالمبادى الاول بسائط والمثل مبسوطات والاشخاص مركبات فالانسان المركب المحسوس جزئى ذلك الانسان المبسوط المعقول وكذلك كل نوع من الحيوان والنبات والمعادن قال والموجودات فى هذا العالم آثار الموجودات فى ذلك العالم ولا بد لكل اثر من مؤثر يشابهه نوعا من المشابهة قال

عنهم فنقول لهم هذا نفس ما انكرتم من انه تعالى سخط تدبيره وغضب من فعله وكره ما خلق ولعنه فان قالوا لم يكره عين الكافر ولا سخط شخص ابليس ولا كره عين الخمر لم نسلم لهم ذلك لانه تعالى قد نص على أنه تعالى لعن ابليس والكفار وانهم مسخوطون ملعونون مكروهون من الله تعالى مغضوب عليهم وكذا الخمر والاوثان وقال * انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه * وقال تعالى * ولحم خنزير فانه رجس . وقد سمى الله تعالى كل ذلك رجساً ثم امر بعد ذلك باجتنابه وأضاف كل ذلك الى عمل الشيطان ولا خلاف فى انه عز وجل خالق كل ذلك فهو خلق الرجس بالنص ولا فرق فى المعقول بين خلق الرجس وخلق الكفر والظلم والكذب وقوله تعالى . ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها . فعلى قول هؤلاء المخاذيل انه تعالى يغضب مما الهم ويكرهه والهامه فعله بلا شك ضرورة فقد صح عليهم ما شنعوا به من انه يغضب من فعله ايضا فيقال لهم هل الله تعالى قادر على منع الظالم من المظلوم وعلى منع الذين قتلوا رسل الله صلى الله عليه وسلم وعلى ان يحول بين الكافر وكفره وان يميته قبل ان يبلغ وبين الزانى وزناه باضعاف جارحته او بشىء يشغله به او تيسير انسان يطل عليهما ام هو عاجز عن ذلك كله قادر على شىء منه ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا هو غير قادر على شىء من ذلك عجزوا ربهم وكفروا وبطلت اداتهم على احداث العالم اذ أضعفوا اقدرته عن هذا اليسير السهل وان قالوا بل هو قادر على ذلك كله فقد أقروا ايضا على انه تعالى رأى المنكر والكفر والزنا والظلم فاقره ولم يغيره وأطلق ايدى الكفار على قتل رسله وضربهم ومع اقراره لكل ذلك فلم يكتف بكل ذلك الاحتى قواهم بجوارحهم وآلاتهم وكف كل مانع وهذا على قولهم انه رضا منه تعالى بالكفر واختيارا منه تعالى لكل ذلك وهذا كفر مجرد وأما انه يغضب مما أقر ويسخط مما أعان عليه ويكره ما فعل من اقرارهم على كل ذلك وهذا هو الذى شنعوا به لابد من احد الوجهين ضرورة وكلاهما خلاف قولهم الا ان هذا لازم لهم على اصولهم ولا يلزمنا نحن شىء منه لاننا لا نقبح الا ما قبح الله تعالى ولا نحسن الا ما حسن الله تعالى فان قالوا انما اقره لينتقم منه وانما يكون سفها وعبثا لو اقره ابدا قيل لهم اى فرق بين اقراره تعالى الكفر والظلم والكذب ساعة وبين ابقائه اياه ساعة بعد ساعة وهكذا أبدا بلا نهاية او بنهاية فى الحسن والقبح والافرفونا الامد الذى يكون اقرار الكفر والكذب والظلم اليه حكمة وحسنا واذا تجاوزه صار عبثا وعيبا وسفها فان تكلفوا أن يحدوا فى ذلك حدا اتوا بالجنون والسخف والكذب والدعوى التى لا يعجز عنها احد وان قالوا لا ندرى وردوا الامر فى ذلك الى الله عز وجل صدقوا وهذا هو قولنا ان كل ما فعله الله تعالى من تكليف ما لا يطلق وتعذيبه عليها وخلقه الكفر والظلم فى الكافر والظالم واقراره كل ذلك ثم تعذيبهما عليه وخلقه الكفر وغضبه منه وسخطه اياه كل ذلك من الله تعالى حكمة وعدل وحق وممن دونه تعالى سفه وظلم وباطل لا يسال عما يفعل وهم يسالون واما قولهم ان من فعل شيئا وجب ان ينسب اليه ويسمى به نفسه وانه لا يعقل ولا يوجد غير هذا وايجابهم بهذا الاستدلال ان يسمى الله تعالى ظالما لانه خلق الظلم وكذلك من الكفر والكذب فهذا ينتقض عليهم من وجهين احدهما ان هذا تشبيه محض لانهم يريدون ان يحكموا على البارى تعالى بالحكم الموجود الجارى على

ولما كان العقل الانساني من ذلك العالم ادرك من المحسوس مثالا منتزعا من المادة معقولا يطابق المثال الذى فى عالم العقل بكليته ويطابق الموجود الذى فى عالم الحس بجزئيته ولولا ذلك لما كان لما يدركه العقل مطابقا مقا بلا من خارج فما يكون مدركا لشىء يوافق ادراكه حقيقة المدرك قال والعالم عالمان عالم العقل وفيه المثل العقلية والصور الروحانية وعالم الحس وفيه الاشخاص الحسية والصور الجسمانية كالمرآة المجلوة التى تنطبع فيها صور المحسوسات فان الصور فيها مثل الاشخاص كذلك العنصر فى ذلك العالم مرآت لجميع صور هذا العالم يتمثل فيه جميع الصور غير ان الفرق ان المنطبع فى المرآة الحسية صورة خيالية يرى انها موجودة يتحرك بحركة

خلقه ويقال لهم اذ لم تجدوا فاعلا فى الشاهد الا جسما ولا عالما الا بعلم هو غيره ولا حيا
الا بحياة هى عرض فيه ولا مخبرا عنه الا جسما او عرضا ومالم يكن كذلك فهو معدوم ولا
يتوهم ولا يعقل ثم رأيتم البارى تعالى بخلاف ذلك كله ولم تحكموا عليه بالحكم فيما وجدتم
فقد وجب ضرورة ان لا يحكم عليه تعالى بالحكم علينا فى ان يسمي من افعاله ولا فى ان
ينسب اليه كما ينسب الينا بلا خلاف ذلك بالبرهان الضرورى وهو ان الله عز وجل
خلق كل ماخلق من ذلك مخترعا له كيفية مركبة فى غيره فهكذا هو فعل الله تعالى فيما
خلق واما فعل عباده لما فعلوا فانما معناه انه ظهر ذلك الفعل عرضا محمولا فى فاعله لانه
اما حركة فى متحرك واما سكون فى ساكن او اعتقاد فى معتقد او فكر فى متفكر او ارادة
في مريد ولا مزيد فبين الامرين بون بائن لا يخفى علي من له اقل فهم واما المدح والذم
واشتقاق اسم الفاعل من فعله فليس كما ظنوا لكن الحق هو انه لا يستحق احد مدحا
ولا ذما الا من مدحه الله تعالى او ذمه وقد أمرنا الله تعالى بحمده والثناء عليه فهو عز وجل
محمود علي كل مافعله محبوب لذلك وأما من دونه تعالى فمن حمد الله تعالى فعله الذى أظهره
فيه فهو ممدوح محمود ومن ذم عز وجل فعله الذى اظهره فيه فهو مذموم ولا مزيد وبرهان
هذا اجماع اهل الاسلام على انه لا يستحق الحمد والمدح الا من اطاع الله عز وجل ولا
يستحق الذم الا من عصاه وقد يكون المرء مطيعا محمودا اليوم ممدوحا بفعله ان فعله اليوم
وكافرا مذموما به ان فعله غدا كالحج فى اشهر الحج وفى غير اشهر الحج ولصوم يوم
الفطر والاضحى وصوم رمضان وكالصلاة في الوقت وقبل الوقت وبعد الوقت وكسائر
الشرائع كلها وقد وجدنا فاعلا للكذب قائلا له وفاعلا للكفر قائلا به وهما غير مذمومين
ولا يسمى واحد منهما كاذبا ولا كافرا وهما الحاكى والمكره فبطل ماظنت المعتزلة من انه
كل من فعل الكذب فهو كاذب ومن فعل الكفر فهو كافر ومن فعل الظلم فهو ظالم
وصح انه لا يكون كاذبا ولا كافرا ولا ظالما الا من سماه الله تعالى كافرا وكاذبا وظالما وانه
لا كفر ولا ظلم ولا كذب الا ماسماه الله كفرا وكذبا وظلما وصح بالضرورة التى لا محيد
عنها انه ليس فى العالم شيء محمود ممدوح لعينه ولا مذموم لعينه ولا كفر لعينه ولا ظلم لعينه
واما مالا يقع عليه اسم طاعة ولا معصية ولا حكمها وهو الله تعالى فلا يجوز ان يوقع عليه
مدح ولا حمد ولا ذم الا بنص من قبله فنحمده كما امرنا ان نقول الحمد لله رب العالمين
واما من دونه ممن لا طاعة تلزمه ولا معصية كالحيوان من غير الملائكة وكالحور العين والانس
والجن وكالجمادات فلا يستحق حمدا ولا ذما لان الله لم يامر بذلك فيها فان وجدنا له تعالى
امر بمدح شيء منها او ذمه وجب الوقوف عند امره تعالى كامره تعالى بمدح الكعبة والمدينة
والحجر الاسود وشهر رمضان والصلاة وغير ذلك وكامره تعالى بذم الخمر والخنزير
والميتة والكنيسة والكفر والكذب وماأشبه ذلك واما ماعدا هذين القسمين فلا حمد ولا
ذم وأما اشتقاق اسم الفاعل من فعله فكذلك أيضا ولا فرق وليس لاحد ان يسمى شيئا
الا بما أباحه الله تعالى فى الشريعة أو فى اللغة التى امرنا بالتخاطب بها وقد وجدناه تعالى
اخبرنا بان له كيدا ومكرا ويمكر ويكيد ويستهزىء وينسى من نسيه وهذا لا تدفعه
المعتزلة ولو دفعته لكفرت لردها نص القرآن وهم مجمعون معنا علي انه لا يسمى باسم مشتق

الشخص وليس في الحقيقة
كذلك فان المتمثل فى المرآة
العقلية صور حقيقية
روحانية هى موجودة بالفعل
تحرك الاشخاص ولا
تتحرك فنسبة الاشخاص
اليها نسبة الصور فى المرآة
الى الاشخاص فلها الوجود
الدائم ولها الثبات القائم
وهي تتمايز فى حقائقها
تمايز الاشخاص فى ذواتها
قال وانما كانت هذه الصور
موجودة كلية باقية دائمة
لان كل مبدع ظهرت صورته فى
حد الابداع فقد كانت صورته
فى علم الاول الحق والصور
عنده بلا نهاية ولو لم تكن
الصور معه فى ازليته فى علمه
لم تكن لتبقى ولم تكن دائمة
دوامها لكانت تدثر بدثور
الهيولى ولو كانت تدثر مع
دثور الهيولى لما كانت رجاء
ولا خوف ولكن لما صارت
الصور الحسية على رجا
وخوف استدل على بقائها
وانما تبقى اذا كانت لها صور

من ذلك فلا يقال ماكر من اجل ان له مكر ولا انه كياد من اجل انه يكيد وان له كيدا ولا يسمى مستهزئا من اجل انه يستهزىء بهم فقد ابطل ما اصلوه من ان كل فعل فانه يسمى منه وينسب اليه ولا يشغب هاهنا مشغب مع من لا يحسن المناظرة فيقول انما قلنا انه يكيد ويستهزىء ويمكر وينسى على المعارضة بذلك فانا نقول له صدقت ولم نخالفك فى هذا لكن الزمناك ان تسميه تعالى كيادا وماكرا ومستهزئا وناسيا على معنى المعارضة كما تقول فان ابي من ذلك وقال ان الله تعالى لم يسم بشيء من ذلك نفسه فقد رجع الى الحق ووافقنا فى ان الله تعالى لا يسمى ظالما ولا كافرا ولا كاذبا من اجل خلقه الظلم والكفر والكذب لانه تعالى لم يسم بذلك نفسه وان انكر ذلك تناقض وظهر بطلان مذهبه (قال ابو محمد) وقد وافقونا على ان الله تعالى خلق الخمر وحبل النساء ولا يجوز ان يسمى خمارا ولا محبلا وانه تعالى خلق اصباغ القماري والهداهد والحجل وسائر الالوان ولا يسمى صباغا وانه تعالى بنى السماء والارض ولا يسمى بناء وانه تعالى سقانا الغيث ومياه الارض ولا يسمي سقاء ولا ساقيا وانه تعالى خلق الخمر والخنازير وابليس ومردة الشياطين وكذلك كل سوء وسيء وخبيث ورجس وشر ولا يسمي من اجل ذلك مسيئا ولا شريرا فاى فرق بين هذا كله وبين ان يخلق الشر والظلم والكفر والكذب ومعاصي عباده ولا يسمى بذلك مسيئا ولا ظالما ولا كافرا ولا كاذبا ولا شريرا ولا فاحشا والحمد لله على ما من به من الهدي والتوفيق وهو المستزاد من فضله لا اله الا هو ويقال لهم ايضا انتم تقرون بانه خلق القوة التى بها يكون الكفر والظلم والكذب وهيأها لعباده ولا يسمونه من اجل ذلك يغريا على الكفر ولا معينا للكافر فى كفره ولا مسببا للكفر ولا واهبا للكفر وهذا بعينه هو الذى عبتم وانكرتم ويقال لهم ايضا اخبرونا عن تعذيبه اهل جهنم فى النيران أمحسن هو بذلك اليهم أم مسيء فان قالوا بل محسن اليهم قالوا الباطل وخالفوا اصلهم وسألناهم ان يسألوا الله عز وجل لانفسهم ذلك الاحسان نفسه وان قالوا انه مسيء اليهم كفروا به وان قالوا ليس مسيئا اليهم قلنا لهم فهم فى اساءة اوفى احسان فان قالوا ليسوا فى اساءة كابروا العيان وان قالوا بل هم فى اساءة قلنا لهم هذا الذي انكرتم ان يكون منه تعالى اليهم حال هى غاية الاساءة ولا يسمى بذلك مسيئا واما نحن فنقول لهم انهم فى غاية المساءة والاساءة والسخط اليهم وعليهم وليس السخط احسانا الى المسخوط عليه وكذلك اللعنة للملعون وانه تعالى محسن على الاطلاق ولا نقول انه مسيء اصلا وبالله تعالى التوفيق والاصل فى ذلك ما قلناه من انه لا يجوز انه يسمى الله تعالى الا بما سمى به نفسه ولا يخبر عنه الا بما اخبر به عن نفسه ولا مزيد فان قالوا اذا جوزتم ان يفعل الله تعالى فعلا ما هو ظلم بيننا ولا يكون بذلك ظالما فجوزنا ان تخبر بالشيء على خلاف ما هو ولا يكون بذلك كاذبا وان لا يعلم ما يكون ولا يكون بذلك جاهلا وان لا يقدر على الشيء ولا يكون بذلك عاجزا قيل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا محال من وجهين احدهما اننا قد اوضحنا انه ليس فى العالم ظلم لعينه ولا بذاته البتة وانما الظلم بالاضافة فيكون قتل زيد اذا نهى الله عنه ظلما وقتله اذا أمر الله بقتله عدلا واما الكذب فهو كذب لعينه وبذاته فكل من اخبر بخبر بخلاف ما هو فهو كاذب الا انه لا يكون ذلك اثما ولا مذموما الا حيث اوجب الله تعالى فيه الاثم والذم فقط

عقلية فى ذلك العالم ترجو اللحوق بهـــا وتخاف التخلف قال واذا اتفقت العقلاء ان حسا ومحسوسا وعقلا ومعقولا وشاهدنا بالحس جميع المحسوسات وهي محدودة محصورة بالزمان والمكان فيجب أن يشاهد بالعقل جميع المعقولات وهى غير محدودة ومحصورة بالزمان والمكان فيكون مثلا عقلية ومايثبته افلاطن موجودات محققة بهذا التقسيم قال انا نجد النفس تدرك امور البسائط والمركبات ومن المركبات انواعها واشخاصها ومن البسائط ماهى هيولانية وهى التى تعري عن الموضوع وهي رسوم الجزوبات مثل النقطة والخط والسطح والجسم التعليمى قال وهذه اشياء موجودة بذواتها وكذلك توابع الجسم مفردة مثل الحركة والزمان والمكان والاشكال فانا نلخصها باذهاننا بسائط مرة ومركبة

وكذلك القول في الجهل والعجز انهما جعل لعينه وعجز لعينه فكل من لم يعلم شيئا فهو جاهل به ولابد وكل من لم يقدر على شيء فهو عاجز عنه ولابد والوجه الثاني ان بالضرورة التي بها علمنا من نواة التمر لايخرج منها زيتونة وان الفرس لا ينتج جملا بها عرفنا ان الله تعالى لايكذب ولايعجز ولايجهل لان كل هذه من صفات المخلوقين عنه تعالى منفية الا ما جاء نص بان يطلق الاسم خاصة من اسمائها عليه تعالى فيقف عنده وايضا فان اكثر المعتزلة يحقق قدرة الباري تعالى على الظلم والكذب ولايجيزون وقوعهما منه تعالى وليس وصفهم اياه عز وجل بالقدرة على ذلك بموجب امكان وقوعه منه تعالى فلاينكروا علينا ان نقول ان الله عز وجل فعل افعالا هي منه تعالى عدل وحكمة وهي منا ظلم وعبث وليس يلزمنا مع ذلك ان نقول انه يقول الكذب ويجهل فبطل هذا الالزام والحمد لله رب العالمين وايضا فانا لم نقل انه تعالى يظلم ولايكون ظالما ولا قلنا انه يكفر ولا يسمى كافرا ولاقلنا انه يكذب ولا يسمى كاذبا فيلزمنا ما ارادوا والزامنا اياه وانما قلنا انه خلق الظلم والكذب والكفر والشر والحركة والطول والعرض والسكون اعراضا في خلقه فوجب ان يسمي خالقا لكل ذلك كما خلق الجوع والعطش والشبع والري والسمن والهزال واللغات ولم يجز ان يسمى ظالما ولا كاذبا ولا كافرا ولا شريرا كما لم يجز عندنا وعندهم ان يسمى من اجل خلقه لكل ماذكرناه متحركا ولاساكنا ولاطويلا ولاعريضا ولاعطشان ولا ريان ولاجائعا ولاشابعا ولاسمينا ولا هزيلا ولالغويا وهكذا كل ماخلق الله تبارك وتعالى فانما يخبر عنه بانه تعالى خالق له فقط ولايوصف بشيء مما ذكرنا الامن خلقه الله تعالى عرضا فيه واما قولهم لايفعل فعل من فاعلين هذا فعله كله وهذا فعله فان هذا تحكم ونقصان من القسمة اوقعهم فيها جهلهم وتناقضهم وقولهم انما يستدل بالشاهد على الغايب وهذا قول قد أفسدناه في كتابنا في الاحكام في اصول الاحكام بحمد الله تعالى ونبين هاهنا فساده بايجاز فنقول وبالله تعالى التوفيق انه ليس عن العقل الذي هو التمييز شيء غائب اصلا وانما يغيب بعض الاشياء من الحواس وكل ما في العالم فهو مشاهده في العقل المذكور لان العالم كله جوهر حامل وعرض محمول فيه وكلاهما يقتضي خالقا أولا واحدا لا يشبهه شيء من خلقه في وجه من الوجوه فان كانوا يعنون بالغائب الباري عز وجل فقد لزمه تشبيهه بخلقه اذحكموا بتشبيه الغائب بالحاضر وفي هذا كفاية بل مادل الشاهد كله الا ان الله تعالى بخلاف كل من خلق من جميع الوجوه وحاشا الله ان يكون جل وعز غائبا عنا بل هو شاهد بالعقل كما نشاهد بالحواس كل حاضر ولافرق بين صحة معرفتنا به عز وجل بالمشاهدة بضرورة العقل وبين صحة معرفتنا لسائر ما نشاهده ثم نرجع ان شاء الله تعالى الى انكارهم فعلا واحدا من فاعلين فنقول وبالله تعالى التوفيق انما امتنع ذلك فيما بيننا في الاكثر لا على العموم لما شاهدناه من انه لا تكون حركة واحدة في الاغلب لمتحركين ولا اعتقاد واحد لمعتقدين ولا ارادة واحدة لمريدين ولافكرة واحدة لمفتكرين ولكن لو اخذ اثنان سيفا واحدا اورمحا واحدا فضربا به انسانا فقطعاه اوطعناه به لكانت حركة واحدة غير منقسمة لمتحركين بها وفعلا واحدا غير منقسم لفاعلين هذا امر يشاهد بالحس والضرورة وهذا منصوص في القرآن من انكره كفر وهو ان القراءة المشهورة عند المسلمين * انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * وليهب لك غلاما زكيا كلا القراءتين

اخرى ولها حقائق في ذواتها من غير حوامل ولا موضوعات ومن البسائط ماليست هي هيولانية مثل الوجود والوحدة والجوهر والعقل يدرك القسمين جميعا متطابقين عالمين متقابلين عالم العقل وفيه المثل العقلية التي تطابقها الاشخاص الحسية وعالم الحس وفيه المتمثلات الحسية التي تطابقها المثل العقلية فاعيان ذلك العالم آثار في هذا العالم واعيان هذا العالم آثار في ذلك العالم وعليه وضع الفطرة والتقدير ولهذا الفصل شرح وتقرير وجماعة المشائين وارسطوطاليس لا يخالفونه في هذا المعنى الكلي الا انهم يقولون هو معنى في العقل موجود في الذهن والكلي من حيث هو كلي لا وجود له في الخارج عن الذهن اذ لا يتصور ان يكون شيء واحد ينطلق علي زيد

بنقل الكواف عن رسول الله ﷺ عن جبريل صلى الله عليه وسلم فاذا قرئت بالهمز فهو اخبار جبريل رسول الله ﷺ الروح الامين انه هو الواهب لها عيسي عليه السلام واذا قرئت بالياء فهو من اخبار جبريل عن الله عز وجل بان الله تعالى هو الواهب لها عيسي عليه السلام فهذا فعل من فاعلين نسب الى الله عز وجل الهبة لانه تعالى هو الخالق لتلك الهبة ونسبت الهبة ايضا الي جبريل لانه منه ظهرت اذ أتى بها وكذلك قوله عز وجل * ومارميت اذ رميت ولكن الله رمى * فاخبر تعالى انه رمى وان نبيه رمى فاثبت تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم الرمي ونفاه عنه معا وبالضرورة ندرى ان كلام الله عز وجل لا يتناقض فعلمنا ان الرمى الذي نفاه الله عز وجل عن نبيه صلى الله عليه وسلم هو غير الرمي الذى أثبته له لا يظن غير هذا مسلم البتة فصح ضرورة ان نسبة الرمى الى الله عز وجل لانه خلقه وهو تعالى خالق الحركة التى هى الرمي وممض الرمية وخالق مسير الرمي وهذا هو المنفى عن الرامي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وصح ان الرمى للذى اثبته الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم هو ظهور حركة الرمى منه فقط وهذا هو نص قولنا دون تكلف وكذلك قوله تعالى * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم * والقول فى هذا كالقول فى الرمي ولا فرق وكذلك قوله تعالى * زينا لكل امة عملهم * وقوله تعالى * فزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون * ضررة ان تزيين الله لكل أمة عملها انما هو خلقه لمحبة أعمالهم فى نفوسهم وان تزيين الشيطان لهم أعمالهم انما هو بظهور الدعاء اليها وبوسوسة وقال تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام انه قال . اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرىء الاكمه والابرص واحيي الموتي باذن الله . افليس هذا فعلا من فاعلين من الله تعالى ومن المسيح عليه السلام بنص الآية وهل خالق ةالطير ومبرىء الاكمه والابرص الا الله وقد اخبر عيسى اذ يخلق ويبرىء فهو فعل من فاعلين بلا شك وقال عز وجل مخبرا عن نفسه انه يحيي ويميت وقال عيسى عليه السلام عن نفسه واحيي الموتي باذن الله فبالضرورة نعلم ان الميت الذى أحياه عليه السلام والطير الذى خلق بنص القرآن فان الله تعالى احياه وخلقه وعيسى عليه الصلاه والسلام احياه وخلقه بنص القرآن فهذا كله فعل من فاعلين بلا شك وبالله تعالى التوفيق وهكذا القول فى قوله تعالى وأحلوا قومهم دار البوار جهنم . وقد علمنا يقينا ان الله تعالى هو الذى أحلهم فيها بلا شك لكن لما ظهر منهم السبب الذى حلوا به دار البوار أضيف ذلك اليهم كما قال تعالى عن إبليس . كما اخرج ابويكم من الجنة . وقد علمنا يقينا ان الله تعالى هو اخرجهما واخرج ابليس معهما لكن لما ظهر من ابليس السبب فى خروجهما اضيف ذلك اليه وكما قال تعالي . لتخرج الناس من الظلمات الى النور . فنقول ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخرجنا من الظلمات الى النور وقد علمنا ان المخرج له عليه السلام ولنا هو الله تعالى لكن لما ظهر السبب فى ذلك منه عليه السلام اضيف الفعل اليه فهذا كله لا يوجب الشركة بينهم وبين الله تعالى كما تموه المعتزلة وكل هذا فعل من فاعلين وكذلك سائر الافعال الظاهرة من الناس ولا فرق وقال تعالى * انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقال تعالى. واملى لهم ان كيدي متين * وقال تعالى . الشيطان سول لهم واملى لهم. فعلمنا ضرورة ان إملاء الله تعالى انما هو تركه اياهم دون تعجيل عقاب بل بسط لهم من الدنيا ومد لهم من العمر

وعمرو وهو فى نفسه واحد وافلاطن يقول ذلك المعنى الذى اثبته في العقل يجب ان يكون له شيء يطابقه فى الخارج فينطبق عليه وذلك هو المثال الذى في العقل وهو جوهر لا عرض اذ تصور وجوده لا فى موضوع وهو متقدم على الاشخاص الجزئية تقدم العقل على الحس وهو تقدم ذاتى وشرفى معا وتلك المثل مبادى الموجودات الحسية منها بدأت واليها تعود ويتفرع على ذلك ان النفوس الانسانية هى متصلة بالابدان اتصال تدبير وتصرف وكانت هي موجودة قبل وجود الابدان وكان لها نحو من من انحاء الوجود العقلى وتمايز بعضها عن بعض تمايز الصور المجردة عن المواد بعضها عن بعض وخالفه فى ذلك تلميذه ارسطوطاليس ومن بعده

ماكان لهم عونا على الكفر والمعاصى وعلمنا ان إملاء الشيطان انما هو بالوسوسة وانساء العقاب والحض لهم على المعاصى وقال تعالى * افرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون . فهذا فعل من فاعلين ضرورة نسب الى الله تعالى لانه اخترعه وخلقه وأنماه ونسب الينا لانا تحركنا فى زرعه فظهرت الحركة المخلوقة فينا فهذه كلها افعال خلقها الله تعالى واظهرها فى عباده فقط وبالله تعالى تتأيد

(قال ابو محمد) وتحقيق هذا القول فى الافعال هو ان الله سبحانه وتعالى خلق كل ماخلق قسمين فقط جوهرا حاملا وعرضا محمولا ناطقا وغير ناطق فغير الحى هو الجماد كله والناطق هو الملائكة وحور العين والجن والانس فقط وغير الناطق هو كل ماعدا ذلك من الحيوان ثم خلق تعالى فى الجمادات وفى الحى غير الناطق وفى الحى الناطق حركة وسكونا وتأثيرا قد ذكرناه آنفا فالفلك يتحرك والمطر ينزل والوادى يسيل والجبل يسكن والنار تحرق والثلج يبرد وهكذا فى كل شيء بهذا جاء القرآن وجميع اللغات قال تعالى * تلفح وجوههم النار * وقال تعالى فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا * وقال تعالى * فاما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض * وقال تعالى * والفلك تجرى فى البحر بامره والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس . ومثل هذا كثير جدا وبهذا جاءت اللغات فى نسبة الافعال الظاهرة فى الجمادات اليها لظهورها فيها فقط لايختلف لغة فى ذلك وقال تعالى حاكيا عن ابراهيم عليه السلام انه قال . اجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس . فاخبر ان الاصنام تضل وقال تعالى . تذروه الرياح وهذا اكثر من ان يحصى والاعراض ايضا تفعل كما ذكرنا قال عز وجل . والعمل الصالح يرفعه وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم . فالظن يردى والعمل يرفع ولم تختلف أمة فى صحة القول أعجبنى عمل فلان وسرنى خلق فلان ومثل هذا كثير جدا وقد وجدنا الحر يحلل ويصعد والبرد يجمد ومثل هذا كثير جدا وقد بيناه والكل خلق الله عز وجل وأما حركة الحى غير الناطق والحى الناطق وسكونهما وتأثيرهما فظاهر أيضا ثم خلق الله سبحانه وتعالى فى الحى غير الناطق وفى الحى الناطق قصدا ومشيئة لم يخلق ذلك فى الجماد كارادة الحيوان الرعى وتركه والمشى وتركه والاكل وتركه وماأشبه هذا ثم خلق تعالى فى الحى الناطق تمييزا لم يخلقه فى الحى غير الناطق ولا فى الجماد وهو التصرف فى العلوم والمعارف هذا كله امر مشاهد وكل ذلك خلق الله تعالى فيما خلقه فيه ونسب الفعل فى كل ذلك الى من أظهره الله تعالى منه فقط فخلق تعالى كما ذكرنا فى الحى الناطق الفعل والاختيار والتميز وخلق فى الحى غير الناطق الفعل والاختيار فقط وخلق فى الجماد الفعل فقط وهو الحركة والسكون والتأثير كما ذكرنا وبالجملة فلا فرق بين من كابر وجاهر فانكر فعل المطبوع بطبعه وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله تعالى فيه فقط وبين آخر جاهر وكابر فانكر فعل المختار باختياره وقال ليس هو فعله بل هو فعل الله تعالى فيه فقط وكلا الامرين محسوس بالحس معلوم باول العقل وضرورته انه فعل لما ظهر منه ومعلوم كل ذلك بالبرهان الضرورى انه خلق الله تعالى فى المطبوع وفى المختار فان فروا الى القول بان الله تعالى لم يخلق فعل المختار وانه فعل المختار فقط قلنا قد بينا بطلان هذا قبل ولكن نعارضكم هاهنا بامنكم من يقول بان الله تعالى أيضا لم يخلق فعل المطبوع وانه فعل المطبوع

من الحكماء وقالت اى النفوس حدثت مع حدوث الابدان وقد رأيت فى كلام ارسطوطاليس كما يأتى حكايته انه ربما يميل الى مذهب افلاطن فى كون النفوس موجودة قبل وجود الابدان الا أن نقل المتأخرون ما قدمنا ذكره وخالفه ايضا فى حدوث العالم فان افلاطن يخيل وجود حوادث لا اول لها لانك اذا قلت حادث فقد اثبت الاولية لكل واحد ومتى ثبت لكل واحد ثبت للكل وقال ان صورها الابدوان تكون حادثة لكن الكلام فى هيولاها وعنصرها فاثبت عنصرا قبل وجودها فظن بعض العقلاء انه حكم عليه بالازلية والقدم وهو اذا اثبت واجب الوجود لذاته واطلق لفظ الابداع على العنصر فقد اخرجه

فقط كعمر وغيره من كبار المعتزلة فان قالوا اخطأ من قال هذا وكفر قلنا لهم واخطأ أيضا وكفر من قال ان افعال المختار لم يخلقها الله تعالى ولا فرق فان قالوا ان الله تعالى هو خالق الطبيعة والمطبوع الذين ينسبون الفعل اليهما فهو خالق ذلك الفعل قلنا لهم والله عز وجل ايضا هو خالق المختار وخالق اختياره وخالق قوته وهم الذين ينسبون الفعل اليهم فهو عز وجل خالق ذلك الفعل ولا فرق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا الذى ذكرنا من اضافة التأثير وجميع الافعال الى كل من ظهرت منه من جماد أو عرض أو حى أو ناطق أو غير ناطق فهو الذى تشهد به الشريعة وبه جاء القرآن والسنن كلها وبه تشهد البينة لانه امر محسوس مشاهد وبه تشهد جميع اللغات من جميع أهل الارض قاطبة لانقول لغة العرب فقط بل كل لغة لا نحاشى شيئا منها وماكان هكذا فلا شيء أصح منه فان قالوا تسمون الجماد والعرض كاسبا قلنا لا لانا لا نتعدي ماجاءت به اللغة من أحال اللغة التى بها نزل القرآن برأيه فقد دخل فى جملة من قال الله تعالى فيه * يحرفون الكلم عن مواضعه * ولحق بالسوفسطائية فى ابطالهم التفاهم ولوجاءت اللغة بذلك لقلناه كما نقول ان الله عز وجل فاعل ذلك ولا نسميه كاسبا فان قيل اتقولون ان الجمادات والعرض عامل قلنا نعم لان اللغة جاءت بذلك وبه نقول الحديد يعمل والحر يعمل فى الاجسام وهكذا في غير ذلك فان قيل اتقولون للجماد والعرض استطاعة وقوة وطاقة وقدرة قلنا انما نتبع اللغة فقط فنقول ان الجمادات والاعراض قوى يظهر بها ماخلق الله تعالى فيها من الافعال وفيها طاقة لها ولا نقول فيها قدرة ولا نمنع من ان نقول فيها طاقة قال الله تعالى * وانزلنا الحديد فيه باس شديد * فنقول الحديد ذو باس شديد وذو قوة عظيمة وذو طاقة وقد قلنا لكم لا نتعدى فى التسمية والعبارة جملة ماجاءت به اللغة ولا نتعدى فى تسمية الله تعالى والخبر عنه ماجاء به القرآن ونص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الذى صح به البرهان وماعداه فباطل وضلال وبالله تعالى التوفيق واما اعتراضهم بهل الخلق هو الكسب أو غيره فنعم كسبنا لما ظهر منا وبطن وكل صنعنا وجميع اعمالنا وافعالنا لذلك هو خلق الله عز وجل فينا كما ذكرنا لان كل ذلك شيء وقال تعالى * انا كل شيء خلقناه بقدر * ولكننا لا نتعدى باسم الكسب حيث اوقعه الله تعالى مخبرا لنا باننا نجزى بما كسبت ايدينا وبما كسبنا فى غير موضع من كتابه ولا يحل ان يقال انه كسب لله تعالى لانه تعالى لم يقله ولا اذن فى قوله ولا يحل ان يقال انها خلق لنا لان الله تعالى لم يقله ولا اذن فى قوله لكن نقول هى خلق الله كما نص على انه خالق كل شيء ونقول هى كسب لنا كما قال تعالى * لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * ولا نسميه فى الشريعة ولا فيما يخبر به عن الله عز وجل لان الله خالق الالسنة الناطقة بالاسماء وخالق الاسماء وخالق المسميات حاشاه تعالى وخالق الهواء الذى ينقسم على حروف الهجاء فتتركب منها الاسماء فاذا كانت الاسماء مخلوقة لله والمسميات دونه تعالى مخلوقة لله عز وجل والمسمون الناطقون بالاسماء مخلوقين لله عز وجل فليس لاحد ايقاع اسم على مسمى لم يوقعه الله تعالى عليه فى الشريعة او اباح ايقاعه عليه باباحته الكلام باللغة التى امرنا الله عز وجل بالتفاهم بها وبان نتعلم بها ديننا ونعلمه

عن الازلية بذاته بل يكون وجوده بوجود واجب الوجود كسائر المبادى التى ليست زمانية ولا وجودها ولا حدوثها حدوث زماني والمركبات حدوثها بوسائط البسائط حدوث زمانى وقال ان العالم لا يفسد فسادا كليا ويحكي عنه فى سؤاله عن طيماوس ما الشيء لا حدوث له وما الشيء الحادث وليس بباق وما الشيء الموجود بالفعل وهو ابدا بحال واحد وانما يعنى بالاول وجود الباري وبالثانى وجود الكائنات الفاسدات التى لا تثبت على حالة واحدة وبالثالث وجود المبادى والبسائط التى لا يتغير ومن اسئلته ما الشيء الكائن ولا وجود له وما الشيء الموجود ولا كون له يعنى بالاول الحركة المكانية والزمان لانه لم يؤهله لاسم الوجود ويعنى بالثانى الجواهر العقلية

بها وقد نص تعالى على هذا القول منكرا على قوم اوقعوا اسماعلى مسميات لم يأذن الله تعالى بها ولا بايقاعها عليها * ان هى الا اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما انزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ام للانسان ما تمنى * فاخبر عز وجل ان من أوقع اسماعلى مسمى لم يات به نص بايجابه أو بالاذن فيه بالشريعة أو بجملة اللغة فانما يتبع الظن والظن اكذب الحديث وانما يتبع هواء وقد حرم الله تعالى اتباع الهوى واخبر تعالى ان الهدى قد جاء من عنده وقال تعالى * وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرة * فليس لاحد أن يتعدى القرآن والسنة اللذين هما هدي الله عز وجل وبه التوفيق فصح ضرورة انه ليس لاحد أن يقول ان افعالنا خلق لنا ولا انها كسب لله عز وجل ولكن الحق الذى لا يجوز خلافه هو انها خلق لله تعالى كسب لنا كما جاء فى هدي الله الذى هو القرآن وقد بينا أيضا ان الخلق هو الابداع والاختراع وليس هذا لنا اصلا فافعالنا ليست خلقا لنا والكسب انما هو استضافة الشيء الى جاعله اوجامعه بمشيئته وليس يوصف الله تعالى بهذا فى افعالنا فلا يجوز ان يقال هي كسب له تعالى وبه تتايد وايضا فقد وافقونا كلهم على تسمية البارى تعالى بانه خالق للاجسام وكلهم حاشا معمر اوعمرو بن بحر الجاحظ موافقون لنا على تسمية البارى تعالى بانه خالق للاعراض كلها حاشا افعال المختارين وكلهم ومعمر والجاحظ ايضا موافقون لنا على تسمية البارى تعالى بانه خالق الاماتة والاحياء وكلهم موافقون لنا على انه تعالى انما سمى خالقا لكل ماخلق لابداعه اياه وكم يكن قبل ذلك فاذا ثبت بالبرهان اختراعه تعالى لسائر الاعراض التى خالفونا فيها وجب ان يسمى خلقا له عز وجل ويسمى هو تعالى خالقا لها واما اعتراضهم بانه اذا كانت افعالنا خلقا لله تعالى وكان متوهما منا ومستطاعا عليه فى ظاهر امرنا بسلامة جوارحنا ان لا تكون تلك الافعال فقد ادعينا انا مستطيعون فى ظاهر الامر بسلامة الجوارح وانه متوهم منا منع الله من ان يخلقها وهذا كفر مجرد ممن اجازه

(قال ابو محمد) وهذا لازم للمعتزلة على الحقيقة لا لنا لانهم القائلون انهم يقدرون ويستطيعون على الحقيقة على ترك افعالهم وعلى ترك الوطء الذى قد علم الله تعالى انه لابد ان يكون وان يخلق منه الولد وعلى ترك الضرب الذى قد علم الله انه لابد ان يكون وانه يكون منه الموت وانقضاء الاجل المسمى عنده وعلى ترك الحرث والزرع الذي قد علم الله تعالى انه لابد ان يكون وان يكون منه النبات الذى تكون منه الاقوات والمعاش فيلزمهم ولابد انهم قادرون على منع الله تعالى مما قد علم وقال انه سيفعل

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن بلغ ههنا فلابد ان يرجع اما تائبا محسنا الى نفسه أو خاسئا غاويا مقلدا منقطعا أو يتمادى على طرد قوله فيكفر ولابد مع خلافه لضرورة الحس والمشاهدة وضرورة العقل والقرآن وبالله تعالى التوفيق واما نحن فجوابنا هاهنا انا لم نستطع قط على فعل مالم يعلم الله انا سنفعله ولا على ترك ماعلم اننا نفعله ولا على فسخ علم الله تعالى أصلا ولا على تكذيبه عز وجل في فعل ما امر تعالى به وان كنا فى ظاهر الامر نطلق ما اطلق الله تعالى من الاستطاعة التى لا يكون بها الا ما علم الله تعالى انه يكون ولا مزيد وهى استطاعة باضافة لا استطاعة على الاطلاق لكن نقول هو مستطيع بصحة جوارحه أي انه متوهم كون الفعل منه فقط فان قالوا افأمركم الله تعالى بان تكذبوا قوله وتبطلوا علمه اذ أمركم بفعل ما علم انه لا تفعلونه قلنا عند

التى هى فوق الزمان والحركة والطبيعة وحق لها اسم الوجود اذ لها السرمد والبقاء والدهر ويحكى عنه انه قال الاستقسات لم تزل تتحرك حركة مشوهة مضطربة غير ذات نظم وان البارى تعالى نظمها ورتبها وكان هذا العالم وربما عبر عن الاستقسات بالاجزاء اللطيفة وقيل انه عنى بها الهيولى الازلية العارية عن الصور حتى اتصلت الصور والاشكال بها وترتبت وانتظمت ورأيت فى رموزله انه قال ان النفوس كانت فى عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها ومافيه من الروح والبهجة والسرور فاهبطت الى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات وتستفيد ماليس لها بذاتها بواسطة القوى الحسية فسقطت رياستها قبل الهبوط واهبطت حتى يستوي ريشها وتطير الى عالمها باجنحة مستفادة من هذا

تحقيق الامر فان امره عز وجل لمن علم انه لايفعل ماأمر به أمر تعجيز كقوله * قل كونوا حجارة أوحديدا * وكقوله * من كان يظن أن لن ينصره الله فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده مايغيظ

(قال ابو محمد) وقد تحيرت المعتزلة هاهنا حتى قال بعضهم لولم يقتل زيد لعاش وقال أبو الهذيل لولم يقتل لمات وشغب القائلون بانه لو لم يقتل لعاش بقول الله عز وجل* ومايعمر من معمر ولاينقص من عمره الا فى كتاب * وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسأ فى اجله فليصل رحمه

(قال ابو محمد) وكل هذا لاحجة لهم فيه بل هو بظاهره حجة عليهم لان النقص فى اللغة التى بها نزل القرآن انما هو من باب الاضافة وبالضرورة علمنا ان من عمر مائة عام وعمر آخر ثمانين سنة فان الذى عمر ثمانين نقص من عدد عمر الآخر عشرين عاما فهذا هو ظاهر الاية ومقتضاها على الحقيقة لامايظنه من لاعقل له من أن الله تعالى جار تحت احكام عباده ان ضربوا زيدا اماته وان لم يضربوه لم يمته ومن ان علمه غير محقق فربما اعاش زيداماية سنة وربما اعاشه اقل وهذا هو البداء بعينه ومعاذ الله تعالى من هذا القول بل الخلق كله مصرف تحت أمر الله عزوجل وعلمه فلايقدر احد على تعدى ماعلم الله تعالى انه يكون ولايكون البتة الاماسبق فى علمه ان يكون والقتل نوع من انواع الموت فمن سأل عن المقتول لولم يقتل لكان يموت أويعيش فسؤاله سخيف لانه انما يسال لولم يمت هذا الميت اكان يموت أوكان لايموت وهذه حماقة جدا لان القتل علة لموت المقتول كما ان الحمى القاتلة والبطن القاتل وسائر الامراض القاتلة علل للموت الحادث عنها ولافرق واماقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينسا فى أجله فليصل رحمه فصحيح موافق للقرآن ولما توجبه المشاهدة وانما معناه ان الله عزوجل لم يزل يعلم ان زيدا سيصل رحمه وان ذلك سبب الى أن يبلغ من العمر كذا وكذا وكذا كل حى فى الدنيا لان من علم الله تعالى ان سيعمره كذا وكذا من الدهر فانه تعالى قد علم وقدر انه سيتغذى بالطعام والشراب ويتنفس بالهواء ويسلم من الآفات القاتلة تلك المدة التى لابد من استيفائها والمسبب والسبب كل ذلك قد سبق فى علم الله عزوجل كما هو لايبدل قال تعالى *مايبدل القول لدى* ولوكان على غير هذا لوجب البداء ضرورة ولكان غير عليم بما يكون متشككا فيه لايكون أم لا يكون جاهلا به جملة وهذه صفة المخلوقين لاصفة الخالق وهذا كفر ممن قال به وهم لايقولون بهذا

(قال ابو محمد) ونص القرآن يشهد بصحة ماقلنا قال الله تعالى عزوجل* لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم * وقال تعالى * قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت اوالقتل *وقال تعالى * اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة *وقال تعالى منكر القول قوم جرت المعتزلة فى ميدانهم * الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لواطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين* وقال تعالى* ياايها الذين امنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزا لوكانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيي ويميت * وقال تعالى * وماكان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا *

العالم وحكى ارسطوطاليس) عنه انه أثبت المبادى خمسة أجناس الجوهر والاتفاق والاختلاف والحركة والسكون ثم فسر كلامه فقال اما الجوهر فيعنى به الوجود وأما الاتفاق فلان الاشياء متفقة بانها من الله تعالى وأما الاختلاف فلانها مختلفة فى صورها وأما الحركة فان لكل شيء من الاشياء فعلا خاصا وذلك نوع من الحركة لاحركة النقلة واذا تحركت نحو الفعل وفعل فله سكون بعد ذلك لا محالة قال وأثبت البخت أيضا سادسا وهو نطق عقلي وناموس لطبيعة الكل وقال جرجيس انه قوة روحانية مدبرة للكل وبعض الناس يسميه جدا وزعم الرواقيون انه نظام لعلل الاشياء وللاشياء المعلولة وزعم بعضهم أن علل الاشياء ثلاثة المشتري

(قال ابو محمد) وهذه نصوص لا يبعد من ردها بعد ان سمعها عن الكفر نعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) وموه بعضهم بان ذكر قول الله تعالى * ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده

(قال ابو محمد) وهذه الآية حجة عليهم لانه تعالى نص على انه قضى اجلا ولم يقل لشيء دون شيء لكن على الجملة ثم قال تعالى * واجل مسمي عنده * فهذا الاجل المسمى عنده هو الذى قضي بلا شك اذلو كان غيره لكان احدهما ليس اجلا اذا امكن التقصير عنه اومجاوزته ولكن البارى تعالى مبطلا اذ سماه اجلا وهذا كفر لا يقوله مسلم وأجل الشيء هو ميعاده الذى لا يتعداه والا فليس يسمي أجلا البتة ولم يقل تعالى ان الاجل المسمى عنده هو غير الاجل الذى قضي فاجل كل شيء منقضى امره بالضرورة نعلم ذلك ويبين ذلك قوله تعالى * فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون * قال * ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها * وقد اخبرنا تعالى بذلك ايضا فقال * وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا * فتظاهرت الآيات كلها بالحق الذى هو قولنا وبتكذيب من قال غير ذلك وبالله تعالى التوفيق واما الارزاق فان الله تعالى اخبرنا فقال * الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم * وقال تعالى * وخلقناكم ازواجا . فكل مال حلال فانما نقول انه تعالى رزقنا اياه وكل امرأة حلال فانا نقول ان الله تعالى زوجنا اياها اوملكنا اياها واما من اخذ مالا بغير حق اوامرأة بغير حق فلا يجوز ان نقول انه تعالى رزقنا اياه ولا ان الله تعالى ملكنا اياه ولا ان الله اعطانا اياه ولا ان الله تعالى زوجنا اياها ولا ان الله تعالى ملكنا اياها ولا انكحنا اياها لان الله تعالى لم يطلق لنا ان نقول ذلك وقد قلنا ان الله تعالى له التسمية لا لنا لكن نقول ان الله ابتلانا بهذا المال وبهذه المرأة وامتحننا بهما واضلنا بهما وخلق تملكنا اياهما ونكاحها لنا واستعمالنا اياهما ولا نقول انه اطعمنا الحرام ولا اباح لنا الحرام ولا وهب لنا الحرام ولا آتانا الحرام كما ذكرنا من التسمية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وأما قولهم أليس اذا كانت أفعالكم لكم ولله تعالى فقد وجب انكم شركاؤه فيها فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا من ابرد ما موه وهوابه وهو عايد عليهم لانهم يقولون انهم يخترعون افعالهم ويخلقونها وهى بعض الاعراض وان الله تعالى يفعل سائر الاعراض ويخلقها ويخترعها فهذا هو عين الاشراك والتشبيه فى حقيقة المعنى وهو الاختراع تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وأما نحن فلا يلزمنا ايجاب الشركة لله تعالى فيما قلنا لان الاشراك لا يجب بين المشتركين الا باتفاقهما فيما اشتركا فيه وبرهان ذلك ان أموالنا ملك لنا وملك لله عز وجل باجماع منا ومنهم وليس ذلك بموجب ان تكون شركاؤه فيها لاختلاف جهات الملك لان الله تعالى انما هو مالك لها لانها مخلوقة له تعالى وهو مصرفنا فيها وناقلها عنا وناقلنا عنها كيف شاء الله تعالى وهى ملكنا لانها كسب وملزمون احكامها ومباح لنا التصرف فيها بالوجوه التى اباحها الله تعالى لنا وايضا فنحن عالمون بان محمدا رسول الله والله تعالى عالم بذلك وليس ذلك موجبا لان نكون شركاءه فى ذلك العلم لاختلاف الامر فى ذلك لان علمنا عرض محمول فينا وهو غيرنا وعلم الله تعالى ليس هو غيره ومثل هذا كثير جدا لا يحصى فى دهر طويل بل لا يحصيه مفصلا الا الله وحده لا شريك له

والطبيعة والبخت وقال أفلاطن ان فى العالم طبيعة عامة تجتمع الكل وفى كل واحد من المركبات طبيعة خاصة وحد الطبيعة بانها مبدأ الحركة والسكون فى الاشياء أى مبدأ التغير وهو قوة سارية فى الموجودات كلها تكون السكنات والحركات بها فطبيعة الكل محركة الكل والمحرك الاول يجب أن يكون ساكنا والا تسلسل القول فيه الى ما لا نهاية له وحكى ارسطوطاليس فى مقالة الالف الكبري من كتاب مابعد الطبيعة أن افلاطن كان يختلف فى حداثته الى اقراطولس فكتب عنه مارووى عن ارقطس أن جميع الاشياء المحسوسة فاسدة وان العلم لا يحيط بها ثم اختلف بعده الى سقراط وكان من مذهبه طلب الحدود دون النظر فى طبائع المحسوسات

فكيف لم يجب الاشتراك البتة بين الله تعالى و بيننا عندم فى هذه الوجوه كلها ووجب ان يكون شركاءه في شيء ليس للاشتراك البتة فيه مدخل وهو خلقه تعالى لافعالنا هو فاعل لها بمعنى مخترع لها ونحن فاعلون لها بمعنى ظهورها محمولة فينا وهذا خلاف فعل الله تعالى لها وقد قال بعض اصحابنا بأن الافعال لله تعالى من جهة الخلق وهى لنا من جهة الكسب

(قال ابو محمد) وقد تذاكرت هذا مع شيخ طرابلسى يكنى ابا الحسن معتزلى فقال لى وللافعال جهات وزاد بعضهم فقال او ليست اعراضا والعرض لا يحمل العرض والصفة لا تحمل الصفة

(قال ابو محمد) وهذا جهل من قائله وقضية فاسدة من اهذار المتكلمين ومشاغبهم وقول يرده القرآن والمعقول والاجماع من جميع اللغات والمشاهدة: فاما القرآن فان الله تعالى يقول * عذاب عظيم وعذاب اليم ولنذ يقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر * وقال تعالى * وانبتها نباتا حسنا * وقال تعالي * ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال تعالى * ومكروا مكرا كبارا * وقال تعالى * ان كيدكن عظيم * وقال تعالى وجاؤا بسحر عظيم * وقال تعالى * صفراء فاقع لونها * وقال تعالى * قد بدت البغضاء من افواههم * وقال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال تعالى * وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم * وقال تعالى * اتبعوا ما أسخط الله * وقال تعالى * فلما اضاءت ماحوله * وقال تعالى * تلفح وجوههم النار * وقال تعالى * فاخذتكم الصاعقة * وقال تعالى * مما تنبت الارض * وقال تعالى لما يتفجر منه الانهار * وقال تعالى . فيخرج منه الماء . وقال تعالى . فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا فاما الزبد فيذهب جفاء واما ماينفع الناس فيمكث فى الارض .وقال تعالى. والفلك تجرى فى البحر بما ينفع الناس .

(قال ابو محمد) فوصف الله تعالى العذاب بالعظم و بالايلام و بان فيه اكبر وادنى ووصف النبات بالحسن وكيد الشيطان بالضعف وكيد النساء بالعظم والمكر بالكبر والسحر بالعظم واللون بالفقوع وذكر ان البغضاء تبدو وان الكلام الطيب يصعد اليه تعالى وان الاعمال الصالحة ترفع الكلام الطيب وان الظن يردى وان العمل الردىء يسخط الله تعالى ومثل هذا فى القرآن وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر من ان يجمع الا فى جزء ضخم فكيف يساعد امرأ مسلما لسانه على انكار شيء من هذا بعد شهادة الله عز وجل بما ذكرنا واما اجماع اللغات فكل لغة لا ينكر احد فيها القول بصورة حسنة وصورة قبيحة وحمرة مشرقة وحمرة مضيئة وحمرة كدرة ولا يختلف احد من اهل الارض فى ان يقول صف لي عمل فلان وهذا عمل موصوف وصفة عمل كذا وكذا وهذا هو الذى انكروا بعينه وهو اكثر من ان يحصى واما الحس والعقل والمعقول فبيقين يدرى كل ذى فهم ان الكيفيات تقبل الاشد والاضعف هذه خاصة الكيفية التى توجد فى غيرها وكل هذا عرض يحمل عرضا وصفة تحمل صفة

(قال ابو محمد) وقد عارضنى بعضهم فى هذا فقال لو أن العرض يحمل العرض لحمل ذلك العرض عرضا آخر وهكذا أبدا وهذا يوجب وجود أعراض لا نهاية لها وهذا باطل

(قال ابو محمد) فقلت ان المشاهدات لا تدفع بهذه الدعوى الفاسدة وهذا الذى ذكرت

وغيرها فظن افلاطن ان نظر سقراط فى غير الاشياء المحسوسة لان الحدود ليست للمحسوسات لانها انما تقع على أشياء دائمة كلية أعنى الاجناس والانواع فعند ذلك ماسمى افلاطن الاشياء الكلية صورا لانها واحدة ورأى أن المحسوسات لا تكون الا بمشاركة الصور اذا كانت الصور رسوما ومثالات لها متقدمة عليها وانما وضع سقراط الحدود مطلقا لا باعتبار المحسوس وغير المحسوس وافلاطن ظن انه وضعها لغير المحسوسات فاثبتها مثلا عامة وقال افلاطن فى كتاب النواميس إن أشياء لا ينبغى للانسان ان يجهلها منها ان له صانعا وان صانعه يعلم أفعاله وذكر أن الله تعالى انما يعرف بالسلب أى لا شبيه له ولا مثال وانه أبدع العالم من

لا يلزم لاننا لم نقل ان كل عرض فواجب أن يحمل أبداً لكننا نقول ان من الاعراض ما يحمل الاعراض كالذي ذكرناو منها مالا يحمل الاعراض وكل ذلك جار على مارتبه الله عز وجل وعلى ماخلقه وكل ذلك له نهاية تقف عندها ولا يزيد ونحن اذا وجدنا بيننا جسم يزيد على جسم آخر زيادة ما في طوله أو عرضه فليس يجب من ذلك أن الزيادة موجودة الي مالا نهاية له لكن تنتهي الزيادة الي حيث رتبها الله عز وجل وتقف وانما العلم كله معرفة الاشياء علي ماهى عليه فقط ونقول لهم أتخالف حمرة التفاحة حمرة الخوخة أم لا فلابد لهم من أن يقولوا بأنها قد تخالفها فى صفة ما الا أن ينكروا العيان فنقول لهم أتخالف الحمرة والصفرة أم لا فلابد أيضا من نعم فنقول لهم أخلاف الحمرة للحمرة هو خلاف الحمرة للصفرة أم لا فلا بد من لا ولو قالوا نعم للزمهم ان الصفرة هى الحمرة اذ كانت الصفرة لا تخالفها الحمرة الا بما تخالف فيه الحمرة الحمرة الاخرى والخضرة فاذا فى الحمرة والصفرة صفتان بهما يختلفان غير الصفة التى بها تخالف الحمرة الحمرة الاخرى والخضرة فقد صح يقيناً ان الصفة قد تحمل الصفة وان العرض قد يحمل العرض بضرورة المشاهدة على حسب مارتبه الله تعالى وكل ذلك ذو نهاية ولابد و تحقيق الكلام فى هذه المعاني وتناهيها هو ان العالم كله جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد والجوهر أجناس وأنواع والعرض أجناس وأنواع والاجناس محصورة ببراهين قد ذكرناها فى كتاب التقريب عمدتها ان الاجناس أقل عددا من الانواع المنقسمة تحتها بلا شك والانواع اكثر عددا من الاجناس اذ لابد من أن يكون تحت كل جنس نوعان أو اكثر من نوعين والكثرة والقلة لا يقعان ضرورة الا فى ذى نهاية من مبدئه ومنتهاه لان مالا نهاية له فلا يمكن ان يكون شيء اكثر منه ولا اقل منه ولا مساويا له لان هذا يوجب النهاية ولابد فالعالم اذا ذو نهاية لانه ليس شيئاً غير الاجناس والانواع التى للجواهر والاعراض فقط والمعاني انما هي للاشياء المعبر عنها بالالفاظ فقط فاذ هذا كما ذكرنا فانما نقيس الاشياء بصفاتها التى تقوم منها حدودها مثل ان نقول ما الانسان فنقول جسم ملون ونفس فيه تمكن أن تكون متصرفه فى العلوم والصناعات يقبل الحياة والموت فيقال ما الجسم وما النفس وما اللون وما لصناعات وما العلوم وما الحياة وما الموت فاذا فسرت جميع هذه الالفاظ ورسمت كل ما يقع عليه وفعلت كذلك فى جميع الاجناس والانواع فقد انتهت المعانى وانقطعت ولا سبيل الى التمادى بلا نهاية أصلا لان كل ما ينطق به او يعقل فانه لا يعدو الاجناس والانواع ألبتة والانواع والاجناس محصورة كما بينا وكل ماخرج من الاشخاص الى حد الفعل فقد حصره العدد لانه ذو مبدأ وكل ما حصره العدد فمتناه ضرورة فجميع المعاني من الاعراض وغيرها محصورة بما ذكرنا من البرهان الصحيح الذى ذكرنا أن كل ما فى العالم مما خرج الى الوجود فى الدهر مذ كان العالم من جنس أو عرض فهو كله محصور عدده متناه أمده ذو غاية فى ذاته فى مبدئه ومنتهاه وعدده وبالله تعالى التوفيق وقد نعجز نحن عن عد شعور اجسامنا ونوقن انها ذات عدد متناه بلا شك فليس قصور قولنا عن احصاء عدد ما فى العالم بمعترض على وجوب وجود النهاية فى جميع أشخاص جواهره وأعراضه وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) وأما قولهم اذا كان فعلنا خلقاً لله عز وجل ثم عذبنا عليه فانما عذبنا على خلقه فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان هذا لا يلزم ولو لزمنا للزمهم اذا كان تعالى يعذبنا على ارادتنا وحركتنا

لا انظام الى نظام وان كل مركب فهو للانحلال وانه لم يسبق العالم زمان ولم يبدع عن شيء ثم إن الاوائل اختلفوا فى الابداع والمبدع هل هما عبارتان عن معبر واحد أم الابداع نسبة الى المبدع ونسبة الى المبدع وكذلك فى الارادة انها المراد والمريد على حسب اختلاف متكلمي الاسلام فى الخلق والمخلوق والارادة انها خلق أم مخلوقة أم صفة فى الخالق قال انكساغورس بمذهب فلوطرخيس ان الارادة ليست هى غير المراد ولا غير المريد وكذلك الفعل لانهما لا صورة لهما ذاتية وانما يقومان بغيرهما فالارادة مرة مستنبطة فى المريد ومرة ظاهرة فى المراد وكذلك الفعل وأما افلاطن وارسطوطاليس فلا يقبلون هذا القول وقالا ان صورة

وحركتنا الواقفتين منا أن يعذبنا على كل حركة لنا أو على كل ارادة لنا بل على كل حركة فى العالم وعلى كل ارادة فان قالوا لا يعذبنا الاعلى حركتنا وارادتنا الواقعين منا بخلاف أمره عز وجل وكذلك نقول نحن انه لا يعذبنا الاعلى خلقه فينا الذى هو ظاهر منا بخلاف أمره وهو منسوب الينا ومكتسب لنا لايثارنا اياه المخلوق فينا فقط لا على كل ماخلق فينا أو فى غيرنا ولافرق ولو أخبرنا تعالى انه يعذبنا على ماخلق فى غيرنا لقلنا به ولصدقناه كانقرانه يعذب أقواما على مالم يفعلوه قط ولا أمروا به لكن على مايفعله غيرهم ممن جاء بعدهم بألف عام لان أولئك كانوا أول من فعل مثل ذلك الفعل قال الله تعالى * وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم * وقال تعالى * حاكيا عن أحد ابنى آدم عليه السلام انه قال * انى أريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من اصحاب النار * وقال تعالى * ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون * وليس هذا معارضا لقوله تعالى * وماهم بحاملين من خطاياهم من شيء * بل كلا الآيتين متفقة مع الاخرى لان الخطايا التى نفى الله عز وجل أن يحملها أحد عن احد هى بمعنى ان يحط حمل هذا لها من عذاب العامل بها شيئا فهذا لا يكون لان الله عز وجل نفاه وأما الحمل لمثل عقاب العامل للخطيئة مضاعفا زائدا الى عقابه غير حاط من عقاب الآخر شيئا فهو واجب موجود وكذلك اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من سن سنة فى الاسلام سيئة كان عليه مثل وزر من عمل بها ابدا لا يحط ذلك من اوزار العاملين لها شيئا ولو أن الله تعالى أخبرنا انه يعذبنا على فعل غيرنا دون أن نسنه وانه يعذبنا على غير فعل فعلناه أو على الطاعة لكان كل ذلك حقا وعدلا ولوجب التسليم له ولكن الله تعالى وله الحمد قد آمننا من ذلك بقوله تعالى * لا يضركم من ضل اذا اهتديتم * وحكمه تعالى اننا لا نجزى الابما عملنا أو كنا مبتدئين له فأمنا ذلك ولله تعالى الحمد وقد أيقنا أيضا انه تعالى يأجرنا على ماخلق فينا من المرض والمصائب وعلى فعل غيرنا الذى لا أثر لنا فيه كضرب غيرنا لنا ظلما وتعذيبهم لنا وعلى قتل القاتل لمن قتل ظلما وليس ههنا من المقتول صبر ولا عمل اصلا فانما أجر على فعل غيره مجردا اذا احدثه فيه وكذلك من أخذ غيره ماله والمأخوذ ماله لا يعلم بذلك الى ان مات فاي فرق بين أن يأجرنا على فعل غيرنا وعلى فعله تعالى فى احراق مال من لم يعلم باحتراق ماله وبين أن يعذبنا على ذلك لو شاء عز وجل وأما قولهم فرض الله عز وجل الرضا بما قضى وبما خلق فان كان الكفر والزنا والظلم مما خلق ففرض علينا الرضا بذلك فجوابنا ان الله عز وجل لم يلزمنا قط الرضا بما خلق وقضى بكل ماذكر بل فرض الرضا بما قضى علينا من مصيبة فى نفس أو فى مال مظهر تمويههم بهذه الشبهة

(قال ابو محمد) فان احتجوا بقول الله عز وجل * ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك * فالجواب ان يقال لهم وبالله تعالى التوفيق ان هذه الآية اعظم حجة على اصحاب الاصلح وهم جمهور المعتزلة فى ثلاثة أوجه وهى حجة على جميع المعتزلة فى وجهين لان فى هذه الآية أن ما اصاب الانسان من حسنة فمن الله وما أصابه من سيئة فمن نفسه وهم كلهم لا يفرقون بين الامرين بل الحسن والقبيح من افعال المرء كل ذلك عندهم من نفس المرء لا خلق الله تعالى فى شيء من فعله لا حسنه ولا قبيحه فهذه الآية مبطلة لقول جميعهم فى هذا الباب والوجه الثانى انهم كلهم قائلون انه لا يفعل المرء حسنا ولا قبيحا البتة الا بقوة موهوبة

الارادة وصورة الفعل قائمتان وهما أبسط من صورة المراد كالقاطع للشيء هو المؤثر وأثره فى الشيء والمقطوع هو المؤثر فيه القابل للاثر ليس هو المؤثر ولا المؤثر فيه والا انعكس حتى يكون المؤثر هو الاثر والمؤثر فيه هو الاثر وهو محال فصورة المبدع فاعلة وصورة المبدع مفعولة وصورة الابداع متوسطة بين الفاعل والمفعول فللفعل صورة وأثر فصورته من جهة المبدع وأثره من جهة المبدع والصورة من جهة المبدع فى حق البارى تعالى ليست زائدة على ذاته حتى يقال صورة ارادة وصورة تأثير مفترقان بل هما حقيقة واحدة وأما برمينيدس الاصغر فقد أجاز قولهم فى الارادة ولم يجزه فى الفعل وقال ان الارادة يكون بلا توسط

من الله تعالى مكنه بها من فعل الخير والشر والطاعة والمعصية تمكينا مستويا وهي الاستطاعة على اختلافهم فيها فهم متفقون على ان البارى تعالى خالقها وواهبها كانت نفس المستطيع او بعضها اوعرضا فيه وفى هذه الآية فرق بين الحسن والسيء كما ترى وأما الوجه الثالث الذي خالف فيه القائلون بالاصلح خاصة هذه الآية فانهم يقولون ان الله تعالى لم يؤيد فاعل الحسنة بشيء من عنده تعالى ولم يؤيد فاعل السيئة والآية مخبرة بخلاف ذلك فصارت الآية حجة عليهم ظاهرة مبطلة لقولهم وأما قولنا نحن فيها فهو ما قاله الله عز وجل اذ يقول متصلا بهذه الآية دون فصل * قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك * ثم قال تعالى بأثر ذلك بعد كلام يسير * أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا * فصح بما ذكرنا ان كل هذا الكلام متفق لا مختلف فقدم الله تعالى ان كل شيء من عنده فصح بالنص انه تعالى خالق الخير والشر وخالق كل ما اصاب الانسان ثم أخبر تعالى ان ما اصابنا من حسنة فمن عنده وهذا هو الحق لانه لا يجب لنا تعالى عليه شيء فالحسنات الواقعة منا فضل مجرد منه لا شيء لنا فيه واحسان منه الينا لن نستحقه قط عليه واخبر عز وجل ان ما اصابنا من مصيبة فمن انفسنا بعد ان قال ان الكل من عند الله تعالى فصح اننا مستحقون بالنكال لظهور السيئة منا واننا عاصون بذلك كما حكم علينا تعالى فحكمه الحق والعدل ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق فان قالوا فاذا كان الله خالقكم وخالق افعالكم فانتم والجمادات سواء قلنا كلا لان الله تعالى خلق فينا علما نعرف به انفسنا الاشياء على ما هي عليه وخلق فينا مشيئة لكل ما خلق فينا يسمى فعلا لنا فخلق فيه استحسان ما يستحسنه واستقباح ما يستقبحه وخلق تصرفا فى الصناعات والعلوم ولم يخلق فى الجمادات شيئا من ذلك فنحن مختارون قاصدون مريدون مستحسنون أو كارهون متصرفون علما بخلاف الجمادات فان قيل فانتم مالكون لاموركم مفوض اليكم أعمالكم مخترعون لافعالكم قلنا لا لان الملك والاختراع ليس هو لاحد غير الله تعالى اذ الكل مما فى العالم مخترع له وملك له عز وجل والتفويض فيه معنى من الاستغناء ولا غنى باحد عن الله عز وجل وبه نتايد

(قال ابو محمد) فاذ قد ابطلنا بحول الله تعالى وقوته كل ما شغب به المعتزلة فى ان افعال العباد غير مخلوقة لله تعالى فلنأت ببرهان ضرورى ان شاء الله تعالى على صحة القول بانها مخلوقة لله تعالى فنقول وبه عز وجل نتايد ان العالم كله ما دون الله تعالى ينقسم قسمين جوهر وعرض لا ثالث لهما ثم ينقسم الجوهر الى اجناس وانواع ولكل نوع منها فصل يتميز به مما سواه من الانواع التى يجمعها واياه جنس واحد وبالضرورة نعلم ان ما لزم الجنس الاعلى لزم كل ما تحته اذ محال ان تكون نار غير حارة اوهواء راسب بطبعه او انسان صهال بطبعه وما اشبه هذا ثم بالضرورة نعلم ان الانسان لا يفعل شيئا الا الحركة والسكون والفكر والارادة وهذه كلها كيفيات يجمعها مع اللون والطعم والمحبة والاشكال جنس الكيفية فمن المحال الممتنع ان يكون بعض ما تحت النوع الواحد والجنس الواحد مخلوقا وبعضه غير مخلوق وهذا امر يعلمه باطلا من له ادنى علم بحدود العالم وانقسامه وحركتنا وسكوتنا يجمع كل ذلك مع كل حركة فى العالم وكل سكون فى العالم نوع من الحركة ونوع من السكون ثم ينقسم كل ذلك قسمين ولا مريد حركة

من البارى تعالى فجائز ما وضعه الله واما الفعل فيكون بتوسط منه وليس ماهو بلا توسط كالذى يكون بتوسط بل الفعل قط لن يتحقق الا بتوسط الارادة ولا ينعكس فاما الاولون مثل ثاليس وانبذقلس قالوا الارادة من جهة المبدع هى المبدع ومن جهة المبدع هى المبدع وفسروا هذا بان الارادة من جهة الصورة هى المبدع ومن جهة الاثر هى المبدع ولا يجوز أن يقال انها من جهة الصورة هى المبدع لان صورة الارادة عند المبدع قبل أن يبدع فغير جائز ان يكون ذات صورة الشيء الفاعل هى المفعول بل من جهة أثر ذات الصورة هى المفعول ومذهب افلاطن وارسطوطاليس هذا بعينه وفى الفصل انغلاق

اضطرارية وحركة اختيارية وسكونا اختياريا وسكونا اضطراريا وكل ذلك حركة محدمحد الحركة وسكون محدمحد السكون ومن المحال ان يكون بعض الحركات مخلوقا لله تعالى وبعضها غير مخلوق وكذلك السكون ايضا فان لجؤا الى قول معمر فى ان هذه الاعراض كلها فعل ماظهرت فيه بطباع ذلك الشيء سهل امرهم بعون الله تعالى وذلك انهم اذا اقروا ان الله تعالى خالق المطبوعات ومرتب الطبيعة على ماهي عليه فهو تعالى خالق ماظهر منها لانه تعالى هو رتب كونه وظهوره على ماهو عليه رتبة لايوجد بخلافها وهذا هو الخلق بعينه ولكنهم قوم لايعلمون كالمتكسع فى الظلمات وكما قال تعالى * كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا * نعوذ بالله من الخذلان وايضا فان نوع الحركات موجود قبل خلق الناس فمن المحال البين ان يخلق المرء ماقد كان نوعه موجودا قبله وايضا فان عمدتهم فى الاحتجاج على القائلين بان العالم لم يزل انما هى مقارنة الاعراض للجواهر وظهور الحركات ملازمة للمتحرك بها فاذا كان ذلك دليلا باهرا على حدوث الجواهر وان الله تعالى خلقها فما المانع من ان يكون ذلك دليلا باهرا ايضا على حدوث الاعراض وان الله تعالى خلقها لولا ضعف عقول القدرية وقلة علمهم نعوذ بالله مما امتحنهم به ونسأله التوفيق لا اله الا هو وايضاً فان الله تعالى قال * اذاً لذهب كل اله بما خلق * فاثبت تعالى ان من خلق شيئا فهو له اله فيلزمهم بالضرورة انهم آلهة لافعالهم التى خلقوها وهذا كفر مجرد ان طردوه والا لزمهم الانقطاع وترك قولهم الفاسد وايضا فان من خلق شيئا لم يعنه غيره عليه لكن انفرد بخلقه فبالضرورة يعلم انه يصرف ماخلق كما يفعله اذا شاء ويتركه اذا شاء ويفعله حسنا اذا شاء وقبيحا اذا شاء فاذهم خلقوا حركاتهم وارادتهم منفردين بخلقها فليظهروها الى ابصارنا حتى نراها او نلمسها اوليزيدوا فى قدرها وليخالفوها عن رتبتها فان قالوا لا نقدر علي ذلك فليعلموا انهم كاذبون فى دعاويهم خلقها لانفسهم فان قالوا انما نفعلها كما قوانا الله على فعلها فليعلمون ان الله تعالى اذا هو المقوى على فعل الخير والشر فان به عزوجل كان الخير والشر واذ لولاهو لم يكن خير ولاشر وبه كانا فهو كونهما واعان عليهما واظهرهما واخترعهما وهذا معنى خلقه تعالى لهما وبالله تعالى التوفيق ومن البرهان ان الله تعالى خالق افعال خلقه قوله تعالى حاكيا عن سحرة فرعون مصدقا لهم ومثنيا عليهم فى قولهم. ربنا افرغ علينا صبرا . فصح انه خالق مايفرغه من الصبر الذى لولم يفرغه على الصابر لم يكن له صبر وايضا فان جنس الحركات كلها والسكون كله والمعارف كلها جنس واحد وكل ماقيل على الكل قيل علي جميع اجزائه وعلى كل بعض من ابعاضه فنسالهم عن حركات الحيوان غير الناطق وسكونه ومعرفته بما يعرف من مضاره ومنافعه فى اكله وشربه وغير ذلك اكل ذلك مخلوق لله تعالى ام هو غير مخلوق فان قالوا كل ذلك مخلوق كانوا قد نقضوا هذه المقدمات التى يشهد العقل والحس بتصديقها وظهر فساد قولهم فى التفريق بين معرفتنا ومعرفة سائر الحيوان بما عرفه وبين حركاتنا وبين حركات سائر الحيوان وبين سكوننا وسكونه وهذه مكابرة ظاهرة ودعوى بلا برهان وان قالوا بل كل ذلك غير مخلوق ألزمناهم مثل ذلك فى سائر الاعضاء كلها فان تناقضوا كفونا انفسهم وان تمادوا الزمهم انه تعالى لم يخلق شيئا من الاعراض وهذا الحاد ظاهر وابطال للخالق وكفى بهذا اضلالا ونعوذ بالله من الخذلان ويكفى من هذا ان

الحكماء الاصول الذين هم من القدماء الا أنا ربما لم نجد لهم رأيا في المسائل المذكورة غير حكم مرسلة عملية أوردناها لئلا تشذ مذاهبهم عن القسمة ولا يخلو الكتاب عن تلك الفوائد فنهم الشعراء الذين يستدلون بشعرهم وليس شعرهم على وزن وقافية ولا الوزن والقافية ركن فى الشعر عندهم بل الركن فى الشعر ايراد المقدمات المخيلة فحسب ثم يكون الوزن والقافية معينين فى التخيل فان كانت المقدمة التى يوردها فى القياس الشعرى مخيلة فقط تمحض القياس شعريا وان انضم اليها قول اقناعى تركبت المقدمة من معينين شعرى واقناعى وان كان الضميم اليه قولا يقينيا تركبت المقدمة من شعرى وبرهانى ومنهم النساك ونسكهم

الاعراض تجرى على صفات الفاعل ونحن نجد الحكيم لايقدر على الطيش والبذاء وان الطياش البذى لايقدر على الحياء والصبر والسيء الخلق لايقدر على الحلم والحليم لايقدر على النزق والسخى لايقدر على المنع والشحيح لايقدر على الجود وقال تعالى * ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون * فصح ان من الناس موقى شح نفسه مفلحا وغير موقى ولا مفلح وكذلك الزكى لايقدر على البلادة والبليد لايقدر على الزكا والحافظ لايقدر على النسيان والناسى لايقدر على ثبات الحفظ والشجاع لايقدر على الجبن والجبان لايقدر على الشجاعة هكذا فى جميع الاخلاق التى عنها تكون الافعال فصح ان ذلك خلق لله تعالى لايقدر المرء على احالة شيء من ذلك أصلا حتى ان مخرج صوت احدنا وصفة كلامه لايقدر البتة على صرفه كما خلق عليه من الجهارة والخفاء أو الطيب والسماحة وكذلك خطه لايمكنه صرفه عما رتبه الله تعالى عليه ولو جهد وهكذا جميع حركات المرء حتى وقع قدميه ومشيه فلو كان هو خالق كل ذلك لصرفه كما يشاء فاذا ليس فيه قوة على صرف شيء من ذلك عن هيئته فقد ثبت ضرورة انه خلق الله تعالى فيمن نسب فى اللغة الى انه فاعله وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واكثرت المعتزلة فى التولد وتحيرت فيه حيرة شديدة فقالت طائفة مايتولد عن فعل المرء مثل القتل والالم المتولد عن رمي السهم وماأشبه ذلك فانه فعل الله عز وجل وقال بعضهم بل هو فعل الطبيعة وقال بعضهم بل هو فعل الذى فعل الفعل الذى عنه تولد وقال بعضهم هو فعل لافاعل له وقال جميع اهل الحق انه فعل الله عز وجل وخلقه فالبرهان فى ذلك هو البرهان الذى ذكرنا فى خلق الافعال من أن الله تعالى خالق كل شيء وبالله تعالى التوفيق

الكلام فى التعديل والتجوير

(قال ابو محمد) رحمه الله هذا الباب هو اصل ضلالة المعتزلة نعوذ بالله من ذلك على انا رأينا منهم من لايرضى عن قولهم فيه

(قال ابو محمد) وذلك ان جمهورهم قالوا وجدنا من فعل الجور فى الشاهد كان جائرا ومن فعل الظلم كان ظالما ومن أعان فاعلا على فعله ثم عاقبه عليه كان جائرا عابثا قالوا والعدل من صفات الله تعالى والظلم والجور منفيان عنه قال تعالى * وما ربك بظلام للعبيد * وقال تعالى * وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * وقال تعالى * فما كان الله ليظلمهم . وقال تعالى . لاظلم اليوم .

(قال أبو محمد) وقد علم المسلمون ان الله تعالى عدل لايجور ولايظلم ومن وصفه عز وجل بالظلم والجور فهو كافر ولكن ليس هذا على ماظنه الجهال من ان عقولهم حاكمة على الله تعالى فى ان لايحسن منه الاما حسنت عقولهم وانه يقبح منه تعالى ماقبحت عقولهم وهذا هو تشبيه مجرد لله تعالى بخلقه اذ حكموا عليه بانه تعالى يحسن منه ماحسن منا ويقبح منه ماقبح منا ويحكم عليه فى العقل بما يحكم علينا

(قال ابو محمد) وهذا مذهب يلزم كل من قال لما كان الحى فى الشاهد لايكون الا بحياة وجب ان يكون البارى تعالى حيا بحياة وليس بين القولين فرق وكلاهما لازم لمن التزم

وعباداتهم عقلية لا شرعية ويقتصر ذلك على تهذيب النفس عن الاخلاق الذميمة وسياسة المدينة الفاضلة التى هى الجثة الانسانية وربما وجدنا لبعضهم رأيا فى بعض المسائل المذكورة عن المبدع والابداع وانه عالم وان أول ماأبدعه ماذا وان المبادى كم هى وان المعاد كيف يكون وصاحب الرأى موافق للاوائل المذكورين أوردنا اسمه وذكرنا مقالته وان كانت كالمكررة ونبتدى بهم ونجعل فلوطرخيس مبدأ آخر

رأى (فلوطرخيس) قيل أنه أول من شهر بالفلسفة ونسبت اليه الحكمة تفلسف بمصر ثم سار الى ملطية وأقام بها وقد بعد من الاساطين قال ان البارى تعالى لم يزل بالازلية التى هى أزلية الازليات وهو مبدع فقط وكل مبدع

احدهما وكلاهما اضلال وخطأ وانما الحق هو ان كل مافعله الله عز وجل اى شيء كان فهو منه عز وجل حق وعدل وحكمة وان كان بعض ذلك مناجورا وسفها وكل مالم يفعله الله عز وجل فهو الظلم والباطل والعبث والتفاوت واما اجراؤهم الحكم على البارى تعالى بمثل مايحكم به بعضنا على بعض فضلال بين وقول سبق له اصل عند الدهرية وعند المنانية وعند البراهمة وهو ان الدهرية قالت لما وجدنا الحليم فيما بيننا لا يفعل الا لاجتلاب منفعة او لدفع مضرة ووجدنا من فعله مالا فائدة فيه فهو عابث هذا الذى لا يعقل غيره قالوا ولما وجدنا فى العالم ضرا وشرا وعبثا واقذارا ودودا ودبابا ومفسدين انتفى بذلك ان يكون له فاعل حكيم وقالت طائفة منهم مثل هذا سواء بسواء الا انهم زادوا فقالوا علمنا بذلك ان للعالم فاعلا سفيها غير البارى تعالى وهو النفس وان البارى الحكيم خلاها تفعل ذلك ليريها فساد ماتخيلته فاذا استبان ذلك لها افسده البارى الحكيم تعالى حينئذ وابطله ولم تعد النفس الى فعل شيء بعدها

(قال ابو محمد) وابطال هذا القول يثبت بما يبطل به قول المنتزلة سواء بسواء ولافرق وقالت المنانية بمثل ماقالت به الدهرية سواء بسواء الا انها قالت ومن خلق خلقا ثم خلق من يضل ذلك الخلق فهو ظالم عابث ومن خلق خلقا ثم سلط بعضهم على بعض واغرى بين طالع خلقه فهو ظالم عابث قالوا فعلمنا ان خالق الشر وفاعله هو غير خالق الخير

(قال ابو محمد) وهذا نص قول المنتزلة الا انها زادت قبحا بان قالت ان الله تعالى لم يخلق من افعال العباد لا خيرا ولا شرا وان خالق الافعال الحسنة والقبيحة هو غير الله تعالى لكن كل احد يخلق فعل نفسه ثم زادت تناقضا فقالت ان خالق عنصر الشر هو ابليس ومردة الشياطين وفعله كل شر وخالق طباعهم على تضادها هو الله تعالى وقالت البراهمة ان من العبث وخلاف الحكمة ومن الجور البين ان يعرض الله تعالى عباده لما يعلم انهم يعطبون عنده ويستحقون العذاب ان وقعوا فيه يريدون بذلك ابطال الرسالة والنبوات كلها

(قال ابو محمد) وبالضرورة نعلم انه لافرق بين خلق الشر وبين خلق القوة التى لا يكون الشر الا بها ولا بين ذلك وبين خلق من علم الله عز وجل انه لايفعل الا الشر وبين خلق ابليس وانظاره الى يوم القيامة وتسليطه على اغواء العباد واضلالهم وتقويته على ذلك وتركه يضلهم الا من عصم الله منهم فان قالوا ان خلق الله تعالى ابليس وقوى الشر وفاعل الشر خير وعدل وحسن صدقوا وتركوا اصلهم الفاسد ولزمهم الرجوع الى الحق فى ان خلقه تعالى للشر والخير وجميع افعال عباده وتعذيبه من شاء منهم ممن لم يهده واضلاله من اضل وهداه من هدى كل ذلك حق وعدل وحسن وان أحكامنا غير جارية عليه لكن احكامه جارية علينا وهذا هو الحق لذى لايخفى الا على من اضله الله تعالى نعوذ بالله من اضلاله لنا ولافرق بين شيء مما ذكرناه فى العقل البته وبرهان ضرورى

(قال ابو محمد) يقال لمن قال لايجوز ان يفعل الله تعالى الا ماهو حسن فى العقل منا ولا ان يخلق ويفعل ماهو قبيح في العقل فيما بيننا ياهؤلاء انكم اخذتم الامر من عند انفسكم ثم عكستموه فعظم غلطكم وانما الواجب انتم مقرون بان الله تعالى لم يزل واحدا وحده ليس معه خلق اصلا ولاشيء موجود لاجسم ولاعرض ولاجوهر ولاعقل ولامعقول ولاسفه ولاغير

ظهرت صورته فى حد الابداع فقد كانت صورته عنده أى كانت معلولة له والصور عنده بلا نهاية أى المعلومات بلانهاية قال ولو لم تكن الصور عنده ومعه لما كان ابداع ولا بقاء للمبدع ولو لم تكن باقية قائمة لكانت تدثر بدثور الهيولى ولو كان كذلك لارتفع الرجاء والخوف ولكن لما كانت الصور باقية دائمة ولها الرجاء والخوف كان دليلا على انها لاتدثر ولما عدل عنها الدثور ولم يكن له قوة عليها كان ذلك دليلا على أن الصور أزلية فى علمه تعالى قال ولا وجه الا القول باحد الاقوال أما أن يقال البارى تعالى لا يعلم شيئا البتة وهذا من المحال الشنيع وأما أن يقال يعلم بعض الصور دون بعض وهذا من النقص الذي لايليق بكمال الجلال

ذلك ثم اقررتم بلا خلاف منكم انه خلق النفوس واحدثها بعدان لم تكن وخلق لها العقول وركبها في النفوس بعدان لم تكن العقول البتة ان لا تحدثوا على الباري تعالى حكمنا لازماله من قبل بعض خلقه فليس في الجنون أفحش من هذا البتة ثم اخبرونا اذا كان الله وحده لا شيء موجود معه ففي أي شيء كانت صورة الحسن حسنة وصورة القبيح قبيحة وليس هنالك عقل اصلا يكون فيه الحسن حسنا والقبيح قبيحا ولا كانت هنالك نفس عاقلة أو غير عاقلة فيقبح عندها القبيح ويحسن الحسن فأي شيء قال تحسين الحسن وتقبيح القبيح وهما عرضان لا بد لهما من حامل ولا حامل أصلا ولا محمول ولا شيء حسن ولا شيء قبيح حتى احدث الله تعالى النفوس وركب فيها العقول المخلوقة وقبح فيها على قولكم ما قبح وحسن فيها على قولكم ما حسن فاذ لا سبيل الى أن يكون مع الباري تعالى في الازل شيء موجود اصلا قبيح ولا حسن ولا عقل يقبح فيه شيء او يحسن فقد وجب يقينا ان لا يمتنع من قدرة الله تعالى وفعله شيء يحدثه لقبح فيه ووجب ان لا يلزمه تعالى شيء لحسنه اذ لا قبح ولا حسن البتة فبما لم يزل فبالضرورة وجب ان ماهو الآن عندنا قبيح فانه لم يقبح بلا اول بل كان لقبحه أول لم يكن موجودا قبله فكيف ان يكون قبيحا قبله وكذلك القول في الحسن ولا فرق ومن المحال الممتنع جملة ان يكون ممكنا ان يفعل الباري تعالى حينئذ شيئا ثم يمتنع منه فعله بعد ذلك لان هذا يوجب اما تبدل طبيعة والله تعالى منزه عن ذلك واما حدوث حكم عليه فيكون تعالى متعبدا وهذا هو الكفر السخيف نعوذ بالله منه فان قالوا لم يزل القبيح قبيحا في علم الله عز وجل ولم يزل الحسن حسنا في علمه تعالى قلنا لهم هبكم ان هذا كما قلتم فعليكم في هذا حكمان مبطلان لقولكم الفاسد احدهما انكم جعلتم الحكم في ذلك لما في المعقول لا لما سبق في علم الله عز وجل فلم تجعلوا المنع من فعل ماهو قبيح عندكم الا لان العقول قبحته فاحطتم في هذا والثاني انه تعالى أيضا لم يزل يعلم ان الذي يموت مؤمنا فانه لا يكفر ولم يزل تعالى يعلم ان الذي يموت كافرا لا يؤمن فلم جوزتم قدرته على احالة ما علم من ذلك وتبديله ولم تجوزوا قدرته تعالى على احالة ما علم حسنا الى القبح واحالة ما علم قبيحا الى الحسن ولا فرق بين الامرين اصلا فاذا ثبت ضرورة انه لا قبح لعينه ولا حسن لعينه البتة وانه لا قبيح الا ما حكم الله تعالى بانه قبيح ولا حسن الا ما حكم بانه حسن ولا مزيد وأيضا فان دعواكم ان القبيح لم يزل قبيحا في علم الله تعالى ما دليلكم على هذا بل لعله تعالى لم يزل عليما بان امر كذا يكون حسنا برهة من الدهر ثم يقبحه فيصير قبيحا اذا قبحه لا قبل ذلك كما فعل تعالى بجميع الملل المنسوخة وهذا أصح من قولكم لظهور براهين هذا القول وبالله التوفيق ولم يزل سبحانه وتعالى عليما ان عقد الكفر والقول به قبيح من العبد اذا فعلهما معتقدا لهما لان الله قبحهما لا لانهما حركة او عرض في النفس وهذا هو الحق لظهور براهين هذا أيضا لا لان ذلك قبيح لعينه ويقال لهم أيضا أخبرونا من حسن الحسن في المعقول ومن قبح القبح في المعقول فان قالوا الله عز وجل قلنا لهم أفكان الله تعالى قادر على عكس تلك الرتبة اذ رتبها على أن يرتبها بخلاف ما رتبها عليه فيحسن فيها القبيح ويقبح فيها الحسن فان قالوا نعم اوجبوا انه لم يقبح شيء الا بعد ان حكم الله تعالى بقبحه ولم يحسن شيء الا بعد ان حكم الله تعالى بحسنه وانه كان له تعالى ان يفعل بخلاف ما فعل وله

واما أن يقال بعلم جميع الصور والمعلومات وهذا هو الرأى الصحيح ثم قال ان أصل المركبات هو الماء فاذا تخلخل صافيا وجد النار واذ تخلخل وفيه بعض الثقل صار هواء واذا تكاثف تكاثفا مبسوطا صار أرضا وحكى فلوطرخيس أن ابرقليطس زعم أن الاشياء انما انتظمت بالبخت وجوهر البخت هو نطق عقلي ينفذ في الجوهر الكلي (رأى اكسنو فانس كان يقول ان المبدع الاول هو آية أزلية دائمة ديمومية لقدم لا تدرك بنوع صفة منطقية ولا عقلية مبدع كل صفة وكل نعت نطقي وعقلي فاذا كان هذا هكذا فقولنا ان صورنا في هذا العالم المبدعة لم تكن عنده أو كانت أو كيف أبدع محال فان العقل مبدع والمبدع

ذلك الآن وابدا و بطل ان يكون تعالى متعبدا لنفسه وموجبا عليه مايكون ظالما مذموما ان خالفه وان قالوا لا يوصف تعالى بالقدرة علي ذلك عجزوا ربهم تعالى ولزمهم القول بمثل قول علي الاسوارى من انه تعالى لا يقدر علي غير ما فعل فحكم هذا الردى الدين والعقل بانه أقدر من ربه تعالى وأقوى لانه عند نفسه الخسيسة يقدر علي ما فعل وعلى مالم يفعل وربه تعالى لا يقدر الا على ما فعل ولو علم المجنون انه جعل ربه من الجمادات المضطرة الى ما يبدو منها ولا يمكن ان يظهر منها غير ما يظهر لسخنت عينه ولطال عويله على عظيم مصيبته نعوذ بالله من الخذلان ومن عظم ما حل بالقدرية المتنطعين بالجهل والعمى والحمد لله على توفيقه ايانا حمدا كثيرا كما هو أهله

(قال أبو محمد) ويقال لهم هكم شنعتم في قبيح انه قبيح فلم نفيتم عن الله عز وجل خلق الخير كله وخلق الحسن كله فقلتم لم يخلق الله تعالى الايمان ولا الاسلام ولا الصلاة ولا الزكاة ولا النية الحسنة ولا اعتقاد الخير ولا إيتاء الزكاة ولا الصدقة ولا البر لان خلق هذا قبيح أم كيف الامر فان تمويهكم بذكر خلق الشر وأنتم قد استوى عندكم الخير والشر فى أن الله تعالى لم يخلق شيئا من ذلك كله فدعو التمويه الضعيف

(قال أبو محمد) وقرأت فى مسائل لابى هاشم عبد السلام ابن أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائى رئيس المعتزلة وابن رئيسهم كلاما له يردد فيه كثيرا دون حياء ولا رقبة يجب على الله أن يفعل كذا كانه المجنون يخبر عن نفسه او عن رجل من عرض الناس فليت شعري اما كان له عقل أو حس يسائل به نفسه فيقول ليت شعرى من أوجب على الله تعالى هذا الذي قضي بوجوبه عليه ولا بد لكل وجوب وايجاب من موجب ضرورة والا كان يكون فعلا لا فاعل له وهذا اكفر مما أجازه فمن هذا الموجب على الله تعالى حكما ماوهذا لا يخلو ضرورة من أحد وجهين لا ثالث لهما اما ان يكون أوجبه تعالى عليه بعض خلقه اما العقل وأما العاقل فان كان هذا فقد رفع القلم عنه وأف لكل عقل يقوم فيه انه حاكم علي خالقه ومحدثه بعد ان لم يكن ومرتبه على ما هو عليه ومصرفه على ما يشاء واما ان يكون تعالى اوجب ذلك على نفسه بعد ان لم يزل غير موجب له على نفسه فان قال بهذا قيل له فقد كان غير واجب عليه حتى اوجبه فاذ هو كذلك فقد كان مباحا له ان يعذب من لم يقدره على ترك ما عذبه عليه وعلى خلاف سائر ما ذكرت انه اوجبه على نفسه واذا وجب ذلك على نفسه بعد ان لم يكن واجبا عليه فممكن له ان يسقط ذلك الوجوب عن نفسه واما ان يكون تعالى لم يزل موجبا ذلك على نفسه فان قال بهذا لزمته عظيمتان مخرجتان له عن الاسلام وعن جميع الشرائع وهما ان البارى تعالى لم يزل فاعلا ولم يزل فعله معه لان الايجاب فعل ومن لم يزل موجبا فلم يزل فاعلا وهذا قول اهل الدهر نفسه

(قال أبو محمد) ولا ممانع بين جميع المعتزلة فى اطلاق هذا الجنون من انه يجب على الله ان يفعل كذا ويلزمه ان يفعل كذا فاعجبوا لهذا الكفر المحض وبهذا يلوح بطلان ما يتاولونه فى قول الله تعالى * وكان حقا علينا نصر المؤمنين * وقوله تعالى * كتب على نفسه الرحمة * وقوله عليه السلام حق العباد على الله ان لا يعذبهم يعنى اذا قالوا لا اله الا الله وحق علي الله ان يسقيه من طينة الخبال يعنى عن شارب الخمر وان كل هذا انما هو ان الله تعالى قضى بذلك وجعله حتما واجبا وكونه حقا فوجب ذلك منه

مسبوق بالمبدع والمسبوق لا يدرك السابق ابدا فلا يجوز أن يصف المسبوق السابق بل يقول ان المبدع أبدع كيف ما احب وكيف ماشاء فهو هو ولا شيء معه وهذه الكلمة أعنى هو ولا شيء بسيط لا مركب معه وهو مجمع كل ما يطلبه من العلم لانك اذا قلت ولا شيء معه فقد نفيت عنه ازلية الصورة والهيولى وكل مبدع من صورة وهيولى وكل مبدع من صورة فقط ومن قال ان الصور ازلية مع انيته فليس هو فقط بل هو واشياء كثيرة فليس هو مبدع للصور بل كل صورة انما ظهرت ذاتها فعند اظهارها ذاتها ظهرت هذه العوالم وهذا اشنع مايكون من القول وكان هرمس وعاذيمون يقول ليست أوائل البتة ولا معقول قبل المحسوس بمحال

تعالى لا عليه فابدلت من من على وحروف الجر يبدل بعضها من بعض ثم نقول لهم من خلق ابليس ومردة الشياطين والخمر والخنازير والحجارة المعبودة والميسر والاصنام والازلام وما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب فمن قولهم وقول كل مسلم أن الله تعالى خالق هذا كله فلنسالهم اشيء حسن هو كل ذلك أم رجس وقبيح وشر فان قالوا بل رجس وقبيح ونجس وشر وفسق صدقوا وأقروا انه تعالى خلق الانجاس والرجس والشر والفسق وما ليس حسنا فان قالوا بل هي حسان في اضافة خلقها الى الله تعالى وهي رجس ونجس وشر وفسق تسمية الله تعالى لها بذلك قلنا صدقتم وهكذا نقول ان الكفر والمعاصي هي في انها اعراض وحركات خلق لله تعالى حسن من خلق الله تعالى كل ذلك وهي من العصاة باضافتها اليهم قبايح ورجس وقال عز وجل * انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان * وقال تعالى * ولحم خنزير فانه رجس * فليخبرونا بأي ذنب كان من هذه الاشياء وجب ان يسخطها الله تعالى وان يرجسها ويجعل غيرها طيبات هل هاهنا الا انه تعالى فعل مايشاء واي فرق بين ان يسخط ما شاء فيلعنه مما لا يعقل ويرضى عما شاء من ذلك فيعلي قدره ويأمر بتعظيمه كناقة صالح والبيت الحرام وبين ان يفعل ذلك أيضا فيمن يعقل فيقرب بعضا كما شاء ويبعد بعضا كما شاء وهذا ما لا سبيل الى وجود الفرق فيه أبدا ثم نسألهم هل حابي الله تعالى من خلقه في ارض الاسلام بحيث لا يلقى الا داعيا الى الدين ومحسنا له على من خلقه في أرض الزنج والصين والروم بحيث لا يسمع الا ذاما لدين المسلمين مبطلا له وصادا عنه وهل رأوا قط وسمعوا بمن خرج من هذه البلاد طالبا لصحة البرهان على الدين فمن انكر هذا كابر العيان والحس ومن اذعن لها ترك قول المعتزلة الفاسد

(قال ابو محمد) والقول الصحيح هو ان العقل الصحيح يعرف بصحته ضرورة ان الله تعالى حاكم على كل ما دونه وانه تعالى غير محكوم عليه وان كل ما سواه تعالى فمخلوق له عز وجل سواء كان جوهرا حاملا او عرضا محمولا لا خالق سواه وانه يعذب من يشاء ان يعذبه ويرحم من يشاء ان يرحمه وانه لا يلزم احدا الا ما ألزمه الله عز وجل ولا قبيح الا ما قبح الله ولا حسن الا ما حسن الله وانه لا يلزم لاحد على الله تعالى حق ولا حجة ولله تعالى على كل من دونه ومادونه الحق الواجب والحجة البالغة لو عذب المطيعين والملائكة والانبياء في النار مخلدين لكان ذلك له ولكان عدلا وحقا منه ولو نعم ابليس والكفار في الجنة مخلدين كان ذلك له وكان حقا وعدلا منه وان كل ذلك اذ أباه الله تعالى واخبر انه لا يفعله صار باطلا وجورا وظلما وانه لا يهتدي احد الا من هداه الله عز وجل ولا يضل احد الا اضله الله عز وجل ولا يكون في العالم الا ما اراد الله عز وجل كونه من خير او شر وغير ذلك وما لم يرد عز وجل كونه فلا يكون البتة وبالله تعالى التوفيق ونحن نجد الحيوان لا يسمى عدوان بعضها على بعض قبيحا ولا ظلما ولا يلام على ذلك ولا يلام على من ربى شيئا منها على العدوان عليها فلو كان هذا النوع قبيحا لعينه وظلما لعينه لقبح متى وجد فلما لم يكن كذلك صح انه لا يقبح شيء لعينه البتة لكن اذا قبحه الله عز وجل فقط فاذ قد بطل قولهم بالبرهان الكلي الجامع لاصلهم الفاسد فلننقل بحول الله تعالى وقوته في ابطال اجزاء مسائلهم وبالله تعالى نستعين فاول ذلك ان نسألهم فنقول عرفونا

بل مثل بدعة الاشياء مثل الذي يفرج من ذاته بلا حدث ولا فعل ظهر فلا يزال يخرجه من القوة الى الفعل حتى يوجد فيكمل فيحسه ويدركه وليس شيء معقول البتة والعالم دائم لا نزول ولا يفنى فان المبدع لا يجوز ان يفعل فعلا يدثر الا وهو داثر مع دثور فعله وذلك محال (رأي زينون الاكبر) كان يقول ان المبدع الاول كان في علمه صورة ابداع كل جوهر وصورة دثور كل جوهر فان علمه غير متناه والصور التي فيه من حد الابداع غير متناهية وكذلك صور الدثور غير متناهية فالعوالم في كل حين ودهر فما كان منها مشاكلا لنا ادركنا حدود وجوده ودثوره بالحواس والعقل وما كان غير مشاكل لنا لم ندركه الا انه ذكر وجه

ماهذا القبيح فى العقل أعلى الاطلاق فقال قائلون من زعمائهم منهم الحارث بن علي الوراق البغدادى وعبدالله بن احمد بن محمود الكعبي البلخي وغيرهما ان كل شيء حسن بوجه ماقلت يمتنع وقوع مثله من الله تعالى لانه حينئذ يكون حسنا اذليس قبيحا البتة على كل حال واما ما كان قبيحا على كل حال فلا يحسن البتة فهذا منفى عن الله عز وجل ابدا قالوا ومن القبيح على كل حال ان تفعل بغيرك مالا تريد ان يفعل بك وتكليف مالا يطاق ثم التعذيب عليه

(قال ابو محمد) وظن هؤلاء المبطلون اذ اتوا بهذه الحماقة انهم اغربوا وقرطسوا وهم بالحقيقة قد هذوا وهدروا وهذا عين الخطاء وانما قبح بعض هذا النوع اذ قبحه الله عز وجل وحسن بعضه اذ حسنه الله عز وجل والعجب من مباهتتهم فى دعواهم ان المحاباة فيما بيننا ظلم ولا ندرى فى اى شريعة ام فى اى عقل وجدوا ان المحاباة ظلم وان الله تعالى قد اباحها الاحيث شاء وذلك ان الرجل ان ينكح امرأتين وثلاثا واربعا من الزوجات وذلك له مباح حسن وان يطا من امائه اى عدد احب وذلك له مباح حسن ولا يحل للمرأة ان تنكح غير واحد ولا يكون عبدها وهذا منه حسن وبالضرورة ندرى ان في قلوبهن من الغيرة كما فى قلوبنا وهذا محظور فى شريعة غيرنا والنفار منه موجود فى بعض الحيوان بالطبع والحر المسلم ملكه ان يستعبد اخاه المسلم ولعله عند الله تعالى خير من سيده فى دينه وفى اخلاقه وقنوته ويبيعه ويهبه ويستخدمه ولا يجوز ان يستعبده هو احد لا عبده ذلك ولا غيره وهذا منه حسن وقد احب رسول الله ﷺ لنفسه المقدسة ما اكرمه الله تعالى به من ان لا ينكح احد من بعده من نسائه امهاتنا رضوان الله عليهن واحب هو عليه السلام نكاح من نكح من النساء بعد ازواجهن وكل ذلك حسن جميل صواب ولو احب ذلك غيره كان مخطىء الارادة قبيحا ظالما ومثل هذا ان تتبع كثير جدا اذ هو فاش فى العالم وفي اكثر الشريعة فبطل هذا القول الفاسد منهم وقد نص الله تعالى على اباحة ماليس عدلا عند المعتزلة بل على الاطلاق وعلى المحاباة حيث شاء وكل ذلك عدل منه قال عز وجل * ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء وان حرصتم فلا تميلوا كل الميل * وقال تعالى فان خفتم ان لا تعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم * فاباح تعالى لنا ان لا نعدل بين ما ملكت ايماننا واباح لنا محاباة من شئنا منهن فصح أن لا عدل الا ما سماه الله عدلا فقط وان كل شيء فعله الله فهو العدل فقط لا عدل سوى ذلك وكذلك وجدنا الله تعالى قد اعطى الابن الذكر من الميراث حظين وان كان غنيا مكتسبا واعطى البنت حظا واحدا وان كانت صغيرة فقيرة فبطل قول المعتزلة وصح ان الله تعالى يحابى من يشاء ويمنع من يشاء وان هذا هو العدل لا ماتظنه المعتزلة عدلا بجهلها وضعف عقولها واما تكليف مالا يطاق والتعذيب عليه فانما قبح ذلك فيما بيننا لان الله تعالى حرم ذلك علينا فقط وقد علمت المعتزلة كثرة عدد من يخالفهم فى ان هذا لا يقبح من الله تعالى الذى لا امر فوقه ولا يلزمه حكم عقولنا ومادعواهم على مخالفيهم فى هذه المسئلة انهم خالفوا قضية العقل ببديهته الا كدعوى المجسم عليهم انهم خالفوا قضية العقل ببديهته اذ اجازوا وجود الفعل مما ليس جسما واذ اجاز واحيا بلا حياة وعالما الا بعلم

(قال ابو محمد) وكلتا الدعويين على العقول كاذبة وقد بينا فيما سلف من كتابنا هذا غلط من ادعى فى العقل ماليس فيه وبينا ان العقل لا يحكم به على الله الذى خلق العقل ورتبه على ماهو

التجدد فقال ان الموجودات باقية دائرة فاما بقاؤها فبتجدد صورها واما دثورها فبدثور الصورة الاولى عند تجدد الاخرى وذكر ان الدثور قد يلزم الصور والهيولى وقال ايضا ان الشمس والقمر والكواكب يستمد القوة من جوهر السماء فاذا تغيرت السماء تغيرت النجوم ايضا ثم هذه الصور كلها بقاؤها ودثورها فى علم البارى تعالى والعلم يقتضى بقاءها دائما وكذلك الحكمة تقتضى ذلك لان بقاءها على هذا الحال افضل والباري تعالى قادر على ان يفنى العوالم يوما ان اراد وهذا الرأى قد مال اليه الحكماء المنطقيون والجدليون ذو الالهيين وحكي فلوطرخيطس أن زينون كان يزعم أن الاصول هو الله تعالى والعنصر فقط فالله تعالى

به ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق وقال بعض المعتزلة ان من القبيح بكل حال والمحظور فى العقل بكل وجه كفر نعمة المنعم وعقوق الاب

(قال ابو محمد) وهذا غاية الخطأ لان العاقل المميز بالامور اذا تدبر هذا علم يقينا انه لا منعم على احد الا الله وحده لا شريك له الذى اوجده من عدم ثم جعل له الحواس والتمييز وسخر له ما في الارض وكثيرا مما في السماء وخوله المال وان كل منعم دون الله عز وجل فان كان منعما بمال فانما اعطى من مال الله عز وجل فالنعمة لله عز وجل دونه وان كان ممرضاً او معتقا او خائفا من مكروه فانما صرف فى ذلك كلها وهبه الله عز وجل من الكلام والقوة والحواس والاعضاء وانما تصرف بكل ذلك فى ملك الله عز وجل وفيما هو تعالى اولى به منه فالنعمة لله عز وجل دونه فالله تعالى هو ولى كل نعمة فاذ لا شك في ذلك فلا منعم الا من سماه الله تعالى منعما ولا يجب شكر منعم الا بعد ان يوجب الله تعالى شكره فحينئذ يجب والا فلا ويكون حينئذ من لم يشكره عاصيا فاسقا اتى كبيرة لخلاف امر الله تعالى بذلك فقط ولا فرق بين تولدنا من منى ابوينا وبين تولدنا من التراب الارضى ولا خلاف فى انه لا يلزمنا بر التراب ولا له علينا حق ليس ذلك الا لان الله تعالى لم يجعل له علينا حقاً وقد يرضع الصغير شاة فلا يجب لها عليه حق لان الله تعالى لم يجعله لها وجعله للابوين وان كانا كافرين مجنونين ولم يتوليا تربيتنا بل اشتغلا عنا بلذاتهما ليس ههنا الا امر الله تعالى فقط وبرهان آخر ان امرألو زنى بامرأة عالماً بتحريم ذلك او غير ذلك عالم الا انه ممن لا يلحق به الولد المخلوق من نطفته النازلة من ذلك الوطء فان بره لا يلزم ذلك الولد اصلا ويلزمه بر أمه لان الله تعالى امره بذلك لها ولم يامره بذلك فى الذى تولد من نطفته فقط ولا فرق فى العقل بين الرجل والمرأة فى ذلك ولا فرق فى المعقول وفى الولادة تولد الجنين من نطفة الواطئ لامه بين اولاد الزنا واولاد الرشدة لكن لما الزم الله تعالى اولاد الرشدة المتولدين عن عقد نكاح او ملك يمين فاسدين او صحيحين برآبائهم وشكرهم وجعل عقوقهم من الكبائر لزمنا ذلك ولما لم يلزم ذلك اولاد الزانية لم يلزمهم وقد علمنا نحن وهم يقينا ان رجلين مسلمين لو خرجا فى سفر فاغار احدهما على قرية من قرى دار الحرب فقتل كل رجل بالغ فيها واخذ جميع اموالهم وسبى ذراريهم ثم خمس ذلك بحكم الامام العدل ووقع فى حظه اطفال قد تولى هو قتل ابائهم وسبى امهاتهم ووقعن ايضاً بالقسمة الصحيحة فى حصته فنكحهن وصرف اولادهن فى كنس حشوشه وخدمة دوابه وحرثه وحصاده ولم يكلفهم من ذلك الاما يطيقون وكساهم وانفق عليهم بالمعروف كما امر الله تعالى فان حقه واجب عليهم بلا خلاف ولو اعتقهم فانه منعم عليهم وشكره فرض عليهم وكذلك لو فعل ذلك بمن اشتراه وهو مسلم بعد واغار الثانى على قرية للمسلمين فاخذ صبيانا من صبيانهم فاسترقهم فقط ولم يقتل احدا ولا سبى لهم حرمة فربى الصبيان احسن تربية وكانوا فى قرية شقاء وجهد وتعب وشظف عيش وسوء حال فرفه معايشهم وعلمهم العلم والاسلام وخولهم المال ثم اعتقهم فلا خلاف فى انه لا حق له عليهم وان ذمه وعداوته فرض عليهم وانه لو وطيء أمرأة منهن وهو محصن وكان احدهم قد ولى حكما للزمه شدخ رأسه بالحجارة حتى يموت افلا يتبين لكل ذى عقل من اهل الاسلام انه لا محسن ولا منعم الا الله تعالى وحده لا شريك له الا من سماه الله تعالى محسنا او منعما ولا شكر لازما لاحد على

هو العلة الفاعلة والعنصر هو المنفعل حكمه قال اكثروا من الاخوان فان بقاء النفوس ببقاء الاخوان كما ان شفاء الابدان بالادوية وقيل رأى زينون فتى على شاطىء البحر محزونا يتلهف على الدنيا فقال له يا فتى مايلهفك على الدنيا لو كنت فى غاية الغنى وانت راكب فى لجة البحر قد انكسرت السفينة وأشرفت على الغرق كانت غاية مطلوبك النجاة ويفوت كل ما فى يدك قال نعم قال لو كنت ملكا على الدنيا وأحاط بك من يريد قتلك كان مرادك النجاة من يده قال نعم قال فانت الغنى وأنت الملك الا ن فتسلى الفتى وقال لتلميذه كن بما يأتى من الخير مسرورا وبما يجتنب من الشر محبورا وقيل له أى الملوك أفضل ملك اليونيين

احد الامن الزمه الله تعالى شكره ولاحق لاحد علي احد الامن جعل الله تعالى له حقا فيجب كل ذلك اذا أوجبه الله تعالى والافلا وقد اجمعوا معنا على ان من افاض احسان الدنيا علي انسان أفاضه بوجه حرمه الله تعالى فانه لا يلزمه شكره وان من احسن الى آخر غاية الاحسان فشكره بان اعانه في دنياه بما لا يجوز في الدين فانه مسيء اليه ظالم فصح يقينا انه لا يجب شيء ولا يحسن شيء ولا يقبح شيء الاما اوجبه الله تعالى في الدين او حسنه الله في الدين او قبحه الله في الدين فقط وبالله تعالى نتأيد وقال بعضهم الكذب قبيح على كل حال

(قال ابو محمد) وهذا كالاول وقد أجمعوا معنا علي بطلان هذا القول وعلى تحسين الكذب في مواضع خمسة اذ حسنه الله تعالى وذلك نحو انسان مسلم مستتر من امام ظالم يظلمه ويطلبه فسال ذلك الظالم هذا الذى استتر عنده المطلوب وسال ايضا كل من عنده خبره وعن ماله فلا خلاف بين احد من المسلمين في انه ان صدقه ودله على موضعه وعلى ماله فانه عاص لله عزوجل فاسق ظالم فاعل فعلا قبيحا وانه لو كذبه وقال له لا ادرى مكانه ولا مكان ماله فانه ماجور محسن فاعله فعلا حسنا وكذلك كذب الرجل لامرأته فيما يستجر به مودتها وحسن صحبتها والكذب في حرب المشركين فيما يوجد به السبيل الى اهلاكهم وتخليص المسلمين منهم فصح انه انما قبح الكذب حيث قبحه الله عزوجل ولولا ذلك ما كان قبيحا بالعقل اصلا اذ ما اوجب بضرورة العقل فمحال ان يستحيل في هذا العالم البتة عما رتبه الله عزوجل في وجود العقل اياه كذلك فصح كذبهم علي العقول وقال بعضهم الظلم قبيح

(قال ابو محمد) وهذا كالاول ونسالهم ما معنى الظلم فلا يجدون الا ان يقولوا انه قتل الناس واخذ اموالهم واذاهم وقتل المرء نفسه أو التشويه بها اواباحة حرمه للناس ينكحونهن وكل هذا فليس شيء منه قبيحا لعينه وقد أباح الله عزوجل اخذ اموال قوم بخراسان من اجل ابن عمهم قتل بالاندلس رجلا خطأ لم يرد قتله لكن رمى صيدا مباحا له أو رمى كافرا في الحرب فصادف المسلم السهم وهو خارج من خلف جبل فمات ووجدناه تعالى قد أباح دم من زنى وهو محصن ولم يطا امرأة قط الازوجة له عجوز اشعرها سوداء وطئها مرة ثم ماتت ولا يجد من ان ينكح ولا من ان يتسرى وهو شاب محتاج الى النساء وحرم دم شيخ زني وله ماية جارية كالنجوم حسنا الا انه لم يكن له قط زوجة واما قتل المرء نفسه فقد حسن الله تعالى تعريض المرء نفسه للقتل في سبيل الله عزوجل وصدمة الجموع التي يوقن انه مقتول في فعله ذلك وقد أمر عز وجل من قبلنا بقتل نفسه قال تعالى *فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم* ولو امرنا عزوجل بمثل ذلك لكان حسنا كما كان حسنا أمره عزوجل بذلك بنى اسرائل وأما التشويه بالنفس فان الختان والاحرام والركوع والسجود لولا امر الله تعالى بذلك وتحسينه اياه لكان لامعنى له ولكان على اصولهم تشويها ودليل ذلك ان امر أمن الناس لو قام ثم وضع رأسه في الارض في غير صلاة بحضرة الناس لكان عابثا بلاشك مقطوعا عليه بالهوس وكذلك لو تجرد المرء من ثيابه امام الجموع في غير حج ولا عمرة وكشف رأسه ورمي بالحصى وطاف ببيت مهرولا مستديرا به لكان مجنونا بلاشك لاسيا ان امتنع من قبيل قملة ومن فلى رأسه ومن قص اظفاره وشاربه لكن لما امر الله عزوجل بما امر به من ذلك كان فرضا واجبا

أم ملك الفرس قال من ملك شهوته وغضبه وسئل بعد أن هرم ما حالك قال أميز الصوت قليلا قليلا على مهل وقيل له اذا مت من يدفنك قال من يؤذيه نتن جيفتي وسئل ما لذى يهرم قال الغضب والحسد وأبلغ منها الغم وقال الفلك تحت تدبيري ونعي اليه ابنه فقال ما ذهب ذلك على انما ولدت ولدا يموت وما ولدت ولدا لا يموت وقال لا تخف موت البدن وقال ولكن يجب عليك أن تخاف موت النفس فقيل له لم قلت خف موت النفس والنفس الناطقة عندك لا تموت فقال اذا انتقلت النفس الناطقة من حد النطق الى حد البهيمية وان كان جوهرها لا يبطل فقد ماتت من العيش العقلي وقيل اعط الحق من نفسك فان الحق يخصمك ان لم تعطه حقه وقال محبة

وحسنا وكان تركه قبيحا وانكاره كفرا واما اباحة المرء حرمه للنكاح فهذا أعجب ماأتوا به أما علموا ان الله تعالى خلى بين عبده وامائه يفجر بعضهم ببعض وهو قادر على منعهم من ذلك فلم يفعل بل قوى آلاتهم وقوي شهواتهم علي ذلك باقرار المعتزلة فهذا من الله حسن ومن عباده قبيح لان الله قبحه ولا مزيد ولو حسنه تعالى لحسن أما شاهدوا انكاح الرجال بناتهم من رجال ثم يطلق الرجل منهم المرأة فمن آخر ثم آخر وهكذا ما أمكنهم وكذلك ان مات عنها فاى فرق فى العقول بين اباحة وطئها بلفظ زوجتك اوانكحتك وبين حظر وطئها بالاطلاق عليه بلفظة قم فطاها فهل هاهنا قبيح الا ماقبحه الله عزوجل أو حسن الا ما حسن الله عزوجل وقال بعضهم الكفر قبيح على كل حال

(قال ابو محمد) وهذا كالاول وما قبح الكفر الالان الله قبحه ونهى عنه ولولا ذلك ماقبح وقد اباح الله عزوجل كلمة الكفر عند التقية واباح بها الدم فى غير التقية ولوان امرأ اعتقد أن الخمر حرام قبل ان ينزل تحريمها لكان كافرا ولكان ذلك منه كفرا ان كان عالما باباحة الرسول صلي الله عليه وسلم ثم صار ذلك الكفر ايمانا وصار الآن من اعتقد تحليلها كافرا وصار اعتقاد تحليلها كفرا فصح ان لا كفر الا ماسماه الله عزوجل كفرا ولا ايمانا الا ماسماه ايمانا وان الكفر لايقبح الا بعد ان قبحه الله عزوجل ولايحسن الايمان الا بعد ان حسنه الله عز وجل فبطل كل ماقالوه فى الجور والكفر والظلم وصح انه لاظلم الا مانهى الله عنه ولا جور الا ما كان كذلك ولا عدل الا ماامر الله تعالى به اواباحه أى شيء كان وبالله تعالى التوفيق فاذ هذا كما ذكرنا فقد صح انه لاظلم فى شيء من فعل البارى تعالى ولوانه تعالى عذب من لم يقدره على ما أمر به من طاعته لما كان ذلك ظلما اذ لم يسمه تعالى ظلما وكذلك ليس ظلما خلقه تعالى للافعال التى هى من عباده عزوجل كفر وظلم وجور لانه لا آمر عليه تعالى ولا ناهيا بل الامر أمره والملك ملكه وقالوا تكليف مالا يطاق ثم التعذيب عليه قبيح فى العقول جملة لايحسن بوجه من الوجوه فيما بيننا فلا يحسن من البارى تعالى اصلا

(قال أبو محمد) نسى هؤلاء القوم مالا يجب ان ينسى ويقال لهم أليس قول القائل فيما بيننا أعبدونى أسجدوا الى قبحا لايحسن بوجه من الوجوه ولا على حال من الاحوال فلا بد من نعم فيقال لهم أوليس هذا القول من الله تعالى حسنا وحقا فلابد من نعم فان قالوا انما قبح ذلك منا لاننا لا نستحقه قيل لهم وكذلك انما قبح منا تكليف مالا يطاق والتعذيب عليه لاننا لا نستحق هذه الصفة واى شيء أتوا به من الفرق فهو راجع عليهم فى تكليف مالا يطاق ولا فرق وكذلك الممتن باحسانه الجبار المتكبر ذو الكبرياء قبيح فيما بيننا على كل حال وهو من الله تعالى حسن وحق وقد سمى نفسه الجبار المتكبر وأخبر أن له كبرياء وهو تعالى يمن باحسانه فان قالوا احسن ذلك منه لان الكل خلقه قيل لهم وكذلك حسن منه تكليف من لا يستطيع ثم تعذيبه لان الكل خلقه وكذلك فيما بيننا من عذب حيوانا بالنتف والضرب ثم احسن علفه ورفهه فهو قبيح على كل وجه وفاعله عابث وهم يقولون أن البارى تعالى أباح ذلك فى الحيوان من أكلها وذبحها ثم يعوضها علي ذلك وهذا منه عزوجل حسن الا ان يلجؤا الى أنه تعالي لا يقدر على تعويض الحيوان الا بعد ايلامها وتعذيبها فهذا أقبح قول وابينه كذبا وأوضحه نخبة وأتمه كفرا وأذمه للبارى تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل فان قالوا ان ايلام الحيوان قد يحسن فيما

بيننا

المال وتد الشر لان سائر الآفات يتعلق بها ومحبة الشرف وتد العيوب لان سائر العيوب متعلقة بها وقال احسن مجاورة النعم فتنعم ولا تسيء بها فتسيء بك وقال اذا ادركت الدنيا الهارب منها جرحته واذا أدركها الطالب لها قتلته وقيل له وكان لا يقتنى الاقوت يومه ان الملك يبغضك فقال وكيف يحب الملك من هو اغنى منه وسئل باى شيء تخالف الناس فى هذا الزمان البهائم قال بالشرازة قال وما رأينا العقل قط الا خادما للجهل وفى رواية للسنجرى الا خادما للجد والفرق بينهما ظاهر فان الطبيعة ولوازمها اذا كانت مستولية على العقل لستخدمه الجهل واذا كان ماقسم للانسان من الخير والشر فوق تدبيره العقلى كان الجد مستخدما للعقل ويعظم جد الانسان بالعقل وليس يعظم العقل بالجد

بيننا مثل ان يسقى الانسان من يحب ماء الادوية الكريهة ويحجمه ويكويه ليوصله بذلك الى منافع لولا هذا المكروه لم يكن ليصل اليها

(قال أبو محمد) وهذا تمويه لم ينفكوا به مما سألهم عنه اصحابنا فى هذه المسالة ونحن لم نسألهم عمن لا يقدر على نفعه الا بعد الاذى الذى هو أقل من النفع الذي يصل اليه بعد ذلك الاذى انما سألناهم عمن يقدر على نفعه دون ان يبتديه بالاذى ثم لا ينفعه الا حتى يؤذيه

(قال أبو محمد) وكذلك تكليف من يدرى المرء انه لا يطيقه وانه اذا لم يطقه عذبه قبيح فيما بيننا فقال قائل منهم ان هذا قد يحسن فيما بيننا وذلك ان يكون المرء يريد ان يقرر عند صديقه معصية عبده له فيأمره وهو يدرى انه لا يطيعه فان نهيه له حسن

(قال أبو محمد) وهذا كالاول ولا فرق ولم نسئلهم عمن لم يقدر على تعريف صديقه معصية غلامه له الا بتكليفه امامه مالا يطيعه فيه ولا عمن لا يقدر على منع العاصى له باكثر من النهى وانما سالهم عمن لا منفعة له فى ان يعلم زيدا معصية غلامه له وعمن يقدر على ان يعرف زيدا بذلك ويقرره عنده بغير ان يامر من لا يطيعه وعمن يقدر على منعه من المعصية فلا يفعل ذلك الا ان يعجزوا ربهم كاذكرنا فهذا مع أنه كفر فهو أيضا كذب ظاهر لانه تعالى قد أخبر عن أهل النار أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فتقرر هذا عندنا تقررا لو رأينا ذلك عيانا مازادنا علما بصحته وكذلك قد شاهدنا قوما آخرين ارادوا ضروبا من المعاصى فحال الله تعالى بينهم وبينها بضروب من الحوايل وأطلق آخرين ولم يحل بينهم وبينها بل قوى الدواعى لها ورفع الموانع عنها جملة حتى ارتكبوها فلاح كذب المعتزلة وعظيم اقدامهم على الافتراء على الله تعالى وشدة مكابرتهم العيان ومخالفتهم للمعقول وقوة جهلهم وتناقضهم نعوذ بالله من الخذلان ثم بعد هذا كله فاي منفعة لنا فى تعريفنا ان فرعون يعصى ولا يؤمن وما الذى ضر الاطفال اذا ماتوا قبل ان يعرفوا من أطاع ومن عصى ونسألهم أيضا عمن أعطى آخر سيوفا وخناجر وعتلا للنقب وكل ذلك يصلح للجهاد ولقطع الطريق والتلصص وهو يدرى انه لا يستعمل شيئا من ذلك في الجهاد الا فى قطع الطريق والتلصص وعمن مكن آخر من خمر وامرأة عاهرة وبغاء واخلى له منزلا مع كل ذلك اليس عابثا ظالما بلا خلاف فلا بد من نعم ونحن نعلم أن الله عز وجل وهب لجميع الناس القوى التي بها عصوا وهو يدرى انهم يعصونه بها وخلق الخمر وبثها بين ايديهم ولم يحل بينهم وبينها وليس ظالما ولا عابثا فان عجزوه تعالى عن المنع من ذلك بلغوا الغاية من الكفر فان من عجز نفسه منا عن منع الخمر من شاربها وهو يقدر على ذلك لفي غاية الضعف والمهانة اومريد لكون ذلك كما شاء لا معقب لحكمه وهذا قولنا لا قولهم

(قال أبو محمد) فانقطعوا عند هذه ولم يكن لهم جواب الا أن بعضهم قال انما قبح ذلك منا لجهلنا بالمصالح ولعجزنا عن التعويض ولان ذلك محظور وهذا محظور علينا ولو أن امر أله منا عبيدا وقد صح عنده باخبار النبي عليه الصلاة والسلام انهم لا يؤمنون أبدا فان كسوتهم وإطعامهم مباح له

(قال أبو محمد) وهذا عليهم لا لهم واقرار منهم بانه انما قبح ذلك منا لانه محرم علينا وكذلك كسوة العبيد الذين يوقن انهم لا يؤمنون وانما حسن ذلك لاننا مأمورون بالاحسان الى العبيد وان كانوا كفارا ولو فعلنا ذلك باهل دار الحرب لكنا عصاة لا نتاهينا عن ذلك ليس هاهنا شيء يقبح ولا يحسن الا ما أمر الله تعالى فقط واما قولهم ان ذلك قبح منا لجهلنا بالمصالح

ولهذا خيف على صاحب الجدام لم يخف على صاحب العقل والجد أصم أخرس لا يفقه ولا ينقه وانما هو ريح تهب ويرقع يلمع ونار تلوح وصحو يعرض وحلم يمنع وهذا اللفظ أولى فانه عمم الحكم فقال ما رأينا العقل قط وقد يعرض العقل أن يرى ولا يستخدمه الجهل وذلك هو الاكثر وقال زينون فى الجرادة خلقة سبعة جابرة رأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر أسد وجناحاها جناحا نسر ورجلاها رجلا جمل وذنبها ذنب حية (رأى ذيمقراطيس وشيعته) فانه كان يقول فى المبدع الاول انه ليس هو العنصر فقط ولا العقل فقط بل الاخلاط الاربعة وهى الاستقسات أوائل الموجودات كلها دفعة واحدة وأما المركبة

فليقنعوا بهذا فمن اجابهم بهذا بعينه في الفرق بين حسن تكليف الله تعالى مالا يطاق و تعذيبه عليه منه وقبح ذلك منا وانه انما قبح منا لجهلنا بالمصالح

(قال ابو محمد) واما نحن فكلا الجوابين عندنا فاسد ولا مصلحة فيما ادى الى النار والخلود فيها بلا نهاية ولكنا نقول قبح منا ما نهانا الله عنه وحسن منا ما امرنا به وكل ما فعله ربنا تعالى الذي لا آمر فوقه فهو عدل وحسن وبالله تعالى التوفيق وسألهم اصحابنا فقالوا ان المعهود بيننا ان الحكيم لا يفعل الا لاجتلاب منفعة او دفع مضرة ومن فعل لغير ذلك فهو سفيه والبارى تعالى يفعل لغير اجتلاب منفعة ولا لدفع مضرة وهو حكيم فقالت طائفة من المعتزلة ان البارى تعالى يفعل لاجتلاب المنافع الى عباده ودفع المضار عنهم وقالت طايفة منهم لم يكن الحكيم فيما بيننا حكيما لانه يفعل لاجتلاب المنافع ودفع المضار لانه قد يفعل ذلك كل ملتذ وكل متشفف وان لم يكن حكيما وانما سمى الحكيم حكيما لاحكامه عمله

(قال ابو محمد) وكل هذا ليس بشيء لان الحيوان ما يحكم عمله مثل الخطاف والعنكبوت والنحل ودود القز ولا يسمي شيء من ذلك حكيما ولكن انما سمي الحكيم حكيما على الحقيقة لالتزامه الفضائل واجتنابه الرزائل فهذا هو العقل والحكمة المسمى فاعله حكيما عاقلا وهكذا هو في الشريعة لان جميع الفضائل انما هي طاعات الله عز وجل والرزائل انما هي معاصيه فلا حكيم الا من اطاع الله عز وجل واجتنب معاصيه وعمل ما امره به عز وجل وليس من اجل هذا يسمي البارى حكيما انما سمى حكيما لانه سمي نفسه حكيما فقط ولو لم يسم نفسه حكيما ما سميناه حكيما كما لم نسمه عاقلا اذ لم يسم بذلك ثم نقول لهم واما قولكم انما سمى الله حكيما لفعله الحكمة فانتم مقرون انه اعطي الكفار قوة الكفر ولا يسمى مع ذلك مقويا على الكفر واما من قال منهم انه تعالى يفعل لاجتلاب المنافع الي عباده ودفع المضار عنهم فكلام فاسد اذا قيل على عمومه لان كل مستضر يفعله في دنياه واخراه لم يصرف الله تعالى عنه تلك المضرة وقد كان قادرا على صرفها عنه الا ان يعجزوه عن ذلك فيكفروا وسالهم اصحابنا فقالوا اذا كان الله عز وجل لا يفعل الا ما هو عدل بيننا فلم حلق من يدرى انه يكفر به وانه سيخلده بين اطباق النيران ابدا فاجابوا عن هذا باجوبة فمن اظرفها ان كثيرا منهم قالوا لو لم يخلق من يكفر به ويخلده في نار جهنم لما استحق العذاب احد ولا دخل النار احد

(قال ابو محمد) وتكفي من الدلالة على ضعف عقل هذا الجاهل هذا الجواب ونقول له ذلك ما كنا نبغي وهل الخير كله على ما بيننا الا ان لا يعذب احد بالنار وهل الحكمة المعهودة بيننا والعدل الذي لا عدل عندنا سواه الا نجاة الناس كلهم من الاذى واجتماعهم في النعيم الدائم ولكن المعتزلة قوم لا يعقلون واجاب بعضهم في هذا بان قال لو كان هذا السلم الجميع من اللوم ولكان لا شيء اوضع ولا اخس من العقل لان الذى لا عقل له سالم من العذاب واللوم والامم كلها مجمعة على فضل العقل

(قال ابو محمد) لو عرف هذا الجاهل معنى العقل لم يجب بهذا السخف لان العقل على الحقيقة انما هو استعمال الطاعات واجتناب المعاصي وما عدا هذا فليس عقلا بل هو سخف وحمق قال الله عز وجل حكاية عن الكفار انهم قالوا * لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير * ثم صدقهم الله عز وجل في هذا فقال * فاعترفوا بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير * فصدق الله من عصاه انه لا يعقل ثم نقول لهم نعم لا منزلة أخس ولا أوضع ولا اسقط من منزلة وموهبة ادت الى الخلود

فانها كانت دائمة دائرة لا أن ديمومتها بنوع ودثورها بنوع ثم إن العالم بجملته باق غير دائر لانه ذكر ان هذا العالم متصل بذلك العالم الاعلى كما ان عناصر هذه الاشياء متصلة بلطيف أرواحها الساكنة فيها والعناصر وان كانت تدثر في الظاهر فان صفوفها من الروح البسيط الذى فيها فاذا كان كذلك فليس يدثر إلا من جهة الحواس فاما من نحو العقل فانه ليس يدثر فلا يدثر هذا العالم اذا كان صفوها فيه وصفوه متصل بالعوالم البسيطة وانما شنع عليه الحكماء من جهة قوله إن أول مبدع هو العناصر وبعدها أبدعت البسائط الروحانية فهو يرتقي من الاسفل الى الاعلى ومن الاكدر الى الاصفى ومن شيعته (فلموخوس) الا انه خالفه في المبدع الاول

في النيران عقلا كانت او غير عقل قولكم في العقل لو كان كون الانسان حشرة اودودة اوكلبا كان احظى له واسلم وافضل عاجلا وآجلا واحب الى كل ذى عقل صحيح وتمييز غير مدخول واذا كان عندهؤلاء القوم العقل الموهوب وبالاعلى صاحبه وسببا الى تكليفه امورا لم يات بها فاستحق النار فلاشك عند كل ذى حس سليم في ان عدمه خير من وجوده فان قالوا ان التكليف لم يوجب عليه دخول النار قلنا نعم ولكنه كان سببا الى ذلك ولولا التكليف لم يدخل النار اصلا وقد شهد الله عز وجل بصحة هذا القول شهادة لا تخفى على مسلم وهي قوله تعالى * انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا * فحمد الله تعالى اباءة الجمادات من قبول التمييز الذى به وقع التكليف وتحمل امانة الشرائع وذم عز وجل اختيار الانسان لتحملها وسمى ذلك منه ظلما وجهلا وجورا وهذا معروف في بنية العقل والتمييز ان السلامة المضمونة لا يعدل بها التغرير المؤدي الى الهلاك او الى الغنم وقال بعضهم خلق الله عز وجل من يكفر ومن يعلم انه يخلده في النار ليعظ بذلك الملائكة وحور العين

(قال ابو محمد) وهذا خبط لا عهد لنا بمثله وهذا غاية السخف والعبث والظلم فاما العبث فان في المعقول منا ان من عذب واحدا ليعظ به آخر فغاية العبث والسخف وأما الجور فأي جور اعظم فيما بيننا من ان يخلق قوما قد علم انه يعذبهم ليعظ بهم آخرين من خلقه مخلدين في النعم فهلا عذب الملائكة وحور العين ليعظ بهم الجن والانس وهل هذا على اصولهم الا غاية المحاباة والظلم والعبث تعالى الله عن ذلك يفعل مايشاء لامعقب لحكمه وسألهم اصحابنا عن ايلام الله عز وجل الصغار والحيوان واباحته تعالى ذبحها فوجموا عند هذه وقال بعضهم لان الله تعالى يعوضهم على ذلك

(قال ابو محمد) وهذا غاية العبث فيما بيننا ولا شيء اتم في العبث والظلم ممن يعذب صغيرا ليحسن بعد ذلك اليه فقالوا ان تعويضه بعد العذاب بالجدرى والامراض أتم والذ من تنعيمه دون تعذيب

(قال ابو محمد) وفي هذا عليهم جوابان احدهما ان يقول لهم اكان الله تعالى قادرا على ان يوفى الاطفال والحيوان ذلك النعيم دون ايلام أوكان غير قادر على ذلك فان قالوا كان غير قادر جمعوا مع الكفر الجنون لان ضرورة العقل يعلم بها انه اذا قدر على ان يعطيهم مقدارا ما من النعيم بعد الايلام فلاشك في انه قادر على ذلك المقدار نفسه دون ايلام يتقدمه ليس في العقل غير هذا اصلا اذ ليس هاهنا منزلة زائدة في القدرة ولا فعلان مختلفان وانما هو عطاء واحد لشيء واحد في كلا الوجهين وان قالوا انه قادر على ذلك فقد وجب العبث على اصولهم اذكان قادرا على ان يعطيهم دون ايلام مالم يعطهم الا بعد غاية الايلام والجواب الثاني ان نريهم صبيانا وحيوانا اماتهم في خير دون ايلام وهذه محاباة وظلم للمؤلم منهم فقالوا ان المؤلم لم يزدد في نعيمه لاجل ايلامه فقلنا لهم فهذه محاباة بزيادة النعيم للمؤلم فهلا آلم الجميع ليسوى بينهم في النعيم اوهلا يسوى بينهم في النعيم بان لا يؤلم منهم احدا وهذا مالا انفكاك منه البتة وقال بعضهم فعل ذلك ليعظ بهم غيرهم

(قال ابو محمد) وهذا غاية الجور بيننا ولا عبث اعظم من ان يعذب انسانا لا ذنب له ليوعظ بذلك آخرون مذنبون وغير مذنبين والله تعالى قدانكر هذا بقوله تعالى *

وقال بقول سائر الحكماء غير انه قال إن المبدع الاول هو مبدع الصور فقط دون الهيولى فانها لم تزل مع المبدع فانكروا عليه وقالوا ان الهيولى لوكانت أزلية قديمة لما قبلت الصور ولما تغيرت من حال الى حال ولما قبلت فعل غيرها اذ الازلى لا يتغير وهذا الرأى مما كان يعزى الى افلاطون الآلهى والرأى فى نفسه مزيف والعزوة اليه غير صحيحة ومما نقل عن (ذيمقراطيس وزينون الاكبر وفيثاغورس) انهم كانوا يقولون ان البارى تعالى متحرك بحركة فوق هذه الحركة الزمانية وقد اشرنا الى المذهبين وبينا ان المراد باضافة الحركة والسكون اليه تعالى ونزيده شرحا من احتجاج كل فريق على صاحبه قال اصحاب السكون إن الحركة

ولاتكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى* فقدانتفى عن الله عز وجل هذا الظلم حقا ولقد كان على اصولهم الفاسدة تعذيبه الطغاة وايلامه البغاة ليعظ بذلك غيرهم ادخل فى العدل والحكمة من ان يؤلم طفلا اوحيوانا لاذنب لهما ليعظ بذلك آخرين بل لعل هذا الوجه قد صار سبيلا الى كفر كثير من الناس واجاب بعضهم فى ذلك بان قال انما فعل ذلك عز وجل بالاطفال ليؤجر آباءهم

(قال ابو محمد) وهذا كالذى قبله فى الجور سوء بسواء ان يؤذى من لاذنب له ليأجر بذلك مذنبا اوغير مذنب حاشا لله من هذا الان فى هذا مزية من التناقض لان هذا التعليل ينقض عليهم فى اولاد الكفار واولاد الزنا ممن قد ماتت امه وفى اليتامى من آبائهم وامهاتهم ورب طفل قد قتل الكفار أو الفساق اباه وامه وتركه هو بدار مضيعة حتى مات هزلا او اكلته السباع فليت شعرى من وعظ بهذا أو من اوجر به مع ان هذا مما لم يجدوه يحسن بيننا البتة بوجه من الوجوه يعنى ان تؤذى انسان لاذنب له لينتفع بذلك آخرون وهم يقولون ان الله تعالى فعل هذا فكان حسنا وحكمة ولجأ بعضهم الى ان قال ان لله عز وجل فى هذا سرا من الحكمة والعدل يوقن به وان كنا لا نعلم لما هو ولا كيف هو

(قال ابو محمد) واذ قد بلغوا ههنا فقد قرب امرهم بعون الله تعالى وهو انه يلزمهم تصديق من يقول لهم ولله تعالى فى تكليف من لايستطيع ثم تعذيبه عليه سر من الحكمة يوقن به ولا نعلمه

(قال ابو محمد) واما نحن فلا نقول بهذا بل نقول انه لاسر ههنا اصلا بل كل ذلك كما هو عدل من الله عز وجل لا من غيره ولله الحجة البالغة لايسأل عما يفعل وهم يسألون

(قال ابو محمد) ولجأت طائفتان منهم الى أمرين أحدهما قول بكر بن اخت عبد الواحد بن زيد فانه قال ان الاطفال لا يألمون البتة

(قال ابو محمد) ولا ندرى لعله يقول مثل ذلك فى الحيوان

(قال ابو محمد) وهذا انقطاع سمج ولجاج فى الباطل قبيح ودفع للعيان والحس وكل احدمنا قد كان صغيرا ويوقن اننا كنا نألم الالم الشديد الذى لاطاقة لنا بالصبر عليه والثانية احمد بن حابط البصرى والفضل الحربى وكلاهما من تلاميذ النظام فانهما قالا ان ارواح الاطفال وارواح الحيوان كانت فى اجساد قوم عصاة فعوقبت بان ركبت فى اجساد الاطفال والحيوان لتؤلم عقوبة لها

(قال ابو محمد) ومن هرب عن الاذعان للحق أوعن الاقرار بالانقطاع الى الكفر والخروج عن الاسلام فقد بلغ الى حالة ما كنا نريد أن يبلغها لكن اذ آثر الكفر فالى لعنة الله وحر سعيره ونعوذ بالله من الخذلان وانما كلامنا هذا مع من يتقى مخالفة الاسلام فاما اهل الكفر فقدتم ولله الحمد ابطالنا لقولهم وقد ابطلنا قول اصحاب التناسخ فى صدر كتابنا هذا والحمد لله فاغنى عن اعادته واذا بلغ خصمنا الى مكابرة الحس أو الى مفارقة الاسلام فقد انقطع وظهر باطل قوله ولله تعالى الحمد

(قال ابو محمد) فان لجؤا الى قول معمر والجاحظ وقالوا ان آلام الاطفال هى فعل الطبيعة لافعل الله تعالى لم يتخلصوا بذلك من الانقطاع بل نقول لهم هل الله عز وجل قادر على معارضة

ابدا الاتكون إلا ضد السكون والحركة لاتكون الا بنوع زمان اماماض واما مستقبل والحركة لاتكون الا امكانية منتقلة واما مستوية ومن المستوية يكون الحركة المستقيمة والمنفرجة والمكانية تكون مع الزمان فلو كان البارى تعالى متحركا لكان داخلا فى الدهر والزمان قال اصحاب الحركة ان حركته اعلى من جميع ماذكرتموه وهو مبدع الدهر والمكان وابداعه ذلك هو الذى يعنى بالحركة والله اعلم (رأى فلاسفة اقا ذاميا) فانهم كانوا يقولون ان كل مركب ينحل ولا يجوز أن يكون مركبا من جوهرين متفقين فى جميع الجهات والاقليس بمركب فاذا كان هذا هكذا فلا محالة انه اذا انحل المركب دخل كل جوهر فاتصل بالاصل الذى منه كان فا

هذه الطبيعة المقطعة لحم هذا الصبي بالجدري والآكلة والخنازير المعدية له ووجع الحصاة واحتباس البول أو الغائط أو انطلاق البطن حتى يموت والعدو القاسي القلب يرحمه ويتقطع له لعظيم ما يرى به من التضور والاوجاع قوة من عنده تعالى يفرج بها عن هذا الطفل المسكين المعذب أم هو تعالى غير قادر على ذلك فان قالوا هو غير قادر على ذلك فما في العالم اعجز ممن تغلبه طبيعة هو خلقها وطبعها ووضعها فيمن هي فيه وربما غلبها طبيب ضعيف من خلقه بعقار ضعيف من خلقه فهل في الجنون والكفر اكثر من هذا القول ان يكون هو خلق الطبيعة ووضعها فيمن هي فيه ثم لا يقدر على كف عملها الذي هو وضعه فيها وان قالوا بل هو قادر على صرف الطبيعة وكفها ولم يفعل دخل في نفس ما انكر واقر على ربه على اصله الفاسد بالظلم والعبث وبالضرورة ندرى ان من رأى طفلا في نار أو ماء وهو قادر على استنقاذه بلا مؤنة ولم يفعل فهو عابث ظالم ولكن الله تعالى يفعل ذلك وهو الحكم العدل في حكمه لا العابث ولا الظالم وهذا هو الذى اعظموا من ان يكون قادرا على هدى الكفار ولا يفعل والجأ بعضهم الى ان قال لو عاش هذا الطفل لكان طاغيا قلنا لهم لم نسئلكم بعد عمن مات طفلا انما سالناكم عن ايلامه قبل بلوغه ثم نجيبهم عن قولهم فيمن مات من الاطفال انه لو عاش لكان طاغيا فنقول لهم هذا أشد في الظلم ان يعذبه على ما لم يفعل بعد

(قال ابو محمد) قد وجدنا الله عز وجل قد حرم ذبح بعض الحيوان واكله واباح ذبح بعضه واوجب ذبح بعضه اذا نذر الناذر ذبحه قربانا فنقول للمعتزلة اخبرونا ما كان ذنب الذي ابيح ذبحه وسلخه وطبخه بالنار واكله وما كان ذنب الذى حرم كل ذلك فيه حتى حرم العوض الذى تدعونه وما كان بخت الذي حرم ايلامه ووجدناه عز وجل قد اباح ذبح صغار الحيوان مع ما يحدث لامهاتها من الحنين والوله كالابل والبقر فاى فرق بين ذبحنا لمصالحنا أو لتعوض هى وبين ما حرم من ذبح اطفالنا وصغار اولاد اعدائنا لمصالحنا أو ليعوضوا فان طردوا دعواهم في المصلحة لزمهم ان كل من له مصلحة في قتل غيره كان له قتله فان قالوا لا يجوز ذلك الا حيث أباحه الله عز وجل تركوا قولهم ووفقوا للحق

(قال ابو محمد) وجدناه تعالى قد حرم قتل قوم مشركين يجعلون له الصاحبة والولد ويهود ومجوس اذا اعطونا دينارا او اربعة دنانير في العام وهم يكفرون بالله تعالى واباح قتل مسلم فاضل قد تاب واصلح لزنا سلف منه وهو محصن ولم يبح لنا استبقاء مشركي العرب من عباد الاوثان الا بان يسلموا ولا بد فاي فرق بين هؤلاء الكفار وبين الكفار الذين افترض علينا ابقاؤهم لذهب ناخذه منهم في العام

(قال ابو محمد) وقالوا ناهل في افعال الله تعالى عبث وضلال ونقص ومذموم فجوابنا وبالله تعالى التوفيق اما ان يكون في افعاله تعالى عبث يوصف به او عيب مضاف اليه او ضلال يوصف به او نقص ينسب اليه او جور منه او ظلم منه أو مذموم منه فلا يكون ذلك اصلا بل كل افعاله عدل وحكمة وخير وصواب وكلها حسن منه تعالى ومحمود منه ولكن فيها عيب على من ظهر منه ذلك الفعل وعبث منه وضلال منه وظلم منه ومذموم منه ثم نسالهم فنقول لهم هل في افعاله تعالى سخف وجنون وحمق وفضائح ومصائب وقبح وسخام واقذار وانتان ونجس وسخنة للعين وسواد الوجه فان قالوا لا اكذبهم الله عز وجل بقوله تعالى * ما اصاب من مصيبة في الارض

كان منها بسيطا روحانيا لحق بعالمه الروحاني البسيط والعالم الروحاني باق غير داثر وما كان منها جاسيا غليظا لحق بعالمه أيضا وكل جاسى اذا انحل فانما يرجع حتى يصل الى الطف من كل لطيف فاذا لم يبق من اللطافة شيء اتحذ اللطيف الاول المتحد به فيكونان متحدين الى الابد واذا اتحدت الاواخر بالاوائل وكان الابدع هو أول مبدع ليس بينه وبين مبدعه جوهر آخر متوسط فلا محالة ان ذلك المبدع الاول متعلق بنور مبدعه فيبقى خالداً دهر الدهور وهذا الفصل قد نقل وهو يتعلق بالمعاد لا بالمبدأ وهؤلاء يسمون مشائين اقاذاميا وأما (المشاؤن) المطلق م أهل لوقين وكان افلاطون يلقن الحكمة ماشيا تعظيما لها ر تابعه على ذلك

ولا فى انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها * وموت الانبياء * وفرعون وابليس وكل ذلك مخلوق وان قالوا ان الله تعالى خالق كل ذلك ولكن لا يضاف شيء منه الى الله عز وجل على الوجه المذموم ولكن على الوجه المحمود قلنا هذا قولنا فيما سالتمونا عنه ولا فرق فان قالوا اترضون بافعال الله عز وجل وقضائه قلنا نعم بمعنى اننا مسلمون لفعله وقضائه ومن الرضى بفعله وقضائه ان نكره ما كره الينا قال تعالى * وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان * ثم نسالهم عن هذا بعينه فنقول لهم اترضون بفعل الله تعالى وقضائه فان قالوا نعم لزمهم الرضى بقتل من قتل من الانبياء وبالخمور والانصاب والازلام وبابليس ويلزمهم ان يرضى منهم بالخلود فى النار من خلد فيها وفى هذا مافيه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) وسال بعض اصحابنا بعض المعتزلة فقال اذا كان عندكم انما خلق الله تعالى الكفار وهو يعلم انهم لا يؤمنون وانه سيعذبهم بين اطباق النيران ابدا ليعظ بهم الملائكة وحور العين فقد كان يكفى من ذلك خلق واحد منهم فقال له المعتزلة ان المؤمنين الذين يدخلون الجنة والملائكة وحور العين وجميع من لا عذاب عليه ومن الاطفال اكثر من الكفار بكثير جدا

(قال ابو محمد) ولم يخرج بهذا الحوت مما الزمه السائل لان الموعظة كانت تتم بخلق واحد هذا لو كان يخلق من يعذب ليوعظ به آخرو جه فى الحكمة بيننا وايضا فلولا ذكره الملائكة لكان كاذبا فى ظنه ان عدد الداخلين فى الجنة من الناس اكثر من الداخلين النار لان الامر بخلاف ذلك لان الله عز وجل يقول * فابى اكثر الناس الا كفورا * وقال تعالى * وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين * وقال تعالى * وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله * وقال تعالى * الا الذين عملوا الصالحات وقليل ماهم * فليت شعرى فى اى حكمة وجدوا فيما بينهم او بيننا او فى اى عدل خلق من يكون اكثرهم مخلدين فى جهنم على اصول هؤلاء الجهال واما نحن فانه لو عذب اهل السموات كلهم وجميع من عمر الارض لكان عدلا منه وحقا له وحكمة منه ولو لم يخلق النار وادخل كل من خلق الجنة لكان حقا منه وعدلا وحكمة منه لا عدل ولا حكمة ولا حق الا ما فعل وما امر به

(قال ابو محمد) ولجأ قوم منهم الى ان قالوا ان الله تعالى لم يعلم من يكفر ومن يؤمن واقروا انه لو علم من يموت كافرا لكان خلقه له جورا وظلما

(قال ابو محمد) وهؤلاء ايضا مع عظيم ما اتوا به من الكفر في تجهيل ربهم تعالي فلم يتخلصوا مما ألزمهم اصحابنا لانه ليس من الحكمة خلق من لا يدرى ايموت كافرا فيعذبه ام لا وهذا هو التغرير بمن خلق وتعريضهم للهلكة علي جهلة وهذا ليس من الحكمة ولا من العدل فيما بيننا لمن يمكنه أن لا يغرر وقد كان البارى تعالى قادرا على ان لا يخلق كما قد كان لم يزل لا يخلق ثم خلق الآن يلجا الى انه تعالى لا يقدر على ان لا يخلق فيجعلوه مضطرا ذا طبيعة غالبة وهذا كفر مجرد محض ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) واذا أقرت المعتزلة ان اطفال بنى آدم كلهم اولاد المشركين واولاد المسلمين فى الجنة دون عذاب ولا تقرير تكليف فقد نسوا قولهم الفاسد ان العقل افضل من عدمه بل ما نرى السلامة على قولهم وضمانها والحصول على النعيم الدائم فى الآخرة بلا تقرير الا فى عدم العقل فكيف فارقوا هذا الاستدلال واما نحن فنقول

ارسطوطاليس فيسمى هو وأصحابه المشائين وأصحاب لرواقهم أهل الظلال وكان لافلاطون تعليمان أحدهما تعليم كليس وهو الروحانى الذى لا يدرك بالبصر ولكن بالفكرة اللطيفة وتعليم كليس وهو الهيولانيات (رأى هرقل الحكيم) وانه كان يقول ان أول الاوائل النور الحق لا يدرك من جهة عقولنا لانها أبدعت من ذلك لنور الازلى الحق وهو الله حقا وهو اسم الله باليونانية انما يدل على انه مبدع الكل وهذا الاسم عندهم شريف جدا وكان يقول ان بدو الخلق وأول شيء ابدع والذى هو اول لهذه العالم هو المحبة والمنازعة ووافق فى هذا الرأى انبذقلس حيث قال الاول الذى أبدع هو المحبة والغلبة وقال هرقل السماء متحركة من ذاتها

ان

ان من اسعده الله تعالى من الملائكة فلم يعرضهم لشيء من الفتن أعلى حالا من كل خلق غيرهم ثم بعدهم الذين عصم الله تعالى من النبيين عليهم الصلاة والسلام وآمنهم من المعاصي ثم من سبقت لهم من الله تعالى الحسنى من مؤمني الجن والانس الذين لا يدخلون النار والحور العين اللاتي خلقن لاهل الجنة على ان لهؤلاء المذكورين حاشا الحور العين حالة من الخوف طول بقائهم في الدنيا يوم الحشر في هول المطلع وشنعة ذلك الموقف الذى لا يبقى به شيء الا السلامة منه ولا يهنا معه عيش حتى يخلص منه وقد تمنى كثير من الصالحين العقلاء الفضلاء ان لو كانوا نسيا منسيا فى الدنيا ولا يعرضوا لما عرضوا له على انهم قد آمنوا بالضمان التام الذى لا ينجس ولقد اصابوا في ذلك اذ السلامة لا يعدلها شيء الا عند المعتزلة القائلين بان الثواب والنعيم بعد الضرب بالسياط والضغط بانواع العذاب والتعريض لكل بلية أطيب وألذ وأفضل من النعيم السالم من ان يتقدمه بلاء ثم الاطفال الذين يدخلون الجنة دون تكليف ولا عذاب ومن بلغ ولا تمييز له ثم منزلة من دخل النار ثم اخرج منها بعد ان دخل فيها على ما فيها من البلاء نعوذ بالله منه وأما من يخلد فى النار فكل ذي حس سليم توقن نفسه يقين ضرورة ان الكلب والدود والقرد وجميع الحشرات احسن حالا فى الدنيا والآخرة منه وأعلى مرتبة وأتم سعدا وأفضل صفة واكرم عناية من عند البارى تعالي ويكفى من هذا اخبار الله تعالى اذ يقول * ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا * فنص تعالى على ان حال الجمادية احسن منه حالة فاعجبوا للمعتزلة القائلين ان الله تعالى اعطي من يتمنى يوم القيامة ان يكون تراباً افضل عطية عنده ولم يترك فى قدرته اصلح مما عمل به وان خلقه له كان خيرا له من ان لا يخلقه ونحن نعوذ بالله لانفسنا من ان يعمل بنا ما عمل بهم

(قال أبو محمد) ومن عجائبهم قولهم ان الله تعالى لم يخلق شيئاً لا يعتبر به احد من المكلفين

(قال ابو محمد) فنقول لهم ما دليلكم علي هذا وقد علمنا بضرورة الحس ان لله تعالى فى قعور البحار وأعماق الارض أشياء كثيرة لم يرها انسان قط فلم يبق الا ان يدعوا عوض الملائكة والجن فى عمق الجبال وقعور البحور فهذه دعوى مفتقرة الى دليل والا فهى باطلة قال عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * وايضا فما تبطل به دعوى هؤلاء القائلين بغير علم علي الله ان الله تعالى اذا خلق زيدا له من الطول كذا وكذا فانه لو خلقه علي اقل من ذلك الطول باصبع لكان الاعتبار بخلقه سواء كما هو الآن ولا مزيد وهكذا كل مقدار من المقادير فان ادعوا ان الزيادة فى العدد زيادة فى العبرة لزمهم ان يلزموا ربهم تعالى ان يزيد في مقدار طول كل ما خلق لانه كان زيادة فى الاعتبار والا فقد قصر وبالجملة فهوسهم لا يحصيه الا الذي خلقهم نعوذ بالله مما ابتلاهم به

والارض مستديرة ساكنة جامدة بذاتها والشمس حللت كل ما فيها من الرطوبة فاجتمعت فصار البحر والذى حجرت الشمس ونفذت فيه حتى لم تذر فيه شيئا من الرطوبة صار منه الحصى والحجارة والجبل ومالم ينفذ فيه الشمس أكثر ولم ينزع عنه الرطوبة كلها فهو التراب وكان يقول ان السماء فى النشأة الاخرى تصير بلا كواكب لان الكواكب تهبط سفلا حتى تحيط بالارض وتلتهب فيصير متصلا بعضها ببعض حتى تكون الدائرة حول الارض وانما هبط منها ما كان من أجزائها نارا محضة ويصعد ما كان نورا محضا فتبقى النفوس الشريرة الدنسة الخبيثة فى هذا العالم الذى أحاط به النار الى الابد فى عقاب السرمد وتصعد النفوس الشريفة

(قال ابو محمد) وهم مقرون ان العقول معطاة من عند الله عز وجل فنسالهم افاضل بين عباده فيما اعطاهم من العقول أم لا فان قالوا لا كابروا الحس ولزمهم مع ذلك ان عقل النبي صلى الله عليه وسلم وتمييزه وعقل عيسى وابراهيم وموسى وايوب وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وتمييزهم وعقل مريم بنت عمران وتمييزها بل تمييز جبريل وميكائيل وسائر الملائكة ثم تمييز ابي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وعقولهم وتمييز امهات المؤمنين وبنات النبي صلى الله عليه

وسلم ورضوان الله على جميع من ذكرنا وعقولهن ثم تميز سقراط وافلاطون وارسطوطاليس وعقولهم ليس شيء من ذلك افضل من العقل والتمييز المعطيين لهذا المخنث اللغاء الرقان ولهذه الزانية الخليقة المتبرجة السحاقة ولهذا الشيخ الذى يلعب مع الصبيان بالكعاب في الخابات ويعجفهم اذا قدر ومن بلغ هذا المبلغ وساوى بين من اعطي الله عز وجل كل من ذكرنا من العقل والتمييز فقد كفى خصمه مؤنته وان قالوا بل الله تعالى فاضل بين عباده فيما اعطاهم من العقل والتمييز قيل لهم صدقتم وهذا هو المحاباة والجور على اصولكم ولا محاباة على الحقيقة اكثر من هذا وهى عندنا حق وعدل منه تعالى لا يسال عما يفعل ولعمري ان فيهم لعجبا اذ يقولون ان الله تعالى لم يعط احدا من خلقه الا ما اعطى سائرهم فهلا ان كانوا صادقين ساوى جميعهم ابراهيم النظام وابا الهذيل العلاف وبشر بن المعتمر والجبائى فى دقة نظرهم وقوتهم على الجدال اذ كلهم فيما منحهم الله عز وجل من ذلك سواء فاذ لا شك فى عجزهم عن بلوغ ذلك فلا شك فى ان كل احد لا يقدر ان يزيد فيما منحه الله تعالى به وليس يمكنهم اصلا ان يدعوا ههنا انهم كلهم قادرون على ذكاء الذهن وحدة النظر وقوة الفطنة وجودة الحفظ والبتة لدقيق الحجة وان لم يظهر وكما ادعوا ذلك فى الاعمال الصالحة فصحت المحاباة من الله تعالى يقينا عيانا لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق فان قروا ان العقول والذكاء وقبول العلم وذكاء الخاطر ودقة الفهم غير موهوبة من الله تعالى عز وجل قلنا لهم فمن خلقها فان قالوا هى فعل الطبيعة قلنا لهم ومن خلق الطبيعة التى فعلت العقول وكل ذلك بذلتها متفاضلة فمن قولهم ان الله تعالى خلقها فيقال لهم فهو موجب المحاباة اذ رتب الطبيعة رتبة المحاباة ولابد وان قالوا لم تخلق الطبيعة ولا العقول لحقوا بالدهرية وصاروا الى ما لم يرد لهم المصير اليه وهذا لا مخلص لهم منه اصلا وبالله تعالى التوفيق وبالضرورة ندرى ان من كان تميزه اتم كان اهتداؤه واعتصامه اتم على اصولهم وهذا هو المحاباة التى انكروها وسموها ظلما وجورا

(قال ابو محمد) ومهما امكنهم من الدفاع والقحة فى شيء فانه لا يمكنهم اعتراض اصلا فى ان فضل الله تعالى على المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام وعلى يحيي بن زكريا اذ جعل عيسى نبيا ناطقا عاقلا في المهد رسولا حين سقوطه من بطن أمه واذ آتى يحيي الحكم صبيا اتم واعلا واكثر من فضله على من ولد فى اقاصى بلاد الخزر والزنج حيث لم يستمع قط ذكر محمد صلى الله عليه وسلم الا مستبعا اقبح الذكر من التكذيب وانه كان متخيلا واكثر من فضله بلا شك على فرعون اذ دعا موسى عليه الصلاة والسلام فقال * ربنا انك آتيت فرعون وملاه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم قال قد اجيبت دعوتكما *

(قال ابو محمد) ان من ضل بعد هذا لضال وان من قال ان فضل الله عزوجل وعطاءه لموسى وعيسى ويحي ومحمد صلى الله عليه وسلم وعصمته لهم كفضله وعطائه على فرعون وملئه وعصمته لهم الذين نص عزوجل على انه شد على قلوبهم شدا منعهم الايمان حتى يروا العذاب الاليم فلا ينفعهم أيمانهم حينئذ لضعيف العقل قليل العلم مهلهل اليقين ولا بيان ابين من هذه الآية فى تفضيل الله عز وجل بعض خلقه على بعض خلقه واختصاص بعضهم بالهدى والرحمة دون بعض ومحاباته من شاء منهم واضلالهم من ضل منهم وأيضا فانهم لا

الخالصة الطيبة الى العالم الذى يمحض نورا وبهاء وحنا فى ثواب السرمد وهناك الصور الحسان لذات البصر والالحان الشجية لذات السمع ولانها أبدعت بلا توسط مادة وتركب استقسات فهى جواهر شريفة روحانية نورانية وقال ان البارى يمسح تلك الانفس فى كل دهر مسحة فيتجلى لها حتى تنظر الى نوره المحض الخارج من جوهره الحق فحينئذ يستلذ عشقها وشوقها ومجدها فلا يزال ذلك دائما أبد الابد

(رأي أبي ابيقورس) خالف الاوائل فى الاوائل قال المبادى اثنان الخلاء والصور أما الخلاء فمكان فارغ وأما الصور فهى فوق المكان والخلاء ومنها ابدعت الموجودات وكل ما كون منها فانه ينحل اليها فمنها

يستطيعون ان الله عزوجل فضل بنى آدم على كثير ممن خلق قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات * وقال تعالى * ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض * وقال تعالى . ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وهى المحاباة بعينها التى هى عند المعتزلة جور وظلم فيقال لهم على اصلكم الفاسد هل لا رزق الله العقل سائر الحيوان فيعرضهم بذلك للمراتب السنية التى عرض لها بنى آدم وهلا ساوى بين الحيوان وبيننا فى ان لا يعرضنا كلنا للمهالك والفتن فهل هذا الا المحاباة مجردة وفعل لما يشاء لا معقب لحكمه لا يسال عما يفعل

(قال ابو محمد) وقد ذكر بعضهم ان الله تعالى قبح فى عقول بنى آدم اكل ما يعطيهم واكل اموال غيرهم ولم يقبح ذلك فى عقول الحيوان

(قال ابو محمد) فاقر هذا الجاهل بان الله تعالى هو المقبح والمحسن فاذ ذلك كذلك فلا قبيح الا ما قبح الله ولا محسن الا ما حسن وهذا قولنا ولم يقبح الله تعالى قط خلقه لما خلق وانما قبح منا كون ذلك الذى خلق من المعاصى فينا فقط وبالله تعالى التوفيق وان الامر لابين من ذلك ألم تروا ان الله خلق الحيوان فجعل بعضه افضل من بعض بلا عمل أصلا ففضل ناقة صالح عليه السلام على سائر النوق نعم وعلى نوق الانبياء الذين هم افضل من صالح وانما اتينا بهذا لئلا يقولوا انه تعالى انما فضلها تفضيلا لصالح عليه السلام وجعل تعالى الكلب مضروبا به المثل فى الخساسة والرزالة وجعل القردة والخنازير معذبا بعض من عصاه بتصويره فى صورتها فلو لا ان صورتها عذاب ونكال ما جعل القلب فى صورتها أشد ما يكون من عذاب الدنيا ونكالها وجعل بعض الحيوان متقربا الى الله عزوجل بذبحه وبعضه محرما ذبحه وبعضه ماواه الرياض والاشجار والخضر وبعضه ماواه الحشوش والرداع والدبر وبعضه قويا وبعضه ضعيفا وبعضه منتفعا به فى الاودية وبعضه سما قاتلا وبعضه قويا على الخلاص ممن اراد بطيرانه وعدوه أو قوته وبعضه مهينا لا مخلص عنده وبعضه خيلا فى نواصيها الخير يجاهد عليها العدو وبعضه سباعا ضارية مسلطة على سائر الحيوان ذاعرة لها قاتلة لها آكلة لها وجعل سائر الحيوان لا ينقصر منها وبعضها حياة عادية مهلكة وبعضه ماكولا على كل حال فاى ذنب كان لبعضه حتى سلط عليه غيره فاكله وقتله وابيح ذبحه وقتله وان لم يؤكل كالقمل والبراغيث والبق والوزغ وسائر الهوام ونهى عن قتل النحل وعن قتل الصيد فى الحرمين والاحرام وأباحه فى غير الحرمين والاحرام فان قالوا ان الله تعالى يعوض ما اباح ذبحه وقتله منها قيل له فهلا أباح ذلك فيما حرم قتله ليعوضه أيضا وهذه محاباة لا شك فيها مع انه فى المعهود من المعقول عين العبث الا ان يقولوا انه تعالى لا يقدر على نعيمها الا بتقديم الاذى فانهم لا ينفكون بهذا من المحاباة لها على من لم يبح ذلك فيها من سائر الحيوان مع انه تعجيز لله عزوجل ويقال لهم ما لذى عجزه عن ذلك واقدره على تنعيم من تقدم له الاذى فى الدنيا أطبيعة فيه جارية على بنيتها ام فوقه واهب له تلك القدرة ولا بد من احد هذين القولين وكلاهما كفر مجرد وايضا فان قولهم يبطل بتنعيم الله عز وجل الاطفال الذين ولدوا احياء وماتوا من وقتهم دون ألم سلف لهم ولا تعذيب فهلا فعل بجميع الحيوان كذلك على اصولكم

المبدأ واليها المعاد وربما يقول الكل بفسد وليس بعد الفراق حساب ولا قضاء ولا مكافأة وجزاء بل كلها تضمحل وتدثر والانسان كالحيوان مرسل مهمل فى هذ العالم والحالات التى ترد على الانفس فى هذا العالم كلها من تلقائها على قدر حركاتها وأفاعيلها فان عملت خيرا وحسنا فيرد عليها سرور وفرح وان فعلت شرا وقبيحا فيرد عليها حزن وترح وانما سرور كل نفس بالانفس الاخرى وكذا حزنها مع الانفس الاخرى بقدر مايظهر لها من أفاعيلها وتبعه جماعة من التناسخية على هذا الرأى (حكم سولون الشاعر) وكان عند الفلاسفة من الانبياء العظام بعد هرمس وقبل سقراط واجمعوا على تقديمه والقول بفضائله قال سولون لتلميذه

وايضا فقد كان عز وجل قادرا على ان يجعل غذاءنا فى غير الحيوان لكن فى النبات والثمار كعيش كثير من الناس فى الدنيا لا يأكلون لحما فما ضرهم ذلك فى عيشهم شيئا فهل هاهنا الا ان الله تعالى لا يجوز الحكم على افعاله بما يحكم به على افعالنا لاننا مامورون منهيون وهو تعالى أمرنا لا مامور ولا منهى فكل ما فعل فهو عدل وحكمة وحق وكل ما فعلناه فانه ان وافق امره عز وجل كان عدلا وحقا وان خالف امره عز وجل كان جورا وظلما

(قال ابو محمد) واما الحيوان فان قولنا فيه هو نص ما قاله الله عز وجل ورسوله ﷺ اذ يقول عز وجل * وما من دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم ما فرطنا فى الكتاب من شىء ثم الى ربهم يحشرون * وقال عز وجل * واذا الوحوش حشرت * فنحن نوقنون ان الوحوش كلها وجميع الدواب والطير تحشر كلها يوم القيامة كما شاء الله تعالى ولما شاء عز وجل واما نحن فلا ندرى لماذا والله اعلم بكل شىء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء فنحن نقر بهذا وبأنه يقتص يومئذ للشاة الجماء من الشاة القرناء ولا ندرى ما يفعل الله بهما بعد ذلك الا انا ندرى يقينا انهما لا تعذب بالنار لان الله تعالى قال * لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * وبيقين ندرى ان هذه الصفة ليست الا فى الجن والانس خاصة ولا علم لنا الا ما علمنا الله تعالى وقد ايقنا ان سائر الحيوان الذى فى هذا العالم ماعدا الملائكة والحور والانس والجن فانه غير متعبد بشريعته واما الجنة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة والحيوان حاشى من ذكرنا لا يقع عليهم اسم مسلمين لان المسلم هو المتعبد بالاسلام والحيوان المذكور غير متعبد بشرع فان قال قائل انكم تقولون ان اطفال المسلمين واطفال المشركين كلهم فى الجنة فهل يقع على هؤلاء اسم مسلمين فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان نقول نعم كلهم مسلمون بلا شك لقول الله تعالى * واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى * وقوله تعالى * فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله * ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة وروى على الملة فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه او يشركانه ولقوله صلى الله عليه وسلم عن الله عز وجل انى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم فصح لهم كلهم اسم الاسلام والحمد لله رب العالمين وقد نص عليه السلام على انه رأى كل من مات طفلا من اولاد المشركين وغيرهم فى روضة مع ابراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم واما المجانين ومن مات فى الفترة ولم تبلغه دعوة نبى ومن ادركه الاسلام وقد هرم او اصم لا يسمع فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه تبعث لهم يوم القيامة نار موقدة ويؤمرون بدخولها فمن دخلها كانت عليه بردا ودخل الجنة او كلاما هذا معناه فنحن نؤمن بهذا ونقر به ولا علم لنا الا ما علمنا الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) واذ قد بلغ الكلام هاهنا فلنصله ان شاء الله تعالى راغبين فى الاجر من الله عز وجل على بيان الحق فنقول وبالله تعالى نتأيد ان الله تعالى قد نص كما ذكرنا انه آخذ من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وهذا نص جلى على انه عز وجل خلق انفسنا كلها من عهد آدم عليه السلام لان الاجساد حينئذ بلا شك كانت ترابا وماء وايضا فان المكلف المخاطب انما هو النفس لا الجسد فصح يقينا ان نفوس كل من يكون من بنى آدم الى يوم القيامة كانت موجودة مخلوقة حين خلق آدم بلا شك ولم

تزود من الخير وأنت مقبل خير لك من أن تتزود وأنت مدبر وقال من فعل خيرا فليجتنب ماخالفه والا دعى شريرا وقال أن أمور الدنيا حق وقضاء فمن أسلف فليقض ومن قضى فقد وفى وقال اذا عرضت لك فكرة سوء فادفعها عن نفسك ولا ترجع بالائمة على غيرك الكريم رأيك بما أحدث عليك وقال ان فعل الجاهل فى خطائه أن يذم غيره وفعل طالب الادب أن يذم نفسه وفعل الاديب أن لا يذم نفسه ولا غيره وقال اذا انصب الدهن وأريق الشراب وانكسر الاناء فلا تغتم بل قل كما ان الارباح لا يكون الا فيما يباع ويشترى كذلك الخسران لا يكون الا فى الموجودات فانف الغم والخسارة عنك فان لكل ثمنا وليس يجىء

يقل الله عز وجل انه افنانا بعد ذلك ونص تعالى على انه خلق الارض والماء حينئذ بقوله تعالى * انه جعل من الماء كل شيء حي * وقوله تعالى * خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش * واخبر عز وجل انه خلقنا من طين والطين هو التراب والماء وانما خلق تعالى من ذلك اجسامنا فصح ان عنصر اجسامنا مخلوق منذ اول خلقه تعالى السموات وان ارواحنا وهي انفسنا مخلوقة منذ اخذ الله تعالى عليها العهد وهكذا قال تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وثم توجب في اللغة التي بها نزل القرآن التعقيب بمهلة ثم يصور الله تعالى من الطين اجسامنا من اللحم والدم والعظام بان يحيل اعراض التراب والماء وصفاتهما فتصير نباتا وحبا وثمارا يتغذى بها فتستحيل فينا لحما وعظاما ودما وعصبا وجلدا وغضاريف وشعرا ودماغا ونخاعا وعروقا وعضلا وشحما ومنيا ولبنا فقط وكذلك تعود اجسامنا بعد الموت ترابا ولابد وتصعد رطوباتها المائية واما جمع الله تعالى الانفس الى الاجساد فهي الحياة الاولى بعد افتراقها الذي هو الموت الاول فتبقى كذلك في عالم الدنيا الذي هو عالم الابتلاء ماشاء الله تعالى ثم ينقلنا بالموت الثاني الذي هو فراق الانفس للاجساد ثانية الى البرزخ الذي تقيم فيه الانفس الى يوم القيامة وتعود اجسامنا ترابا كما قلنا ثم يجمع الله عز وجل يوم القيامة بين انفسنا واجسادنا التي كانت بعد ان يعيدها وينشرها من القبور وهي المواضع التي استقرت اجزاؤها فيها لا يعلمها غيره ولا يحصيها سواه عز وجل لا اله الا هو فهذه الحياة الثانية التي لا تبيد ابدا ويخلد الانس والجن مؤمنهم في الجنة بلا نهاية وكافرهم في النار بلا نهاية واما الملائكة وحور العين فكلهم في الجنة فيها خلقوا من النور وفيها يبقون ابدا بلا نهاية ولم ينقلوا عنها قط ولا ينقلون هذا كله نص قول الله عز وجل اذ يقول * كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * واذ يقول تعالى مصدقا للقائلين * ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * فلا يشذ عن هذا احد الا من أبانه الله تعالى بمعجزة ظهرت فيه كمن أحياه الله عز وجل آية لنبي كالمسيح عليه السلام وكالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فهؤلاء والذي اماته الله مائة عام ثم احياه كلهم ماتوا ثلاث موتات وحيوا ثلاث مرات واما من ظن ان الصعقة التي تكون يوم القيامة موت فقد أخطا بعض القرآن الذي ذكرنا لانها كانت تكون حينئذ لكل احد ثلاث موتات وثلاث احياآت وهذا كذب وباطل وخلاف للقرآن وقد بين عز وجل هذا نصا فقال تعالى * ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله * فبين تعالى ان تلك الصعقة انما هي فزع لا موت وبين ذلك بقوله تعالى في سورة الزمر * ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون واشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء * الآية فبين تعالى ان تلك الصعقة مستثنى منها من شاء الله عز وجل وفسر بها الآية التي ذكرنا قبل وبينت انها فزعة لا موتة وكذلك فسرها النبي عليه الصلاة والسلام بانه اول من يقوم فيري موسي عليه السلام قائما فلا يدري اكان ممن صعق فافاق ام جوزي بصعقة الطور فسماها افاقة ولو كانت موتة ماسماها افاقة بل احياء فكذلك كانت صعقة موسى عليه الصلاة والسلام يوم الطور فزعة لا موتا قال تعالى * وخر

بالمجان وسئل أيما أحمد في الصبا الحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل على العقل والخوف يدل على المقفة والشهوة وقال لابنه دع المزاح فان المزاح لقاح الضغائن وساله رجل قال هل ترى أن أتزوج أو ادع قال أي الامرين فعلت ندمت عليه وسئل أي شيء أصعب على الانسان قال أن لا يعرف عيب نفسه وأن يمسك عما لا ينبغي أن يتكلم به ورأى رجلا عثر فقال له تعثر برجلك خير من أن تعثر بلسانك وسئل ما الكرم فقال النزاهة عن المساوي وقيل له ما الحياة قال التمسك بامر الله تعالى وسئل ما النوم فقال النوم موتة خفيفة والموت نومة طويلة وقال ليكن اختيارك من الاشياء جديدها ومن الاخوان أنفعهم وقال أنفع العلم

موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك * هذا ما لا خلاف فيه

(قال أبو محمد) فصح بما ذكرنا ان الدور سبع وهى عالمون كل عالم منها قائم بذاته فاولها دار الابتداء وعالمه وهو الذى خلق عزوجل فيه الانفس جملة واحدة وأخذ عليها العهد هكذا نص تعالى على انها الانفس بقوله عزوجل * واشهدهم على انفسهم ألست بربكم * وهى دار واحدة لانهم كلهم فيها مسلمون وهى دار طويلة على آخر النفوس جدا الا على اول المخلوقين فهى قصيرة عليهم جدا وثانيها وهى دار الابتلاء وعالمه وهى التى نحن فيها وهى التى يرسل الله تعالى النفوس اليها من عالم الابتدا فتقيم فيه فى اجسادها متعبدة ما اقامت حتى تفارقه جيلا بعد جيل حتى تستوفى جميع الانفس المخلوقة بسكناها الموفق لها فيه ثم ينقضى هذا العالم وهى دار قصيرة جدا على كل نفس فى ذاتها لان مدة عمر الانسان فيها قليل ولو عمر الف عام فكيف باعمار جمهور الناس التى هى من ساعة الى حدود المائة عام ثم داران اثنتان للبرزخ وهما اللتان ترجع اليهما النفوس عند خروجها من هذا العالم وفراقها اجسادها وهما عند سماء الدنيا نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر انه رأى ليلة اسرى به عليه الصلاة والسلام آدم فى سماء الدنيا وعن يمينه أسودة وعن يساره أسودة فسأل عنها فاخبر انها نسم بنيه وان الذين عن يمينه ارواح اهل السعادة والذين عن يساره ارواح اهل الشقاء وقد نص الله تعالى على هذا انصا فقال تعالى * وكنتم ازواجا ثلاثة فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشامة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون اولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين * وقال تعالى * فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو الحق اليقين * وقال تعالى ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشامة عليهم نار مؤصدة *

(قال أبو محمد) رضى الله عنه هكذا نص رسول صلى الله عليه وسلم على ان ارواح الشهداء فى الجنة وكذلك الانبياء بلا شك فمن الباطل ان يفوز الشهداء بفضل يحرمه الانبياء وهم المقربون الذين ذكر الله تعالى انهم فى الجنة اذ يقول تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم فهاتان داران قائمتان لم يدخل اهلها بعد لا جنة ولا نارا بنص القرآن والسنة وقال تعالى * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب * وقال تعالى حاكيا عن الكفار انهم يقولون يوم البعث * ياويلنا من بعثنا من مرقدنا * فصح انهم لم يعذبوا فى النار بعد وهكذا جاءت الاخبار كلها بان الجميع يوم القيامة يصيرون الى الجنة والى النار لا قبل ذلك حاشى الانبياء والشهداء فقط ولا ينكر خروجهم من الجنة لحضور الحساب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة ثم خرج عنها قال تعالى * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى * وهما داران طويلتان على أول النفوس جدا حاشى آخر المخلوقين فهى قصيرة عليهم جدا وانما استقصرها الكفار كما قال عزوجل فى القرآن لانهم انتقلوا عنها الى عذاب النار نعوذ بالله منها فاستقلوا تلك المدة وان كانت طويلة حتى ظنها بعضهم لشدة ما صاروا اليه يوما أو بعض

ما أصابته الفكرة وأقله نفعا ما قلته بلسانك وقال ينبغى أن يكون المرء حسن الشكل فى صغره وعفيفا عند ادراكه وعدلا فى شبابه وذا رأي فى كهولته وحافظا للسنن عند الفناء حتى لا يلحقه الندامة وقال ينبغى للشاب أن يستعد لشيخوخته مثل ما يستعد الانسان للشتاء من البرد الذي يهجم عليه وقال يابنى احفظ الامانة تحفظك وصنها حتى تصان وقال جوعوا الى الحكمة واعطشوا الى عبادة الله تعالى قبل أن يأتيكم المانع منها وقال لتلامذته لا تكرموا الجاهل فيستخفف بكم ولا تتصلوا بالاشراف فتعدوا فيهم ولا تعتمدوا الغنى ان كنتم تلامذة الصدق ولا تهملوا من انفسكم فى ايامكم ولياليكم ولا تستخفوا بالمساكين فى جميع أوقاتكم وكتب اليه بعض

يوم وقال بعضهم ان لبثتم الا عشرا ثم الدار الخامسة هى عالم البعث وهو يوم القيامة وهو عالم الحساب ومقداره خمسون الف سنة قال تعالى * في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فاصبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسال حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه . فصح انه يوم القيامة وبهذا أيضا جاءت الاخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الايام التى قال الله تعالى فيها ان اليوم منها الف سنة فهى آخر قال تعالى . يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه فى يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون . وقال تعالى . وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون * فهي أيام اخر بنص القرآن ولا يحل احالة نص عن ظاهره بغير نص آخر أو اجماع بيقين أو ضرورة حس ثم الدار السادسة والسابعة داران للجزاء وهما الجنة والنار وهما داران لا آخر لهما ولا فناء لهما ولا لمن فيهما نعوذ بالله من سخطه الموجب للنار ونساله الرضى منه الموجب للجنة وما توفيقا الا بالله الرحيم الكريم وأما من قال ان قوله تعالى فى يوم القيامة انما هو مقدار خمسين الف سنة لو تولى ذلك الحساب غيره فهو مكذب لربه تعالى مخالف للقرآن ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طول ذلك اليوم و بضرورة العقل ندرى انه لو كلف جميع اهل الارض محاسبة اهل حصر واحد فيما أضمروه وفعلوه وموازنة كل ذلك ماقاموا به فى الف الف عام فبطل هذا القول الكاذب بيقين لا شك فيه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واذ قد بينا بطلان قول المعتزلة فى تحكمهم على ربهم وايجابهم عليه ما أوجبوا بآرائهم السخيفة وتشبيههم اياه بانفسهم فيما يحسن منهم ويقبح وتجويزهم اياه فيما فعل وقضى وقدر فلنبين بحول الله وقوته انهم المجورون له على الحقيقة لا نحن ثم نذكر مانص الله تعالى عليه مصدقاً لقولنا ومكذبا لقولهم وبالله تعالى التوفيق فنقول وبالله عزوجل نتايد ان من المحال البين ان يقول المعتزلة لنا نجور الله تعالى ونحن نقول انه لا يجور البتة ولا جار قط وان كل مافعل اويفعل أى شيء كان فهو العدل والحق والحكمة على الحقيقة لا شك فى ذلك وانه لا جور الا ماسماه الله عزوجل جورا وهو ما ظهر فى عصاة عباده من الجن والانس مما خالف امره تعالى وهو خالقه فيهم كما شاء فكيف يكون مجور اليه عزوجل من هذه هى مقالته وانما المجور لربه تعالى من يقول فيما اخبر الله عزوجل انه خلقه هذا جور وظلم فان قابل هذا القول لا يخلو ضرورة من احد وجهين لا ثالث لهما اما انه مكذب لربه عزوجل فى اخباره فى القرآن انه برأ المصائب كلها وخلقها وانه تعالى خلقنا وما نعمل وانه خلق كل شيء بقدر محرف لكلام ربه تعالى الذى هو غاية البيان عن مواضعه مبدل له بعد ما سمعه وقد نص الله تعالى فيمن يحرف الكلم عن مواضعه ويبدله بعد ماسمعه مانص فهذا خطة كفران التزمها والثانية وهى تصديق الله عزوجل فى اخباره بذلك وتجويزه فى فعله لا بدله من ذلك وهذه ايضا خطة كفران التزمها أو الانقطاع والتناقض والثبات على اعتقاد الباطل بلا حجة تقليدا للعيارين الشطار الفساق كالنظام والعلاف وبشر نخاس الرقيق ومعمر المتهم عندهم فى دينه وثمامة الخليع المشهور بالقبايح والجاحظ وهو من عرف هزلا وعيارة وانهما لا وهذه اسلم الوجوه لهم ونعوذ بالله من مثلها ثم هم بعد هذا صنفان أصحاب الاصلح واصحاب اللطف فاما اصحاب اللطف فان اصحاب الاصلح يصفونهم بانهم مجورون

الحكماء يستوصفه أمر عالمى العقل والحس فقال اما عالم العقل فدار ثبات وثواب وأما عالم الحس فدار بوار وغرور ووسئل ما فضل علمك على علم غيرك قال معرفتى بان علمى قليل وقال اخلاق محمودة وجدتها فى الناس الا انها انما توجد فى قليل صديق يحب صديقه غائبا كمحبته حاضرا وكريم يكرم الفقراء كما يكرم الاغنياء ومقر بعيوبه اذا ذكر ذا كريوم نعيمه فى يوم بؤسه ويوم بؤسه فى يوم نعيمه وحافظ السانه عند غضبه (حكم أوميرس الشاعر) وهو من القدماء الكبار الذى يجريه أفلاطون وارسطوطاليس فى أعلي المراتب ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من اتفاق المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأى وجزالة اللفظ فمن ذلك

لله مجهولون له واصحاب الاصلح يصفهم اصحاب اللطف بانهم معجزون لله تعالى مشبهون له بخلقه فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون وقد نص الله تعالى على انه يفعل مايشاء بخلاف ماقالت المعتزلة فقال عزوجل . كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء . وامرنا عز وجل ان ندعوه فنقول . ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أوأخطانا ربنا ولاتحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنابه .

(قال ابو محمد) وهذه غاية البيان في انه عزوجل له ان يكلفنا مالاطاقة لنابه وانه لوشاء ذلك لكان من حقه ولولم يكن له ذلك لما امرنا بالدعاء فى ان لايحملناذلك ولكان الدعاء بذلك كالدعاء فى ان يكون الها خالقا على أصولهم ونص تعالى كما تلونا على انه قدحمل من كان قبلنا الاصر وهو الثقل الذى لايطاق وامرنا ان ندعوه بان لايحمل ذلك علينا وايضا فقد امرنا تعالى فى هذه الآية ان ندعوه فى ان لايؤاخذنا ان نسينا أوأخطانا وهذا هو تكليف مالايطاق نفسه لان النسيان لايقدر احد على الخلاص منه ولايتوهم التحفظ منه ولايمكن احدا دفعه عن نفسه فلو لاان له تعالى ان يؤاخذ بالنسيان من شاء من عباده لما امرنا بالدعاء فى النجاة منه وقد وجدنا الانبياء عليهم الصلاة والسلام مؤاخذين بالنسيان منهم ابونا آدم صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى . ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى * يريد نسيانه عداوة ابليس له الذى حذره الله تعالى منها ثم آخذه على ذلك واخرجه من الجنة ثم تاب عليه وهذا كله على اصول المعتزلة جور وظلم تعالى الله عن ذلك وقال عزوجل . ولوشاء الله ماشركوا . ولو فى اللغة التى بها نزل القرآن حرف يدل على امتناع الشيء لامتناع غيره فصح يقينا ان ترك الشرك من المشركين ممتنع لامتناع مشيئة الله تعالى لتركه وقال تعالى * وماكان لنفس ان تؤمن الاباذن الله . ومشيئة الله هي تفسير اذن الله وقال تعالى . ولوانا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله فهذا نص جلي على انه لايمكن احد ان يؤمن الاباذن الله عزوجل له فى الايمان فصح يقينا ان كل من آمن فلم يؤمن الاباذن الله عز وجل وانه تعالى شاء ان يؤمن وان كل من لم يؤمن فلم ياذن الله تعالى له فى الايمان ولاشاء ان يكون منه الايمان هذا نص هاتين الآيتين اللتين لايحتملان تاويلا غيره اصلا وليس لاحد ان يقول انه تعالى عنى الاكراه على الايمان لان نص الآيتين مانع من هذا التاويل الفاسد لانه تعالى اخبر ان كل من آمن فانما آمن باذن الله عزوجل وان من لم يؤمن فان الله تعالى لم يشاء ان يؤمن فيلزمهم على هذا ان كل مؤمن فى العالم فمكره على الايمان وهذا شر من قول الجهمية واشد فار قالوا ان اذن الله تعالى هاهنا انما هو أمر لزمهم ضرورة احد وجهين لابد منهما اماان يقولوا ان الله تعالى لم يامر الكفار بالايمان لان النص قد جاء بانه تعالى لواذن لهم لآمنوا واماان يقولوا ان كل من في العالم فهم مؤمنون لانهم عندهم ماذون لهم فى الايمان اذا كان الاذن هو الامر وكلا القولين كفر مجرد ومكابرة للعيان ونعوذ بالله من الضلال

﴿قال ابو محمد﴾ الاذن هاهنا ومشيئته تعالى هو خلق الله تعالى للايمان فيمن آمن وقوله لايمانه كن فيكون وعدم اذنه تعالى وعدم مشيئته للايمان هو ان لايخلق فى المرء الايمان فلا يؤمن لايجوز غير هذا البتة اذ قد صح ان الاذن هاهنا ليس هو الامر وقال عزوجل * ولقد

بعثنا

قوله لا خير في كثرة الرؤساء وهذه كلمة وجيزة تحتها معان شريفة لما فى كثرة الرؤساء من الاختلاف الذى يأتى على حكمة الرئاسة بالابطال ويستدل بها فى التوحيد أيضا لما فى كثرة الالهة من المخالفات التى تكر على حقيقة الالهية بالافساد وبالجملة لوكان أهل بلد كلهم رؤساء ماكان رئيس البتة ولو كان أهل بلد كلهم رعية لما كان رعية البتة ومن حكمه قال اني لاعجب من الناس اذ كان يمكنهم الاقتداء بالله فيدعون ذلك الى الاقتداء بالبهائم ثم قال له تلميذه لعل هذا انما يكون لانهم قد رأوا إنهم يموتون كما يموت البهائم فقال له بهذا السبب يكثر تعجبي منهم من قبل انهم يحسبون بانهم لا يسون بدنا ميتا ولا يحسبون ان في ذلك البدن نفسا غير

بعثنافى كل أمة رسولاان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة * فاخبر تعالى انه هدى بعضهم دون بعض وهذا عند المعتزلة جور وقال تعالى * ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس * فنص علي انه خلقهم ليدخلهم النار نعوذ بالله من ذلك وقال تعالى * ولوشاء الله لجعلهم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء . وأمر تعالى ان ندعوه فنقول . ربنالاتزغ قلوبنا بعداذهديتنا . فنص تعالى علي زيغ قلوب من لم يهدهم من الذين زاغوا اذازاغ الله قلوبهم وقال تعالى . كذلك حقت كلمة ربك علي الذين فسقوا انهم لايؤمنون . فقطع تعالى على ان كلماته قدحقت على الفاسقين انهم لايؤمنون فمن الذى حقق عليهم ان لايؤمنوا الاهو عزوجل وهذا جور عند المعتزلة

(قال ابو محمد) وكل آية ذكرناها فى باب الاستطاعة منهى حجة عليهم في هذا الباب وكل آية نتلوها ان شاء الله عزوجل فى باب اثبات ان الله عزوجل اراد كون الكفر والفسق بعدهذا الباب منهى أيضاحجة عليهم فى هذا الباب وكذلك كل آية نتلوها ان شاء الله عزوجل فى ابطال قول من قال ليس عندالله تعالى شيء اصلح مما اعطاه الله اباجهل وفرعون وأبالهب مما يستدعى الى الايمان فانها حجة عليهم في هذا الباب وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واحتجت المعتزلة بقول الله تعالى. وماخلقنا السموات والارض ومابينهما لاعبين ماخلقناهما إلا بالحق . وبقوله تعالى . ومار بك بظلام للعبيد . وبقوله تعالى . وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . وبقوله تعالى . وماخلقت الجن والانس الاليعبدون . وبقوله تعالى . ومار بك بظلام للعبيد . و بقوله تعالى. ان شرالدواب عندالله الصم البكم الذين لايعقلون ولوعلم الله فيهم خيرالاسمعهم ولواسمعهم لتولواوهم معرضون .

(قال ابو محمد) وهذه حجة لناعليهم لانه تعالى اخبر انه قادر على ان يسمعهم والاسماع هاهنا الهدى بلاشك لان آذانهم كانت صحاحا ومعنى قوله تعالى . ولواسمعهم لتولواوهم معرضون . إنما معناه بلا شك لتولواعن الكفروهم معرضون عنه لايجوزغير هذا لانه محال أن يهديهم الله وقدعلم من قلوبهم خيرافلايهتدوا هذاتناقض قدتنزه كلامه عزوجل عنه فصح انه كماذكرنا يقينا

(قال ابو محمد) وسائرها لاحجة لهم فى شيء منه بل هوحجة لناعليهم وهو نص قولنا انه خلق السموات والارض ومابينهما بالحق وافعال العباد بين السماء والارض بلاشك فالله تعالى خلقها بالحق الذى هو اختراعه لها وكل مافعل تعالى حق واضلاله من اضل حق له ومنه تعالى وهداه من هدى حق منه تعالى ومحاباته من حابى بالنبوة وبالطاعة حق منه ونحن نبرأ الى الله تعالى من كل من قال ان الله تعالى خلق شيئا بغير الحق أو انه تعالى خلق شيئا لاعبا اوانه تعالى ظلم احدا بل فعله عدل وصلاح ولقد ظهر لكل ذى فهم انناقائلون بهذه الآيات على نصها وظاهرها فاي حجة لهم علينا فى هذه النصوص لوعقلوا واما المعتزلة فيقولون انه تعالى لم يخلق كثيرا مما بين السموات والارض لاسيما عباد بن سليمان منهم تلميذ هشام بن عمرو الفوطي القائل ان الله تعالى لم يخلق الجدب ولا الجوع ولا الامراض ولا الكفار ولا الفساق ومحمد بن عبدالله الاسكافى تلميذ جعفر بن حرب القائل ان الله تعالى لم يخلق العيدان ولا المزامير ولا الطنابير وكل ذلك ليس بخلق من خلق الله تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهم يقولون ان الله عزوجل لوحابى احدا لكان ظالما لغيره وقدصح ان الله تعالى حابي موسى وابراهيم

ميتة وقال من يعلم أن الحياة لنا مستعبدة والموت معتق مطلق آثر الموت على الحياة وقال العقل نحوان طبيعى وتجربى وهما مثل الماء والارض وكأن النار تذيب كل صامت وتخلصه وتمكن من العمل فيه كذلك العقل يذيب الامور ويخلصها ويفصلها ويعدها للعمل ومن لم يكن لهذين النحوين فيه موضع فان خير أموره له قصر العمر وقال ان الانسان الخير أفضل من جميع ماعلى الارض والانسان الشرير أخس وأوضع من جميع ماعلى الارض وقال لن تذبل واحلم تعز ولا تكن معجبا فتمتهن واقهر شهوتك فان الفقير من نحط الى شهواته وقال الدنيا دار تجارة والويل لمن تزود عنها الخسارة وقال الامرامر ثلاثة أشياء

ويحيى ومحمدا صلوات الله عليهم دون غيرهم ودون ابى لهب وابى جهل وفرعون والذى حاج ابراهيم فى ربه فعلى قول المعتزلة يجب ان الله تعالى ظلم هؤلاء الذين حابى غيرهم عليهم وهذا مالا مخلص لهم منه الا بترك قولهم الفاسد واما قوله تعالى * وماخلقت الجن والانس الاليعبدون * فهكذا نقول ماخلقهم الله تعالى الا ليكونوا له عبادا مصرفين بحكمه فيهم منقادين لتدبيره اياهم وهذه حقيقة العبادة والطاعة أيضا عبادة وقال تعالى حاكيا عن القائلين * انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون * وقد علم كل احد ان قوم موسى عليه السلام لم يعبدوا قط فرعون عبادة تدين لكن عبدوه عبادة تذلل فكانوا له عبيدا فهم له عابدون وكذلك قول الملائكة عليهم السلام بل كانوا يعبدون الجن وقد علم كل احد انهم لم يعبدوا الجن عبادة تدين لكن عبدوهم عبادة تصرف لامرهم واغوائهم فكانوا لهم بذلك عبيدا فصح القول بانهم يعبدونهم وهذا بين وقال بعض اصحابنا معنى هذه الاية انه تعالى خلقهم ليامرهم بعبادته ولسنا نقول بهذا لان فيهم من لم يامره الله تعالى قط بعبادته كالاطفال والمجانين فصار تخصيصا للآية بلا برهان والذي قلناه هو الحق الذى لاشك فيه لانه المشاهد المتيقن العام لكل واحد منهم واما ظن المعتزلة فى هذه الآية فباطل يكذبه اجماعهم معنا ان الله تعالى لم يزل يعلم ان كثيرا منهم لايعبدونه فكيف يجوز ان يخبر انه خلقهم لامر قد علم انه لا يكون منهم الا ان يصيروا الى قول من يقول انه تعالى لا يعلم الشيء حتى يكون فيتم كفرهم الى هذا ولا يخلصون مع ذلك من نسبة العبث الى الخالق تعالى اذ غررمن خلق فيما لايدرى ايعطبون فيه أم يفوزون وتحيرت المعتزلة القائلون بالاصلح وبابطال المحاباة فى وجه العدل فى ستة عشر بابا وهى العدل فى ادامة العذاب العدل فى ايلام الحيوان العدل فى تبليغ من فى المعلوم انه يكفر العدل فى المخلوق العدل فى اعطاء الاستطاعة العدل فى الارادة العدل فى البدل العدل فى الامر العدل فى عذاب الاطفال العدل فى استحقاق العذاب العدل فى المعرفة العدل فى اختلاف احوال المخلوقين العدل فى اللطف العدل فى الاصلح العدل فى نسخ الشرائع العدل فى النبوة

الكلام فى هل شاء الله عز وجل كون الكفر والفسق

(واراده تعالى من الكافر والفاسق ام لم يشاء ذلك ولا أراد كونه)

(قال ابو محمد) قالت المعتزلة ان الله تعالى لم يشاء ان يكفر الكافر ولا ان يفسق الفاسق ولا ان يشتم تعالى ولا ان يقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام واحتجوا بقول الله عز وجل * ولا يرضى لعباده الكفر * وبقوله تعالى . اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم * وقالوا من فعل ما أراد الله فهو مأجور محسن فان كان الله تعالى أراد أن يكفر الكافر وان يفسق الفاسق فقد فعلا جميعا ما أراد الله تعالى منهما فهما محسنان ماجوران و ذهب اهل السنة ان لفظة (شاء) وأراد لفظة مشتركة تقع على معنيين احدهما الرضى والاستحسان فهذا منفى عن الله تعالى انه اراده أوشاءه فى كل مانهى عنه والثاني ان يقال أراد وشاء بمعنى أراد كونه وشاء وجوده فهذا هو الذى نخبر به عن الله عز وجل فى كل موجود فى العالم من خير اوشر فسلكت المعتزلة سبيل السفسطة فى التعلق بالالفاظ المشتركة الواقعة على معنيين فصاعدا والتمويه الذى يضمحل اذا فتش ويفتضح اذا بحث

عنه

الزيادة والنقصان فى الطبائع الاربع ومايهيجه الاحزان فشفاء الزائد والناقص فى الطبائع الادوية وشفاء مايهيجه الاحزان كلام الحكماء والاخوان وقال العمى خير من الجهل لان أصعب مايخاف من العمى التهور فى بئر ينهد منه الجسد والجهل يتوقع منه هلاك الابد وقال مقدمة المحمودات الحياء ومقدمة المذمومات القحة وقال برقليطس ان أوميرس الشاعر لما رأى تضاد الموجودات دون فلك القمر قال بالتيه هلك التضاد من هذا العالم ومن الناس والسادة يعنى النجوم واختلاف طبائعها وأراد بذلك ان يبطل التضاد والاختلاف حتى يكون هذا العالم المتحرك المتنقل داخلا فى العالم الساكن القائم الدائم ومن مذهبه أن بهرام واقع

عنه وهذه سبيل الجهال الذين لا حيلة بايديهم الا المخرفة وقال اهل السنة ليس من فعل ما أراد الله تعالى وما شاء الله كان محسنا وانما المحسن من فعل بما أمره الله تعالي به ورضيه منه (قال ابو محمد) ونسألهم فنقول لهم اخبرونا أكان الله تعالى قادرا علي منع الكافر من الكفر والناسق من الفسق وعلي منع من شتمه من النطق به ومن امراره علي خاطره وعلى المنع من قتل من قتل من انبيائه عليهم الصلاة والسلام أم كان عاجزا عن المنع من ذلك فان قالوا لم يكن قادرا علي المنع من شيء من ذلك فقد اثبتوا له معنى العجز ضرورة وهذا كفر مجرد ولبطال لالاهيته تعالى وقطع عليه بالضعف والنقص وتناهي القوة وانقطاع القدرة مع التناقض الفاحش لانهم مقرون انه تعالى هو اعطاهم القوة التي بها كان الكفر والفسق وشتمه تعالى وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن المحال المحض ان يكون تعالى لا يقدر علي ان لا يعطيهم الذى اعطاهم وهذه صفة المضطر المجبر وان قالوا بل هو قادر على منعهم من كل ذلك افروا ضرورة انه مريد لبقائهم على الكفر وانه المبقي للكافر وللكفر وحالف الزمان الذى امتد فيه الكافر على كفره والفاسق علي فسقه وهذا نفسه هو قولنا انه اراد كون الكفر والفسق والشتم له وقتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يرض عن شيء من ذلك بل سخطه تعالى وغضب علي فاعله وقالت المعتزلة ان كان الله تعالى أراد كون كل ذلك فهو اذن يغضب مما أراد

(قال ابو محمد) ونحن نقر انه تعالى يغضب على فاعل ما اراد كونه منه ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم فاذ هذا عندكم منكر وانتم مقرون بانه قادر على المنع منه فهو عندكم يغضب مما أقر ويسخط مايقره ولا يغيره ويثبت ما لا يرضي وهذا هو الذى شنعوا فيه ولا يقدرون علي دفعه والشاعة عليهم راجعة لانهم انكروا ما الزمهم وبالضرورة ندرى ان من قدر علي المنع من شيء فلم يفعل ولا منع منه فقد اراد وجود كونه ولو لم يرد كونه لغيره ولمنع منه ولما تركه يفعل فان قالوا انه حكيم وخلاهم دون منع لسر من الحكمة له فى ذلك قيل لهم فاقنعوا بمثل هذا الجواب ممن قال لكم انه اراد كونه لانه حكيم كريم عزيز وله فى ذلك سر من الحكمة

(قال أبو محمد) واما نحن فنقول انه تعالى اراد كون كل ذلك ولا سر ها هنا وان كل ما فعل فهو حكمة وحق وان قولهم هذا هادم لمقدمتهم الفاسدة انه يقبح من البارى تعالى مايقبح منا وفيما بيننا وما علم قط ذو عقل ان من خلى من عدوه منطلق اليد على وليه واحب الناس اليه يقتله ويعذبه ويلطمه ويهينه ويتركه ينطلق على عبيده وامائه يفجر بهم وبهن طوعا وكرها والسيد حاضر يرى ويسمع وهو قادر علي المنع من ذلك فلا يفعل بل لا يقنع بتركهم الا حتى يعطى عدوه القوة علي كل ذلك والآلات المعينة له ويمده بالقوى شيئا بعد شيء فليس حكيما ولا حليما ولكنه عابث ظالم جائر فيلزمهم علي اصلهم الفاسد ان يحكموا علي الله تعالى بكل هذا لانهم معترفون بانه تعالى فعل كل هذا وهذا لا يلزمنا لاننا نقول ان الله تعالى يفعل مايشاء وان كل ما فعل مما ذكرنا وغيره فهو كله منه تعالى حكمة وحق وعدل لا يسأل عما يفعل وهم يسألون فبطل بضرورة المشاهدة قولهم ان الله تعالى لم يرد كون الكفر أو كون الفسق أو كون شتمه تعالى وقتل أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ولو

الزهرة فتولدت من بينهما طبيعة هذا العالم وقال ان الزهرة هى علة التوحد والاجتماع وبهرام علة التفرق والاختلاف والتوحد ضد التفرق فلذلك صارت الطبيعة ضدا تركب وتنقض وتوحد وتفرق وقال الخط شيء اظهره العقل بوساطة القلم فلما قابل النفس عشقته بالعنصر هذا حكمه وأما مقطعات أشعاره قال ينبغى للانسان أن يفهم الامور الانسانية ان الادب للانسان ذخر لايسلب . ادفع من عمرك مايجريك . إن أمور العالم تعلمك العلم ان كنت ميتا فلا تحقر عداوة من لا يموت كل مايختار فى وقته يفرح به ان الزمان يبين الحق وينيره اذكر نفسك أبدا انك انسان ان كنت انسانا فافهم كيف تضبط

لم يرد كونه لمنع من ذلك كامنع من كون كل ما لم يردان يكون
(قال ابو محمد) ويكفى من هذا كله اجماع الامة على قول ما شاء الله كان ومالم يشألم يكن فهذا على عمومه موجب ان كل مافى العالم كان او يكون اى شىء كان فقد شاءه الله تعالى وكل مالم يكن ولا يكون فلم يشأه الله تعالى نصا لا يحتمل تاويلا على انه تعالى اراد كون كل ذلك فمن ذلك قوله تعالى * لمن شاء منكم ان يستقيم وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * فنص تعالى نصا جليا على انه لا يشاء احد استقامة على طاعته تعالى الا ان شاء الله تعالى ان يستقيم فلو صح قول المعتزلة ان الله تعالى شاء ان يستقيم كل مكلف لكان بنص القرآن كل مكلف مستقيم لان الله تعالى عندهم قد شاء ذلك وهذا تكذيب مجرد لله تعالى نعوذ بالله من مثله فصح يقينا لا مدخل للشك فى صحته انه تعالى شاء خلاف الاستقامة منهم ولم يشا ان يستقيموا بنص القرآن وقال تعالى * وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء *
(قال ابو محمد) وهذه الاية غاية فى البيان فى ان الله تعالى جعل عدة ملائكة النار فتنة للذين كفروا وليقولوا ماذا اراد الله بهذا مثلا فاخبر تعالى أنه أراد ان يفتن الذين كفروا وان يضلهم فيضلوا وانه تعالى قصد اضلالهم وحكم بذلك كما قصد هدى المؤمنين واراده وكذلك قال تعالى * ولو جعلناه قرآنا اعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى *
(قال ابو محمد) فنص تعالى على انه نزل القرآن هدى للمؤمنين وعمى للكفار وبيقين ندرى انه تعالى اذا نزل القرآن اراد أن يقول كما قال تعالى عمى للكفار وهدى للمؤمنين وقال تعالى * ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعاً افأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * هكذا هى الآية كلها موصولة بعضها ببعض فنص تعالى على انه لوشاء لآمن الناس والجن وهم أهل الارض كلهم ولو فى لغة العرب التى بها خاطبنا الله عز وجل ليفهمنا حرف يدل على امتناع الشىء لامتناع غيره فصح يقينا ان الله تعالى لم يشأ أن يؤمن كل من فى الارض واذ لا شك فى ذلك فباليقين ندرى انه شاء منهم خلاف الايمان وهو الكفر والفسق لابد ولو كان الله تعالى اذن للكافرين فى الايمان على قول المعتزلة لكان كل من فى الارض قد آمن لانه تعالى قد نص على أنه لا يؤمن أحد الا باذنه وهذا أمر من المعتزلة يكذبه العيان فصح ان المعتزلة كذبت وان الله تعالى صدق وانه لم ياذن قط لمن مات كافرا فى الايمان وان من عمى عن هذه لأعمى القلب وكيف لا يكون أعمى القلب من أعمى الله قلبه عن الهدي وبالضرورة ندرى ان قول الله تعالى * وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * حق وان من لم ياذن الله تعالى له فى الايمان فانه تعالى لم يشا ان يؤمن واذ لم يشأ أن يؤمن فبلا شك انه تعالى شاء ان يكفر هذا مالا انفكاك منه وقال تعالى * ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله * فبين تعالى اتم بيان على ان الايات لا تغنى شيئا ولا النذر وهم الرسل وانه لا يؤمن شىء

غضبك . اذا نالتك مضرة فاعلم انك كنت أهلها . اطلب رضى كل أحد لا رضى نفسك فقط . ان الضحك فى غير وقته هو ابن عم البكاء . إن الارض تلد كل شيء ثم تسترده . ان الرأى من الجبان جبان انتقم من الاعداء نقمة لا تضرك . كن مع حسن الجرأة ولا تكن متهورا . ان كنت ميتا فلا تذهب مذهب من لا يموت . ان أردت أن تحي فلا تعمل عملا يوجب الموت . ان الطبيعة كونت الاشياء بارادة الرب تعالى . من لا يفعل شيئا من الشر فهو الهى . آمن بالله فانك توفق فى أمورك . إن مساعدة الاشرار على أفعالهم كفر بالله . ان المغلوب من قاتل الله والبخت أعرف الله والامور الانسانية اذا أراد الله خلاصك عبرت

من ذلك الا من شاء الله عز وجل ان يؤمن فصح يقينا انه لا يؤمن الا من شاء الله ايمانه ولا يكفر الا من شاء الله كفره فقال تعالى حاكيا عن يوسف عليه السلام انه قال * وان لا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن * فبالضرورة نعلم أن من صبا وجهل فان الله تعالى لم يصرف عنه الكيد الذى صرفه برحمته عمن لم يصب ولم يجهل واذ صرفه تعالي عن بعض ولم يصرفه عن بعض فقد أراد تعالى اضلال من صبا وجهل وقال تعالى * وجعلنا علي قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً * فليت شعري اذ قال تعالى انه جعل قلوب الكافرين فى اكنة أن يفقهوا القرآن وجعل الوقر في آذانهم أتراه أراد أن يفقهوه أو أراد أن لا يفقهوه وكيف يسوغ فى عقل احد ان يخبر تعالى انه فعل عز وجل شيئا لم يرد أن يفعله ولا أراد كونه ولا شاء ايجاده وهذا تخليط لا يتشكل فى عقل كل ذى مسكة من عقل فصح يقينا ان الله تعالي أراد كون الوقر فى آذانهم وكون الاكنة علي قلوبهم وقال تعالي * ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء * فنص تعالى علي انه لم يرد أن يجعلنا امة واحدة ولكن شاء ان يضل قوما ويهدى قوما فصح يقينا انه تعالى شاء اضلال من ضل وقال تعالى مثنيا علي قوم ومصدقا لهم فى قولهم * قد افترينا علي الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا * فقال النبيون عليهم الصلاة والسلام واتباعهم قول الحق الذى شهد الله عز وجل بتصديقه انهم انما خلصوا من الكفر بان الله تعالى نجاهم منه ولم ينج الكافرين منه وان الله تعالى ان شاء أن يعودوا فى الكفر عادوا فيه فصح يقينا انه تعالى شاء ذلك ممن عاد فى الكفر وقد قالت المعتزلة فى هذه الآية معنى هذا الا أن يأمرنا الله بتعظيم الاصنام كما أمرنا بتعظيم الحجر الاسود والكعبة

(قال أبو محمد) وهذا في غاية الفساد لان الله تعالى لو امرنا بذلك لم يكن عودا فى ملة الكفر بل كان يكون ثابتا علي الايمان وتزايدا فيه وقال تعالى * فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا * فليت شعرى اذ زادهم الله مرضا أتراه لم يشا ولا أراد ما فعل من زيادة المرض فى قلوبهم وهو الشك والكفر وكيف يفعل الله ما لا يريد ان يفعل وهل هذا الا الحاد مجرد ممن قاله وقال تعالى * ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد * فنص تعالى علي انه لو شاء لم يقتتلوا فوجب ضرورة انه شاء وأراد ان يقتتلوا وفي اقتتال المقتتلين ضلال بلا شك فقد شاء الله تعالى كون الضلال ووجوده بنص كلامه تعالى وقال عز وجل * ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا * فنص تعالى علي انه أراد فتنة المفتتنين وهم الكفار وكفرهم الذين لم يملك لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله شيئا فهذا نص علي أن الله تعالى أراد كون الكفر من الكفار وقال تعالى * أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم *

(قال أبو محمد) وهذا غاية البيان فى انه تعالى لم يرد ان يطهر قلوبهم وبالضرورة ندرى ان من لم يرد الله ان يطهر قلبه فقد أراد فساد دينه الذى هو ضد طهارة القلب وقال تعالى * ولو شاء الله لجمعهم علي الهدى * وهذا غاية البيان فى أن الله تعالى لم يرد هدى الجميع واذا لم يرد هداهم فقد

البحر علي البادية. ان العقل الذى يناطق الله لشريف أن قوام السنة بالرئيس أن لفيف الناس وان كانت لهم قوة فليس لهم عقل ان السنة توجب كرامة الو لدين مثل كرامة الاله. رأى ان والديك آلهة لك أن الاب من هو ربي لا من ولد. ان الكلام فى غير وقته يفسد العمر كله. اذا حضر البخت تمت الامور أن سنن الطبيعة لا يتعلم ان اليد تغسل اليد والاصبع الاصبع وليكن فرحك بما تدخره لنفسك دون ماتدخره لغيرك. يعنى بالمدخر لنفسه العلم والحكمة والمدخر لغيره المال والكرم يحمل ثلاثة عناقيد عنقود الالتذاذ وعنقود الشكر وعنقود الشيم خير أمور العالم الحسى أوساطها وخير أمور العالم

أراد كون كفرهم الذى هو ضد الهدى وقال تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين *

(قال ابو محمد) هذا غاية البيان فى انه تعالى لم يشأ هدى الكفار لكن حق قوله بانهم لابد من ان يكفروا فيكونوا من اهل جهنم وقال تعالى * من يشأ الله يضلله ومن لم يشأ يجعله على صراط مستقيم * فاخبر تعالى انه شاء ان يضل من اضله وشاء ان يهدى من جعله على صراط مستقيم وهم بلاشك غير الذين لم يجعلهم على صراط مستقيم واراد فتنتهم وان لا يطهر قلوبهم وان يكونوا من اصحاب النار نعوذ بالله من ذلك وقال تعالى حاكيا عن ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه قال * لئن لم يهدني ربى لأكونن من القوم الضالين * فشهد الخليل عليه السلام ان من لم يهده الله تعالى ضل وصح ان من ضل فلم يهده الله عزوجل ومن لم يهده الله وهو قادر على هداه فقد اراد ضلاله واضلاله ولم يرد هداه وقال تعالى. ولو شاء الله ما اشركوا . فصح يقينا لا اشكال فيه ان الله تعالى شاء ان يشركوا اذ نص على انه لو شاء ان لا يشركوا ما اشركوا وقال تعالى. يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه * وهذا نص على انه تعالى شاء ان يفعلوه اذ أخبر انه لو شاء ان لا يفعلوه ما فعلوه وقال تعالى . وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه * فنص تعالى على انه لو لم يشا ان يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ما اوحوه ولو شاء ان لا يلبس بعضهم دين بعض وان لا يقتلوا اولادهم ما لبس عليهم دينهم ولا اقتلوا اولادهم فصح ضرورة انه تعالى شاء ان يلبس دين من التبس دينه واراد كون قتلهم اولادهم وان يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا وقال تعالى . ولو شاء الله لسلطهم عليكم . فصح يقينا انه تعالى سلط ايدى الكفار على من قتلوه من الانبياء والصالحين وقال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء . فنص على انه يريد هدى قوم فيهديهم ويشرح صدورهم للايمان ويريد ضلال آخرين فيضلهم بان يضيق صدورهم ويحرجها فكانهم كلفوا الصعود الى السماء فيكفروا وقال تعالى . واصبر وما صبرك الا بالله. فنص تعالى على ان من صبر فصبره ليس الا بالله فصح ان من صبر فان الله أتاه الصبر ومن لم يصبر فان الله عزوجل لم يؤته الصبر وقال تعالى . ولا تنازعوا . فنهانا عن الاختلاف وقال تعالى . ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم . فنص تعالى انه خلقهم للاختلاف الا من رحم الله منهم ولو شاء لم يختلفوا فصح يقينا ان الله خلقهم لما نهاهم عنه من الاختلاف واراد كون الاختلاف منهم وقال عزوجل . تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شىء قدير * وقال تعالى * بعثنا عليكم عبادا لنا أولى باس شديد فجاسوا اخلال الديار وكان وعدا مفعولا . الى قوله تعالى . وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة . فنص تعالى على انه اغرى الكفار وسلب المؤمنين فى الملك وانه بعث اولئك الذين دخلوا المسجد ودخوله مسخط لله تعالى بلاشك فصح يقينا انه تعالى خلق كل ذلك واراد كونه وقال عزوجل . الم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه ان آتاه الله الملك . فهذا نص جلى على ان الله اتى ذلك الكافر فصح يقينا ان الله

تعالى

العقلى أفضلها وقيل ان وجود الشعر فى امة اليونان كان قبل الفلسفة وانما أبدعه أوميرس وثاليس كان بعده ثلاثمائة واثنين وثمانين سنة وأول فيلسوف كان منهم فى سنة تسعمائة واحدى وخمسين من وفاة موسى عليه السلام وهذا ما خبر به كورفس فى كتابه وذكر فرفوريوس أن ثاليس ظهر فى سنة ثلاث وعشرين ومائة من ملك بختنصر (حكم بقراط) واضع الطب الذى قال بفضله الاوائل والاواخر كان اكثر حكمته فى الطب وشهرته به فبلغ خبره بهمن ابن اسفنديار بن كشتاسف وكتب الى فيلاطس ملك قوة وهو بلد من بلاد اليونانيين يأمر بتوجيه بقراط اليه وأمر له بقناطير من الذهب فابى ذلك وتلكأ عن الخروج اليه ضنا بوطنه

تعالى فعل تمليكه وملكه على أهل الايمان ولا خلاف بين احد من الامة فى ان ذلك يسخط الله عزوجل ويغضبه ولا يرضاه وهو نفس الذي انكرته المعتزلة وشنعت به

(قال ابو محمد) ونسالهم عما مضت الدنيا عليه مذ كانت من اولها الى يومنا هذا من النصر النازل على ملوك اهل الشرك والملوك الجورة والظلمة والغلبة المعطاة لهم على من ناوأهم من اهل الاسلام واهل الفضل واحترام من ارادهم بالموت أو باضطراب الكلمة ويانى النصر لهم بوجوه الظفر الذى لاشك فى ان الله تعالى فاعله من أماتة اعدائهم من اهل الفضل وتاييدهم عليهم وهذا مالامخلص لهم فى ان الله تعالى اراد كونه وقال عز وجل . ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين . فنص تعالى نصا جليا لايحتمل تاويلا على انه كره ان يخرجوا فى الجهاد الذي افترض عليهم الخروج فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كره تعالى كون ما اراد ونص على انه ثبطهم عن الخروج فى الجهاد ثم عذبهم على التثبيط الذى اخبر تعالى انه فعله ونص تعالى على انه قال اقعدوا مع القاعدين وهذا يقين ليس بامر الزام لان الله تعالى لم يامرهم بالقعود عن الجهاد مع رسوله صلى الله عليه وسلم بل لعنهم وسخط عليهم اذ قعدوا فاذ لاشك فى هذا فهو ضرروة امر تكوين فصح ان الله تعالى خلق قعودهم المغضب له الموجب لسخطه واذا نص تعالى على امر فلا اعتراض لاحد عليه وقال عز وجل . فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون . وهذا نص جلى على انه عز وجل اراد ان يموتوا وهم كافرون وانه تعالى اراد كفرهم والقاف من تزهق مفتوحة بلا خلاف من احد من القراء معطوفة على ما اراد الله عزوجل من ان يعذبهم بها فى الدنيا والواو تدخل المعطوف فى حكم المعطوف عليه بلا خلاف من احد فى اللغة التى بها خاطبنا الله تعالى

(قال أبو محمد) فان قال قائل فان الله عزوجل قال فى الذين قعدوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . لو خرجوا فيكم مازادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم . فلهذا ثبطهم قلنا لا عليكم اكانوا مامورين بالخروج معه عليه السلام متوعدين بالنار ان قعدوا لغير عذر ام كانوا غير مامورين بذلك فاذ لاشك فى انهم كانوا مامورين فقد ثبطهم الله عز وجل عما أمرهم به وعذبهم على ذلك وخلق قعودهم عما أمرهم به ثم نقول لهم اكان تعالى قادرا على ان يكف عن اهل الاسلام خبالهم وفتنتهم لو خرجوا معهم أم لا فان قالوا لم يكن قادرا على ذلك عجزوا ربهم تعالى وان قالوا انه تعالى كان قادرا على ذلك رجعوا الى الحق واقروا ان الله تعالى ثبطهم وكره كون ما افترض عليهم وخلق قعودهم الذي عذبهم عليه ولامهم عليه كما شاء لامعقب لحكمه وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) فاذ جاءت النصوص كما ذكرنا متظاهرة لاتحتمل تأويلا بانه عز وجل اراد ضلال من ضل وشاء كفر من كفر فقد علمنا ضرورة ان كلام الله تعالى لا يتعارض فلما اخبر عز وجل انه لا يرضى لعباده الكفر فبالضرورة علمنا ان الذى نفى عزوجل هو غير الذى أثبت فاذ لاشك فى ذلك فالذي نفى تعالى هو الرضى بالكفر والذى أثبت هو الارادة لكونه والمشيئة لوجوده وهما معنيان متغايران بنص القرآن وحكم اللغة فان أبت المعتزلة من قبول كلام ربهم وكلام نبيهم صلى الله عليه وسلم وكلام ابراهيم ويوسف وشعيب وسائر الانبياء صلى الله عليهم وسلم وأبت

وقومه وكان لا ياخذ على المعالجة اجرة من الفقراء وأواسط الناس وقد شرط أن ياخذ من الاغنياء أحد ثلاثة أشياء طوقا أو اكليلا أو سوارا من ذهب فمن حكمه ان قال استهينوا بالموت فان مرارته فى خوفه وقيل له اى العيش خير قال الامن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف وقال الحيطان والبروج لاتحفظ المدن ولكن يحفظها آراء الرجال وتدبير الحكماء وقال يداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة متطلعة الى هوائها ونازعة الى غذائها ولما حضرته الوفاة قال خذوا جامع العلم منى من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته طال عمره وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع وقال لو خلق الانسان من

أيضا من قبول اللغة وماأوجبته البراهين الضرورية مماشهدت به الحواس والعقول من الله تعالى لو لم يرد كون ماهوموجودكائن لمنع منه وقدقال تعالى * الذين كذبواشعيبا كانواهم الخاسرين * فشهد الله تعالى بتكذيبهم واستعاضته من ذلك باصول المنانية ان الحكيم لايريد كون الظلم ولايخلقه فلبئس ماشروا به أنفسهم لوكانوا يعلمون ولقد لجأ بعضهم الى ان قال ان الله تعالى فى هذه الا يات معنى ومرادا لانعلمه

(قال أبو محمد) وهذا تجاهل ظاهر وراجع لنا عليهم سواء بسواء فى خلق الله تعالى أفعال عباده ثم يعذبهم عليها ولافرق فكيف وهذا كله لامعنى له بل الا يات كلها حق على ظاهرها لايحل صرفها عنه لان الله تعالى قال * افلايتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها * وقال تعالى * قرآنا عربيا * وقال تعالى * تبيانا لكل شىء . وقال تعالى . اولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . وقال تعالى . وماأرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم . فاخبر تعالى ان القرآن تبيان لكل شىء فقالت المعتزلة انه لايفهمه أحد وانه ليس بيانا نعوذ بالله من مخالفة الله عز وجل ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) ولافرق بين ماتلونا من الآيات فى أن الله تعالى شاء كون الكفر والضلال وبين قوله تعالى. قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير . وقوله تعالى . ان الله يفعل مايشاء . وقال تعالى . يجتبى من رسله من يشاء * وقوله * يرزق من يشاء . وقوله تعالى يختص برحمته من يشاء . وقوله تعالى . فعال لما يريد . فهذا العموم جامع لمعانى هذه الآيات ونص القرآن واجماع لامة على أن الله عز وجل حكم بان من حلف فقال ان شاء الله اوالا ان يشاء الله على أى شىء حلف فانه ان فعل ماحلف عليه أن لا يفعله فلاحنث عليه ولا كفارة تلزمه لان الله تعالى لوشاء لانفذه وقال عز وجل . ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله .

(قال ابو محمد) فان اعترضوا بقول الله عز وجل وقالوا * لوشاء الرحمن ماعبدناهم مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون * فلاحجة لهم فى هذه الآية لان الله عز وجل لايتناقض كلامه بل يصدق بعضه بعضا وقد اخبر تعالى انه لوشاء ان يؤ منوا لآمنوا وانه لولم يشاء ان يشركوا ما اشركوا وانه شاء اضلالهم وانه لايريد ان يطهر قلوبهم فمن المحال الممتنع ان يكذب الله عز وجل قوله الذى أخبر به وصدقه فاذ لاشك فى هذا فان في الآية التى ذكروا بيان نقض اعتراضهم بها بأوضح برهان وهو أنه لم يقل تعالى انهم كذبوا فى قولهم * لوشاء الرحمن ما عبدناهم * فكان يكون لهم حينئذ فى الآية متعلق وانما اخبر تعالى انهم قالوا ذلك بغير علم عندهم لكن تخرصا ليس فى هذه الآية معنى غير هذا اصلا وهذا حق وهو قولنا ان الله تعالى لم ينكر قط فيها ولافى غيرها معنى قولهم لوشاء الرحمن ماعبدناهم بل صدقه فى الايات الاخر وانما انكر عز وجل ان قالوا ذلك بغير علم لكن بالتخرص وقد اكذب الله عز وجل من قال الحق الذى لاحق احق منه اذقاله غير معتقد له قال عز وجل اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون *

(قال ابو محمد) فلما قالوا أصدق الكلام وهو الشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بانه رسول غير معتقدين لذلك سماهم الله تعالى كاذبين وهكذا فعل عز وجل فى قولهم لوشاء الرحمن ماعبدناهم

مالهم

طبيعة واحدة لما مرض لانه لم يكن هناك شىء يضادها فيمرض ودخل على عليل فقال له انا وانت والعلة ثلاثة فان اعنتنى عليها بالقبول لما تسمع منى صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلبا وسئل مابال الانسان اثور ما يكون بدنه اذا شرب الدواء قال مثل ذلك مثل البيت أكثر مايكون غبارا اذا كنس وحديث ابن الملك اذ عشق جارية من حظايا أبيه فنهك بطنه واشتدت علته فاحضر بقراط فجس نبضه ونظر الى تفسرته فلم يرأثر علة فذاكره حديث العشق فرآه يهش لذلك ويطرب فاستخبر الحال من خاصته فلم يكن عندها خبر وقالت ماخرج قط من الدار فقال بقراط للملك مر رئيس

مالهم بذلك من علم لما قالوا هذا الكلام الذى هو الحق غير عالمين بصحته انكر تعالى عليهم ان يقولوه متخرصين و برهان هذا قول الله تعالى أثر هذه الاية نفسها * ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة و انا على آثارهم مهتدون . فبين تعالى انهم قالوا ذلك بغير علم من كتاب أتاهم وان الذين قالوا معتقدين له انما هو انهم اهتدوا باتباع آثار آبائهم فهذا هو الذى عقدوا عليه وهذا الذى انكر تعالى عليهم لا قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم فبطل ان يكون لهم فى الاية متعلق اصلا و الحمد لله رب العالمين فان اعترضوا بقول الله عز وجل . وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين .

(قال ابو محمد) فان سكتوا ههنا لم يهنهم التمويه وقلنا لهم صلوا القراءة وأتموا معنى الآية فان بعد قوله تعالى فهل على الرسل الى البلاغ المبين متصلا به . ولقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليهم الضلالة .

(قال ابو محمد) فآخر هذه الآية يبين اولها وذلك ان الله تعالى ايضا لم يكذبهم فيما قالوه من ذلك بل حكي عز وجل انهم قالوا . لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه شيء . ولم يكذبهم فى ذلك اصلا بل حكى هذا القول عنهم كما حكي تعالى ايضا قولهم . ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله . ولو انكر عز وجل قولهم ذلك لا كذبهم فاذ لم يكذبهم فلقد صدقهم فى ذلك والحمد لله رب العالمين

(قال أبو محمد) فان اعترضوا بقول الله عز وجل . سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا .

(قال ابو محمد) انما تلونا جميع الآيات على نسقها فى القرآن واتصالها خوف ان يعترضوا بالآية ويسكتوا عند قوله يخرصون فكثيرا ما احتجنا الى بيان مثل هذا من الاقتصار على بعض الآية دون بعضها من تمويه من لا يتقي الله عز وجل

(قال ابو محمد) وهذه الآية من أعظم حجة علي القدرية لانه تعالى لم ينكر عليهم قولهم . ولو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء . ولو انكره لكذبهم فيه وانما انكر تعالى قولهم ذلك بغير علم وان وافقوا الصدق والحق كما قدمنا آنفا وقد بين تعالى انه انما انكر عليهم ذلك بقوله عز وجل فى الآية نفسها ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون ثم لم يدعنا تعالى فى لبس من ذلك بل واتبع ذلك نسقا واحدا بان قال . فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين .نصدقهم عز وجل فى قولهم انه لو شاء ما اشركوا ولا آباؤهم ولا حرموا ما حرموا واخبر تعالى انه لو شاء لهداهم فاهتدوا و بين تعالى ان له الحجة عليهم فى ذلك ولا حجة لاحد عليه تعالى وانكر عز وجل ان اخرجوا ذلك فخرج العذر لأنفسهم اوفخرج الاحتجاج علي الرسل عليهم السلام كما تفعل المعتزلة ثم بين تعالى انه انما انكر ايضا تكذيبهم رسله

الخصيان بطاعتى فامره بذلك فقال اخرج على النساء فخرجن وبقراط واضع أصبعه علي نبض الفتى فلما خرجت الحظية اضطرب عرقه وطار قلبه وحار طبعه فعلم بقراط انها المعينة لهواه فسار الى الملك فقال ابن الملك قد عشق لمن الوصول اليها اصعب قال الملك ومن ذاك قال هو يحب حليلتى قال انزل عنها ولك عنها بدل فتحازن بقراط وجم وقال هل رأيت أحدا كلف أحد اطلاق أمر أنه لاسيا الملك فى عدله ونصفته يامرني بمفارقة حليلتى ومفارقتها مفارقة روحى قال الملك انى وثرولدى عليك وأعوضك من هو احسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد بالسيف قال بقراط ان الملك لايسمى عدلا حتى

بقوله تعالى كذلك كذب الذين من قبلهم بالذال المشددة بلا خلاف من القراء ودعواهم ان الله تعالى حرم ما ادعوا تحريمه وهم كاذبون بقوله تعالى * قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا. فوضح بكل ماذكرنا بطلان قول المعتزلة الجهال و بان صحة قولنا ان الله تعالى شاء كون كل مافى العالم من ايمان وشرك وهدى وضلال وان الله تعالى اراد كون ذلك كله وكيف يمكن ان ينكر تعالى قولهم لو شاء الله ما اشركنا وقد اخبرنا عز وجل بهذا نصا فى قوله فى السورة نفسها * اتبع ما اوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين ولو شاء الله ما اشركوا * فلاح يقينا صدق ما قلنا من انه تعالى لم يكذبهم فى قولهم لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء وهذا مثل ما ذكره الله تعالى من قولهم * انطعم من لو يشاء الله اطعمه * فلم يورد الله عز وجل قولهم هذا تكذيبا بل صدقوا فى ذلك بلا شك ولو شاء الله لأطعم الفقراء والمجاويع وما ارى المعتزلة تنكر هذا وانما اورد الله تعالى قولهم هذا لاحتجاجهم به فى الامتناع من الصدقة واطعام الجائع وبهذا نفسه احتجت المعتزلة على ربها اذ قالت يكلفنا مالا يقدرنا عليه ثم يعذبنا بعد ذلك على ما اراد كونه منا فسلكوا مسلك القائلين لم كلفنا الله عز وجل اطعام هذا الجائع ولو اراد اطعامه لاطعمه

(قال ابو محمد) تبا لمن عارض أمر ربه تعالى واحتج عليه بل لله الحجة البالغة ولو شاء لأطعم من الزمنا اطعامه ولو شاء لهدى الكافرين فآمنوا ولكنه تعالى لم يرد ذلك بل أراد ان يعذب من لا يطعم المسكين ومن أضله من الكافرين لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وحسبنا الله ونعم الوكيل وقالت المعتزلة معنى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ولآمن من فى الارض وسائر الايات التى تلوتهم انما هو لو شاء عز وجل لاضطرهم الى الايمان فآمنوا مضطرين فكانوا لا يستحقون الجزاء بالجنة

(قال أبو محمد) وهذا تاويل جمعوا فيه بلايا جمة اولها انه قول بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو ساقط ويقال لهم ما صفة الايمان الضروري الذى لا يستحق عليه الثواب عندكم وما صفة الايمان غير الضروري الذى يستحق به الثواب عندكم فانهم لا يقدرون على فرق أصلا الا ان يقولوا هو مثل ما قال الله عز وجل اذ يقول تعالى * يوم ياتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا * ومثل قوله تعالى * ويقولون متى هذا الفتح ان كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون * ومثل حالة المحتضر عند المعاينة التى لا يقبل فيها ايمانه وكما قيل لفرعون * آلآن وقد عصيت قبل *

(قال أبو محمد) فيقال لهم كل هذه الآيات حق وقد شاهدت الملائكة تلك الآيات وتلك الاحوال ولم يبطل بذلك قبول ايمانهم فهلا على اصولكم صار ايمانهم ايمان اضطرار لا يستحقون عليه جزاء فى الجنة ام صار جزاؤهم عليه أفضل من جزاء كل مؤمن دونهم وهذا لا مخلص لهم منه اصلا ثم نقول لهم اخبرونا عن ايمان المؤمنين اذ صح عندهم صدق النبى بمشاهدة المعجزات من شق القمر واطعام النفر الكثير من الطعام اليسير ونبعان الماء الغزير من بين الاصابع وشق البحر واحياء الموتى واوضح كل ذلك بنقل التواتر الذى به صح ما كان قبلنا من الوقائع والملوك وغير ذلك مما يصير فيه من بلغه كمن شاهده ولا

فرق

ينصف من نفسه ما ينتصف من غيره أرأيت لو كانت المشيقة حظية الملك قال يابقراط عقلك أتم من معرفتك فنزل عنها لابنه وبريء الفتى وقال بقراط إن تاكل ما تستمرىء وما لا تستمرىء فانه يا كلك وقيل لبقراط لم ثقل الميت قال لانه كان اثنين احدهما خفيف رافع والآخر ثقيل واضع فلما انصرف أحدهما وهو الخفيف الرافع ثقل الثقيل الواضع وقال الجسد يعالج جملة على خمسة اضرب ما فى الرأس بالغرغرة وما فى المعدة بالقيء وما فى البدن باسهال البطن وما بين الجلدتين بالعرق وما فى العمق وداخل العروق بارسال الدم وقال الصفراء بيتها المرارة وسلطانها فى الكبد والبلغم بيته المعدة وسلطانه فى الصدر والسوداء بيتها

فرق فى صحة اليقين لكونه هل ايمانهم الا ايمان يقين قد صح عندهم وانه حق ولم يتخالجهم فيه شك فان علمهم به كعلمهم ان ثلاثة أكثر من اثنين وكعلمهم ماشاهدوه بحواسهم فى انه كله حق وعلموه ضرورة ام ايمانهم ذلك ليس يقينا مقطوعا بصحة ما آمنوا به عنده كقطعهم على صحة ما علموه بحواسهم ولا سبيل الى قسم ثالث فان قالوا بل هو الان يقين قد صح علمهم بانه حق لا مدخل للشك فيه عندهم كتيقنهم صحة ماعلموه بمشاهدة حواسهم قلنا لهم نعم هذا هو الايمان الاضطرارى بعينه والا ففرقوا وهذا الذى موهتم بانه لا يستحق عليه من الجزاء كالذى يستحق على غيره وبكل تمويهكم بحمد الله تعالى اذ قلتم ان معنى قوله تعالى * لجمعهم على الهدى ولآمن من فى الارض * انه كان يضطرهم الى الايمان فان قالوا بل ليس ايمان المؤمنين هكذا ولاعلمهم بصحة التوحيد والنبوة على يقين وضرورة قيل لهم قد اوجبتم ان المؤمنين على شك فى ايمانهم وعلى عدم يقين فى اعتقادهم وليس هذا ايمانا بل كفر مجرد ممن كان دينه هكذا فان كان هذا صفة ايمان المعتزلة فهم اعلم بانفسهم واما نحن فايماننا ولله الحمد ايمان ضرورى لامدخل للشك فيه كعلمنا ان ثلاثة أكثر من اثنين وان كل بناء فبنى وكل من اتي بمعجزة فمحق فى نبوته ولا نبالى إن كان ابتداء علمنا استدلالا ام مدركا بالحواس اذ كانت نتيجة كل ذلك سواء فى تيقن صحة الشيء المعتقد وبالله تعالى التوفيق ثم نسالهم عن الذين يرون بعض آيات ربنا يوم لا ينفع نفسا ايمانها اكان الله تعالى قادرا على ان ينفعهم بذلك الايمان ويجزيهم عليه جزاءه لسائر المؤمنين ام هو تعالى غير قادر على ذلك فان قالوا بل هو قادر على ذلك رجعوا الى الحق والتسليم لله عزوجل وانه تعالى منع من شاء واعطى من شاء وانه تعالى ابطل ايمان بعض من آمن عند رؤية آية من آياته ولم يبطل ايمان من آمن عند رؤية آية اخرى وكلها سواء فى باب الاعجاز وهذا هو المحاباة والمحض والجور البين عند المعتزلة فان عجزوا ربهم تعالى عن ذلك احالوا او كفروا وجعلوه تعالى مضطرا مطبوعا محكوما عليه تعالى الله عن ذلك (قال ابو محمد) وقد قال عزوجل * فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين * فهؤلاء قوم يونس لما رأوا العذاب آمنوا فقبل الله عزوجل منهم ايمانهم وآمن فرعون وسائر الامم المعذبة لما رأوا العذاب فلم يقبل الله عز وجل منهم ففعل الله تعالى ماشاء لامعقب لحكمه فظهر فساد قولهم فى ان الايمان الاضطرارى لايستحق عليه جزاء جملة وصح ان الله تعالى يقبل ايمان من شاء ولا يقبل ايمان من شاء ولا مزيد ثم يقال لهم وبالله تعالى التوفيق هبكم لو صح لكم هذا الباطل الغث الذى هديتم به من ان معنى قوله تعالى * لجمعهم على الهدى انما هو لاضطرهم الى الايمان فاخبرونا لو كان ذلك فاى ضرر كان يكون فى ذلك على الناس والجن بل كان يكون فى ذلك الخير كله وماذا ضر الاطفال اذ لم يكن لهم ايمان اختيارى كما تزعمون وقد حصلوا على أفضل المواهب من السلامة من النار بالجملة ومن هول المطلع وصعوبة الحساب وفظاعة تلك المواقف كلها ودخل الجنة جميعهم بسلام آمنين منعمين لم يروا فزعا رآه غيرهم وأيضا فان دعواهم هذه التى كذبوا فيها على الله عزوجل اذ وصفوا عن مراد الله تعالى مالم يقله تعالى فقد خالفوا فيها القرآن واللغة لان اسم الهدى والايمان لايقعان البتة على معنى غير المعنى المعهود فى القرآن واللغة وهما طاعات الله عزوجل والعمل بها والقول بها والتصديق بجميعها الموجب كل ذلك بنص القرآن رضى الله عزوجل وجنته ولا يسمى الجماد والحيوان غير النـاطق ولا المجنون ولا الطفل

الطحال وسلطانها فى القلب والدم بيته القلب وسلطانه فى الرأس وقال لتلميذ له ليكن أفضـل وسيلتك الى الناس محبتك لهم والتفقد لامورهم ومعرفة حالهم واصطناع المعروف اليهم ويحكى عن بقراط قوله المعروف العمر قصير والصناعة طويلة والزمان جديد والتجربة خطر والقضـاء عسر وقال لتلاميذه اقسموا الليل والنهار ثلاثة أقسام فاطلبوا في القسم الاول العقل الفاضل واعملوا فى القسم الثاني بما أحرزتم من ذلك العقل ثم عاملوا فى القسم الثالث من لاعقل له وانهزموا من الشر ما استطعتم وكان له ابن لايقبـل الادب فقالت امرأته أن إبنك هو منك فادبه فقال لها هو مني طبعا ومن غيري نفسا فما اصنع به وقال ماكان كثيرا فهو مضادا للطبيعة فليكن الاطعمة والاشربة والنوم والجماعة والتعب قصدا وقال ان صحبة البدن اذا

مؤمنا ولا مهتديا الا على معنى جرى احكام الايمان على المجنون والطفل خاصة وبرهان ما قلنا قول الله تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين . فصح أن الهدى الذى لو أراد الله تعالى جمع الناس عليه هو المنقذ من النار والذي لا يلاجهنم من أهله وكذلك قوله تعالى . وما كان لنفس ان تؤمن إلا باذن الله . فصح ان الايمان جملة شيء واحد وهو المنقذ من النار الموجب للجنة وأيضا فان الله عز وجل يقول * من يهدى الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا . ويقول . انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء . ويقول تعالى . ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء . فهذه الآيات مبنية على ان الهدى المذكور هو الاختيارى عند المعتزلة لانه تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم . ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين . وقال تعالى . لا اكراه فى الدين . فصح يقينا ان الله تعالى لم يرد قط بقوله لجمعهم على الهدى ولآمن من فى الارض ايمانا فيه اكراه فبطل هذرهم والحمد لله رب العالمين فان قالوا لنا فاذا أراد الله تعالى كون الكفر والضلال فاريدوا ما أراد الله تعالى من ذلك قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق ليس لنا ان نفعل مالم نؤمر به او لا يحل لنا ان نريد مالم يامرنا الله تعالى بارادته وانما علينا ما امرنا به فنكره ما أمرنا بكراهيته ونحب ما أمرنا بمحبته ونريد ما أمرنا بارادته ثم نسالهم هل أراد الله تعالى امراض النبى ﷺ اذ أمرضه وموته صلى الله عليه وسلم اذ أماته وموت ابراهيم ابنه اذ أماته أو لم يرد الله شيئا من ذلك فلا بد من ان الله تعالى أراد كون كل ذلك فيلزم ان يريدوا موت النبي صلى الله عليه وسلم ومرضه وموت ابنه ابراهيم لان الله تعالى أراد كل ذلك فان اجابوا الى ذلك ألحدوا بلا خلاف وعصوا الله ورسوله وان أبوا من ذلك بطل ما أرادوا الزامنا اياه الا انه لازم لهم على أصولهم الفاسدة لا لنا لانهم صححوا هذه المسالة ونحن لم نصححها ومن صحح شيئا لزمه ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق لسنا ننكر فى حال ما يباح لنا فيه ارادة الكفر من بعض الناس فقد أثنى الله عز وجل على ابن آدم فى قوله لاخيه . انى اريد ان تبوء باثمى واثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزآء الظالمين . فهذا ابن آدم الفاضل قد أراد ان يكون أخوه من أصحاب النار وان يبوء باثمه مع اثم نفسه وقد صوب الله عز وجل قول موسى وهارون عليهما السلام . ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم . قال قد اجيبت دعوتكما . فهذا موسى وهارون عليهما السلام قد ارادا وأحبا ان لا يؤمن فرعون وان يموت كافرا الى النار وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دعا على عتبة بن ابي وقاص ان يموت كافرا الى النار فكان كذلك

(قال ابو محمد) واصدق الله عز وجل أنا عن نفسى التى هو اعلم بما فيها منى ان الله تعالى يعلم أني لاسر بموت عقبة بن ابي معيط كافرا وكذلك أمر ابى لهب لاذاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتتم كلمة العذاب عليهما وان المرء ليسر بموت من استبلغ فى اذاه ظلما بان يموت على اقبح طريقة وقد روينا هذا عن بعض الصالحين فى بعض الظلمة ولا حرج على من ائتسى بمحمد وبموسي وبافضل ابنى آدم صلى الله عليه وسلم وليت شعرى أى فرق بين لعن الكافر والظالم والدعاء عليه بالعذاب فى النار وبين الدعاء عليه بان يموت غير متوب عليه والمسرة بكلا الامرين وحسبنا الله ونعم الوكيل وقال عز وجل * ولو شاء الله

كان فى الغاية كان أشد خطرا وقال إن الطب هو حفظ الصحة بما يوافق الاصحاء ودفع المرض بما يضاده وقال من سقى السم من الاطباء والقى الجنين ومنع الحبل واجترأ على المريض فليس من شيعتى وله ايمان معروفة على هذه الشرائط وكتبه كثيرة فى الطب وقال فى الطبيعة انها القوة التى تدبر جسم الانسان فتصوره من النطفة الى تمام الخلقة خدمة للنفس فى اتمام هيكلها ولا يزال هو المدبر له غذاه من الثدى وبعده بما به قوامه من الاغذية ولها ثلاث قوى المولدة والمربية والحافظة ويخدم الثلاث أربع قوى الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة (حكم ديمقراطيس) وكان من الحكماء المعتبرين في زمان بهمن بن اسفنديار وهو وبقراط كانا فى زمان واحد قبل أفلاطون وله آراء فى الفلسفة وخصوصا فى مبادىء الكون والفساد وكان أرطوطاليس يؤثر

لسلطهم عليكم * وقال تعالى * وما النصر الا من عند الله * وقال تعالى * اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف ايديهم عنكم وقال تعالى * هو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة * فصح يقينا ان الله تعالى سلط الكفار على من سلطهم عليهم من الانبياء وعلى اهل بئر معونة ويوم احد ونصرهم املاء لهم وابتلاء للمؤمنين والا فيقال لمن انكر هذا اتراه تعالى كان عاجزا عن منعهم فان قالوا نعم كفروا وناقضوا لان الله تعالى قد نص على انه كف ايدي الكفار عن المؤمنين اذ شاء وسلط ايديهم على المؤمنين ولم يكفها اذ شاء

(قال ابو محمد) وقال بعض شيوخ المعتزلة ان اسلام الله تعالى من أسلم من الانبياء الى اعدائه فقتلوهم وجرحوهم واسلام من اسلم من الصبيان الى اعدائه يحضونهم ويغلبونهم على انفسهم بركوب الفاحشة اذا كان ليعوضهم أفضل الثواب فليس خذلانا فقلنا دعونا من لفظة الخذلان فلسنا نجيزها الان الله تعالى لم يذكرها فى هذا الباب لكننا نقول لكم اذا كان قتل الانبياء عليهم الصلاة والسلام اعظم مايكون من الكفر والظلم وكان الله عز وجل بقولكم قد اسلم انبياءه صلوات الله عليهم الى اعدائهم ليعوضهم اجل عوض فقد اقررتم بزعمكم أن الله عز وجل اراد اسلامهم الى اعدائهم واذا أراد الله عز وجل ذلك باقراركم فقد أراد باقراركم كون اعظم مايكون من الكفر وشاء وقوع اعظم الضلال ورضى ذلك لانبيائه عليهم السلام على الوجه الذى تقولون كاينا ما كان وهذا مالا مخلص لهم منه وأيضا فنقول لهذا القائل إذا كان اسلام الانبياء الى اعداء الله عز وجل يقتلونهم ليس ظلما وعبثا على توجيهكم المناقض لاصولكم فى انه أدى الى أجزل الجزاء فليس خذلانا وكذلك اسلام المسلم الى عدوه يحضه ويرتكب فيه الفاحشة فهو على اصولكم خير وعدل فيلزمكم ان تتمنوا ذلك وان تسروا بما نيل من الانبياء عليهم السلام فى ذلك وان تدعوا فيه الى الله تعالى وهذا خلاف قولكم وخلاف اجماع اهل الاسلام وهذا مالا مخلص لهم منه ولا يلزمنا نحن ذلك لاننا لا نسر الا بما أمرنا الله تعالى بالسرور به ولا نتمنى الا ماقد اباح لنا تعالى ان ندعوه فيه وكل فعله عز وجل وان كان عدلا منه وخيرا فقد افترض تعالى علينا ان تنكر من ذلك ماسماه من غيره ظلما وان نبرأ منه ولا نتمناه لمسلم فانما نتبع ماجاءت به النصوص فقط وبالله تعالى التوفيق وقال قائل من المعتزلة اذا حملتم قوله تعالى * والذين لايؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى * فمايدريكم لعله عليكم عمى

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان الله تعالى قد نص على انه لايكون عمي الا على الذين لا يؤمنون ونحن مؤمنون ولله تعالى الحمد فقد أمنا ذلك وقد ذم الله تعالى قوما حملوا القرآن على غير ظاهره فقال تعالى * يحرفون الكلم عن مواضعه * فهذه صفتكم على الحقيقة الموجودة فيكم حسا فمن حمل القرآن على ماخوطب به من اللغة العربية واتبع بيان الرسول صلى الله عليه وسلم فالقرآن له هدي وشفاء ومن بدل كلمه عن مواضعه وادعى فيه دعاوي برأيه وكهانات بطنه واسرارا واعرض عن بيان الرسول صلى الله عليه وسلم المبين عن الله تعالى بامره ومال الى قول المنانية فهو الذى عليه القرآن عمى وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ومن نوادر المعتزلة وعظيم جهلها وحماقتها واقدامها انهم قالوا ان الشهادة

قوله على قول أستاذه افلاطون الالهى وما أنصف قال ديمقراطيس ان الجمال الظاهر يشبه به المصورون بالاصباغ ولكن الجمال الباطن لايشبه به الا من هو له بالحقيقة وهو مخترعه ومنشأه وقال ليس ينبغى أن تعد نفسك من الناس مادام الغيظ يفسد رأيك ويتبع شهوتك وقال ليس ينبغي أن تمتحن الناس فى وقت ذلهم بل فى وقت عزتهم وتملكهم وكما أن الكير يمتحن به الذهب كذلك الملك يمتحن به الانسان فيتبين خيره من شره وقال ينبغى أن تأخذ فى العلوم بعد أن تنق نفسك عن العيوب وتعودها الفضائل فانك اذ لم تفعل هذا لم تنتفع بشيء من العلوم وقال من أعطى أخاه المال فقد أعطاه خزائنه ومن أعطاه علمه ونصيحته فقد وهب له نفسه وقال لاينبغى أن تعد النفع الذى فيه الضرر العظيم نفعا ولا الضرر

التي غبط الله تعالى بها الشهداء واوجب لهم بها افضل الجزاء وتمناها رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وفضلاء المسلمين ليس هى قتل الكافر للمؤمن ولا قتل الظالم للمسلم البرئ

(قال ابو محمد) وجنون المعتزلة وجهلهم وإهذارهم ووساوسهم لاقياس عليها وحق لمن استغنى عن الله عزوجل وقال انه يقدر على مالا يقدر عليه ربه تعالى وقال ان عقله كعقول الانبياء عليهم السلام سواء بسواء ان يخذله الله عزوجل مثل هذا الخذلان نعوذ بالله من خذلانه ونسئله العصمة فلا عاصم سواه أما سمعوا قول الله عز وجل * ان اشتري من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقا *وقوله تعالى* ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء* ثم انهم فسروا الشهادة بقولهم فقالوا انما الشهادة الصبر على الجراح المؤدية الى القتل والعزم على التقدم الى الحرب

(قال ابو محمد) وفى هذا الكلام من الجنون ثلاثة اضرب احدها انه كلام مبتدع لم يقبله احد قبل متاخريهم المنسلخين من الخير جملة والثانى انه لو وضح ما ذكروا لكانت الشهادة في الحياة لا بالموت لان الصبر على الجراح والعزم على التقدم لا يكونان الا في الحياة والشهادة فى سبيل الله لا تكون بنص القرآن وصحيح الاخبار واجماع الامة الا بالقتل والثالث ان الذى منه هربوا فيه وقعوا بعينه وهو ان الشهاده التى تمنى المسلمون بها ان كانت العزم على التقدم الى الحرب والصبر على الجراح المودية الى القتل فقد حصل تمنى قتل الكفار المسلمين وتمنى ان يجرحوا المسلمين جراحا تؤدى الى القتل وتمنى ثبات الكفار على الكفر حتى يجرحوا اهل الاسلام جراحا قاتلة وحرب الكفار للمسلمين وثباتهم لهم وجراحهم اياهم معاص وكفر بلاشك فقد حصلوا على تمنى المعاصى وهو الذى به شنعوا وبالله تعالى التوفيق فبطل كل ماشنعت به المعتزلة والحمد لله رب العالمين

(الكلام فى اللطف والاصلح)

(قال ابو محمد) وضل جمهور المعتزلة فى فصل من القدر ضلالا بعيدا فقالوا باجمعهم حاشا ضرار بن عمرو وحفصا الفرد وبشر بن المعتمر ويسيرا ممن اتبعهم انه ليس عند الله تعالى شيء اصلح مما اعطاه جميع الناس كافرهم ومؤمنهم ولا عنده هدى اهدى مما قد هدى به الكافر والمؤمن هدا مستويا وانه ليس يقدر على شيء هو اصلح مما فعل بالكفار والمؤمنين ثم اختلف هؤلاء فقال جمهورهم انه تعالى قادر على امثال مافعل من الصلاح بلا نهاية وقال الاقل منهم وهم عباد ومن وافقه هذا باطل لانه لايجوز ان يترك الله تعالى شيئا يقدر عليه من الصلاح من اجل فعله لصلاح ما وحجتهم فى هذا الكفر الذى أتوا به انه لو كان عنده أصلح أو أفضل مما فعل بالناس ومنعهم اياه لكان بخيلا ظالما لهم ولو أعطى شيئا من فضله بعض الناس دون بعض لكان محابيا ظالما والمحاباة جور ولو كان عنده مايؤمن به الكفار اذا اعطاهم اياه ثم منعهم اياه لكان ظالما لهم غاية الظلم قالوا وقد علمنا ان انسانا لو ملك اموالا عظيمة تفضل عنه ولا يحتاج اليها فقصده جار فقير له تحل له الصدقة فساله درهما يحيى به نفسه وهو يعلم فقره اليه ويعلم انه يتدارك به رمقه فمنعه لامعنى فانه بخيل قالوا فلو علم انه اذا أعطاه الدرهم سهلت عليه افعال كلفه اياها فمنعه من ذلك لكان بخيلا ظالما فلو علم انه لا يصل الى

الذي فيه النفع العظيم ضررا ولا الحياة التى لا تحمد أن تعد حياة وقال مثل من قنع بالاسم كمثل من قنع عن الطعام بالرائحة وقال عالم معاند خير من جاهل منصف وقال ثمرة العزة التواني وثمرة التوانى الشقاء وثمرة الشقاء ظهور البطالة وثمرة البطالة السفه والعنت والندامة والحزن وقال يجب على الانسان أن يطهر قلبه من المكر والخديعة كما يطهر بدنه من أنواع الخبث وقال لا تطمع أحدا أن يطا عقبك اليوم فيطاؤك غدا وقال لا تكن حلوا جدا لئلا تبلغ ولا مرا جدا لئلا تلفظ وقال ذنب الكلب يكسب له الطعام وفمه يكسب الضرب وكان بأثينية نقاش غير حاذق فاتى ديمقراطيس وقال جصص بيتك فاصوره قال صوره أولا حتى أجصصه وقال مثل العلم مع من لا يقبل وان قبل لايعلم كمثل دواء مع سقيم وهو لايداوى به وقيل له

ما كلفه الا بذلك الدرهم فمنعه لكان بخيلا ظالما سفيها فهذا كل مااحتجوا به لاحجة لهم غير هذه البتة وذهب ضرار بن عمرو وحفص الفرد وبشر بن المعتمر ومن وافقهم وهم قليل منهم الي ان عندالله عزوجل الطافا كثيرة لانهاية لها لو اعطاها الكفار لآمنوا ايمانا اختياريا يستحقون به الثواب بالجنة وقد أشار الى نحو هذا ولم يحققه ابو علي الجبائي وابنه ابو هاشم وكان بشر بن المعتمر يكفر من قال بالاصلح والمعتزلة اليوم تدعي ان بشرا تاب عن القول باللطف ورجع الى القول بالاصلح

(قال ابو محمد) وحجة هؤلاء انه تعالى قد فعل بهم مايؤمنون عنده لو شاؤا فليس لهم عليه غير ذلك ولا يلزمه اكثر من ذلك فعارضهم اصحاب الاصلح بان قالوا ان الاختيار هو مايمكن فعله ويمكن تركه فلو كان الكفار عند اتيان الله تعالى بتلك الالطاف يختارون الايمان لامكن ان يفعلوه وان لا يفعلوه ايضا فعادت الحال الى ماهي عليه الان يقولوا أنهم كانوا يؤمنون ولا بد فهذا اضطرار من الله تعالى لهم الى الايمان لا اختيار قالو ونحن لا ننكر هذا بل الله تعالى قادر علي ان يضطرهم الى الايمان كما قال تعالى * يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل * قالوا فالذي فعل تعالى بهم أفضل وأصلح

-﴿ قال ابو محمد ﴾- هذا الازم لمن لم يقل ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى لزوما لا ينفكون عنه وأما نحن فلا يلزمنا وانما سألناهم هل الله تعالى قادر على ان ياتي الكفار بالطاف يكون منهم الايمان عندها باختيار ولا بد ويثيبهم علي ذلك أتم ثواب يثيبه عبدا من عباده أم لا فقالوا لا

(قال ابو محمد) كأن أصحاب الأصلح غيب عن العالم أو كأنهم اذا حضروا فيه سلبت عقولهم وطمست حواسهم وصدق الله فقد نبه على مثل هذا اذ يقول تعالى * لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم آذان لا يسمعون بها * أترى هؤلاء القوم ماشاهدوا أن الله عزوجل منع الاموال قوما واعطاها آخرين ونبأ قوما وأرسلهم الى عباده وخلق قوما آخرين في أقاصي أرض الزنج يعبدون الاوثان وأمات قومامن أوليائه ومن أعدائه عطشا وعنده مجادح السموات وسقى آخرين الماء العذب أما هذه محاباة ظاهرة فان قالوا ان كل مافعل من ذلك فهو أصلح بمن فعله به سألناهم عن أماتته تعالى الكفار وهم يصيرون الى النار وأعطائه تعالى قوما مالا ورياسة فبطروا وهلكوا وكانوا مع القلة والخمول صالحين وأفقر أقواما فسرقوا وقتلوا كانوا في حال الغنى صالحين وأصح أقواما وجمل صورهم فكان ذلك سببا لكون المعاصي منهم وتركوها إذ أسنوا وأمرض أقواما فتركوا الصلاة عمدا وضجروا وثربوا وتكلموا بما هو الكفر او قريب منه وكانوا في صحتهم شاكرين لله يصلون ويصومون أهذا الذي فعل الله بهم كان اصلح لهم فان قالوا نعم كابروا المحسوس وان قالوا لو عاشوا لزادوا قلنا لهم فاما كان أصلح لهم ان يخترمهم الله عز وجل قبل البلوغ أو أن يطيل اعمارهم في الكفر ويملكهم الجيوش فيهلكوا بها أرض الاسلام ويقوي اجسادهم واذهانهم فيضل بهم جماعة كما فعل لسعيد الفيومي اليهودي وأباريطا اليعقوبي النصراني والمحققين بالكلام من اليهود والنصارى والمجوس والمنانية والدهرية اما كان أصلح لهم ولمن ضل منهم ان يميتهم صغارا

(قال ابو محمد) فانقطعوا فلجأ بعضهم الى أن قال لعله قد سبق في علم الله تعالى أنه لو أماتهم صغارا لكفر خلق من المؤمنين

لا تنظر فغمض عينيه قيل له لا تسمع فسد اذنيه قيل له لا تتكلم وضع يده علي شفتيه قيل له لا تعلم قال لا أقدر انما أراد به أن البواطن لا تندرج تحت الاختيار فاشار الى ضرورة السر واختيار الظاهر ولما كان الانسان مضطر الحدوث كان معزول الولاية عن قلبه وهو بقلبه أكثر منه بسائر جوارحه فلهذا لم يستطع أن يتصرف في أصله لاستحالة أن يكون فاعل أصله ولهذا الكلام شرح آخر وهو انه أراد التميز بين العقل والحس فان الادراك العقلي لا يتصور الانفكاك عنه واذا حصل لن يتصور نسيانه بالاختيار والاعراض عنه بخلاف الادراك الحسي وهذا يدل على ان العقل ليس من جنس الحس ولا النفس من حيز البدن وقد قيل أن الاختيار في الانسان مركب من انفعالين أحدهما انفعال نقيصة والثاني انفعال تكامل وهو الى الانفعال

(قال أبو محمد) وفي هذا الجواب من السخافة وجوه جمة أولها انه دعوى بالدليل والثاني انهم لا ينفكون به مما الزمناهم ونقول لهم كان الله عز وجل قادرا على ان يميتهم ولا يوجب موتهم كفر احد فان قالوا لا عجزوا ربهم تعالى وان قالوا بل كان قادرا على ذلك ألزموا الجور والظلم على أصولهم ولابد من احد الامرين والثالث انه ما يسمع في العالم اسخف من قول من قال ان انسانا مؤمنا يكفر من أجل صغير مات فهذا أمر ما شوهد قط في العالم ولا توهم ولا يدخل في الامكان ولا في العقل وكم طفل يموت كل يوم مذ خلق الله تعالى الدنيا الى يوم القيامة فهل كفر احد قط من اجل موت ذلك الطفل وانما عهدنا الناس يكفرون عند ما يقع لهم من الغضب الذي يخلقه الله عز وجل في طبائعهم وبالعصبية التي أتاها الله عز وجل اسبابها او بالملك الذي أتاه الله اياه ذا عارضهم فيه عارض والرابع انه ليس في الجور ولا في العبث ولا في الظلم ولا في المحاباة أعظم من أن يبقى طفلا حتى يكفر فيستحق الخلود في النار ولا يميته طفلا فينجوا من النار من أجل صلاح قوم لولا كفر هذا المنحوس لكفر أولئك وما في الظلم والمحاباة اقبح من هذا وهل هذا الا كمن وقف انسانا للقتل فاخذ هو آخر من عرض الطريق فقتله مكانه فظهر فساد هذا القول السخيف الملعون

(قال ابو محمد) وقال بعضهم قد يخرج من صلبه مؤمنون

(قال أبو محمد) وقد يموت الكافر عن غير عقب وقد يلد الكافر كفارا اضر على الاسلام منه ومع هذا فكل ما ذكرنا يلزم ايضا في هذا الجواب السخيف وايضا فقد يخرج من صلب المؤمن كافر طاغ وظالم باغ يفسد الحرث والنسل ويثير الظلم ويميت الحق ويؤسس القتالات والمنكرات حتى يضل بها خلق كثير حتى يظنوا انها حق وسنة فاي وجه لخلق هؤلاء على اصول المعتزلة الضلال نعم واي معنى واي صلاح في خلق ابليس ومردة الشياطين واعطائهم القوة على اضلال الناس من الحكمة المعهودة بيننا وبالضرورة نعلم ان من نصب المصايد للناس في الطرقات وطرح الشوك في ممشاهم فانه عائب سفيه فيما بيننا والله تعالى خالق كل ما ذكرنا باقرارهم وهو الحكيم العليم ثم وجدناه تعالى قد شهد للذين بايعوا تحت الشجرة بانه علم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم ثم أمات منهم من ولي منهم أمور المسلمين سريعا وهن قوى بعضهم وملك عليهم زيادا والحجاج وبغاة الخوارج فاي مصلحة في هذا للحجاج ولقطري او لسائر المسلمين لو عقلت المعتزلة ولكن الحق هو قولنا وهو ان كل ذلك عدل من الله وحق وحكمة وهلاك ودمار واضلال للحجاج المسلط ولقطري ونظائرهما اراد الله تعالى بذلك هلاكهم في الاخرة ونعوذ بالله من الخذلان ثم نسالهم ماذا تقولون اذا أمر الله عز وجل بجلد الحرة في الزنا مائة وبجلد الامة نصف ذلك أليس هذا محاباة للامة واذ خول الله عز وجل قوما مالا جمة فماتوا فيها وحرم آخرين اما هذا عين المحاباة والجور على اصلهم الفاسد فيمن منع جاره الفقير الان يطردوا قولهم فيصيروا الى قول من ذكر ان الواجب يواسي الناس في الاموال والنساء على السواء وبالجملة فان القوم يدعون نفي التشبيه ويكفرون من شبه الله تعالى بخلقه ثم لا نعلم أحدا أشد تشبيها لله تعالى بخلقه منهم فيلزمونه الحكم ويجرون عليه الامر والنهي ويشبهونه بخلقه تعالى فيما يحسن منه ويقبح ثم نقضوا اصولهم اذ من قولهم ان ما صلح بيننا بوجه من الوجوه فلسنا نعبده عن الباري تعالى ونحن نجد فيما بيننا من يحابي

الاول أميل بحكم الطبيعة والمزاج والآخر ضعيف فيه الا اذا وصل اليه مدد من جهة العقل والتمييز والنطق فينشيء الرأي الثاقب ويحدث الحزم الصائب فيحب الحق ويكره الباطل فتى وقف هذا المدد من القوة الاختيارية كانت الغلبة للانفعال الآخر ولولا يركب الاختيار عن هذين الانفعالين وانقسامه الى هذين الوجهين لتاتى للانسان جميع ما يقصده بالاختيار بلا مهلة ولا ترجع ولا اهنية ولا ترنح ولا استشارة ولا استخارة وهذا الرأي الذي رآه هذا الحكيم لم أجد أحدا أبداه ولا عثر عليه أو حكم به وأومي اليه (حكم أو قليدس) وهو أول من تكلم في الرياضات وأفراده علما نافعا في العلوم متقحا للخاطر ملقحا للفكر وكتابه معروف باسمه وذلك حكمته وقد وجدناله حكما متفرقة فاوردناها على سوق مرامنا وطرد كلامنا فمن ذلك

أحد عبيده على الآخر فيجعل احدهم مشرفا على ماله وعياله وحاضنا لولده ويرتضيه لذلك من صغره بان يعلمه الكتاب والحساب ويجعل الآخر رائضا لدابته وجامعا الزبل لبستانه ومنقيا لحشه ويرتضيه لذلك من صغره وكذلك الاماء فيجعل احداهن محل ازاره ومطلبا لولده ويجعل الثانية خادما لهذه فى الطبخ والغسل وهذا عدل باجماع المسلمين كلهم فلم انكروا ان يحابي البارى عزوجل من شاء من عباده بما احب من التفضيل ووجدوا فى الشاهد من يعطى المحاويج من ماله فيعطى أحدهم مايغنيه ويخرجه عن الفقر وذلك نحو الف دينار ثم يعطي آخر مثله ألف دينار ويزيده ألف دينار فانه وان حابى فحسن غير ملوم فلم منعوا ربهم من ذلك وجوره اذا فعله وهو تعالى بلا شك اتم ملكا لكل مافى العالم من احدنا لما خوله عز وجل من الاملاك ونقضوا اصلهم فى ان ما حسن فى الشاهد بوجه من الوجوه لم يمنعوا وقوعه من البارى عزوجل ووجدوا فى الشاهد من يدخر اموالا عظيمة فيؤدى جميع الحقوق اللازمة له حتى لا يبقى بحضرته محتاج ثم يمنع سائر ذلك فلا يسمى بخيلا فلأى شىء منعوا ربهم عزوجل من مثل ذلك وجوروه وبخلوه اذا لم يعط أفضل ماعنده وهذا كله بين لا اشكال فيه

(قال ابو محمد) ونسالهم عن قول لهم عجيب وهو انهم اجازوا ان يخلق الله عزوجل أضعف الاشياء ثم لايكون قادرا على اضعف منه فهكذا هو قادر فاعل اصلح الاشياء ثم لايكون قادرا على اصلح منه وعلى اصغر الاشياء وهو الجزء الذى لايتجزأ ولا يقدر على اصغر منه

(قال ابو محمد) هذا ايجاب منهم لتناهى قدرة الله عزوجل وتعجيز له تعالى وايجاب لحدوثه وابطال الهيته اذ التناهى في القوة صفة المحدث المخلوق لا صفة الخالق الذى لم يزل وهذا خلاف القرآن واجماع المسلمين وتشبيه الله تعالى بخلقه فى تناهى قدرتهم

(قال ابو محمد) ولكنه لازم لكل من قال بالجزء الذى لايتجزأ وبالقياس لزوما صحيحا لا انفكاك لهم منه ونعوذ بالله من هذه المقالات المهلكة بل نقول ان الله تعالى كل ما خلق شيئا صغيرا أوضعيفا أو كبيرا او قويا او مصلحة فانه ابدا بلا نهاية قادر على خلق أصغر منه واضعف وأقوى وأصلح

(قال ابو محمد) ونسالهم ايقدر الله تعالى على مالو فعله لكفر الناس كلهم فان قالوا لا لحقوا بعلى الاسوارى وهم لايقولون بهذا ولو قالوه لاكذبهم الله تعالى اذ يقول * ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض * وبقوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة * وان قالوا نعم هو قادر على ذلك قلنا لهم فقد قطعتم بانه تعالى يقدر على الشر ولا يقدر على الخير هذه مصيبة على اصولهم ولزمهم ايضا فساد اصلهم فى قولهم ان من يقدر على شىء قدر على ضده لانهم يقولون ان الله تعالى يقدر على مايكفر الناس كلهم عنده ولا يقدر على مايؤمن جميعهم عنده

(قال ابو محمد) ونسال من قال منهم انه تعالى يقدر على مثل مافعل من الصلاح بلا نهاية لا على اكثر من ذلك فنقول لهم ان على اصولكم لم تنفكوا من تجوير البارى عزوجل لان بضرورة الحس ندرى انه اذا استضافت المصالح بعضها الى بعض كانت أصلح من انفراد كل مصلحة عن الاخرى فاذا هو قادر عندكم على ذلك ولم يفعله بعبادة فقد لزمه ما الزمتموه لو كان قادرا على اصلح مما فعل ولم يفعله فقالوا هذا كالدواء والطعام والشراب لكل

قوله الخط هندسة روحانية ظهرت بآلة جسمانية وقال له رجل يهدده انى لا الوا جهدا فى أن افقدك حياتك قال أوقليدس وأنا لا آلوا جهدا فى أن افقدك غضبك وقال كل أمر تصرفنا فيه وكانت النفس الناطقة هى المقدرة له فهو داخل فى الافعال الانسانية ومالم تقدره النفس الناطقة فهو داخل فى الافعال البهيمية قال ومن أراد أن يكون محبوبه محبوبك وافقك على مايحب فاذا اتفقتما على محبوب واحد صرتما الى الاتفاق وقال افزع الى مايشبه الرأى العام التدبيرى العقلى وانهم ماسواه وقال ماأستطيع على خلعه ولم يضطر الى لزومه المرء فلم الاقامة على مكروهة وقال الامور جنسان أحدهما يستطاع خلعه والمصير الى غيره والآخر توجبه الضرورة فلا يستطاع الانتقال عنه والاغتمام والاسف على كل واحد منهما غير سائغ فى الرأى وقال ان كانت الكائنات

ذالم مقدار يصلح به من اعطيه فاذا استضافت اليه امثاله كان ضررا قال علي رضي الله
عنه ولم يقل قط ذو عقل ومعرفة بحقائق الامور ان غفار كذا مصلحة جملة وعلى كل حال
ولان الاكل مصلحة ابدا وعلى الجملة ولان الشراب مصلحة بكل وجه ابدا وانما الحق
ان مقدارا من الدواء مصلحة لعلة كذا فقط فان زاد او نقص او تعدى به تلك العلة كان
ضررا وكذلك الطعام والشراب هما مصلحة في حال ما وبقدر ما فما زاد او تعدى به وقته كان
ضررا وما نقص عن الكفاية كان ضررا ليس اطلاق اسم الصلاح في شيء من
ذلك اولى من اطلاق اسم الضرر لان كلا الامرين موجود في ذلك كما ذكرنا وليس الصلاح
من الله عز وجل للعبد والهدي له والخير من قبله عز وجل كذلك بل على الاطلاق والجملة
وعلى كل حال بل كلما ازداد الصلاح وكثر وازداد الهدى وكبر وزاد الخير وكبر فهو افضل فان قالوا
نجد الصلاة والصيام انما في وقت ما واجرا في آخر قلنا ما كان من هذا منهيا عنه فليس صلاحا
البتة ولا هو هدى ولا خير بل هو اثم وخذلان وضلال وليس في هذا كلامنا لكن فيما هو صلاح
حقيقة وهدى حقيقة وخير حقيقة وهذا ما لا مخلص لهم منه

(قال ابو محمد) وقال اصحاب الاصلح منهم ان من علم الله تعالى انه يؤمن من الاطفال ان عاش أو يسلم
من الكفار ان عاش أو يتوب من الفساق ان عاش فانه لا يجوز البتة ان يميته الله قبل ذلك
قالوا وكذلك من علم الله تعالى انه ان عاش فعل خيرا فلا يجوز البتة ان يميته الله قبل فعله قالوا
ولا يميت الله تعالى احدا الا وهو يدرى انه ان ابقاه طرفة عين فما زاد فانه لا يفعل شيئا من
الخير أصلا بل يكفر أو يفسق ولا بد

(قال ابو محمد) وهذا من طوامهم التي جمعت الكفر والسحق ولم ينفكوا بها فافروا عنه من تجوير
الباري تعالى بزعمهم واما الكفر فانه يلزمهم ان ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو بلغ لكفر
أو فسق وليت شعري اذ هذا عندهم كما زعموا فلم امات بعضهم اثر ولادته ثم آخر بعد ساعة
ثم يوم ثم يومين وهكذا شهرا بعد شهر وعاما بعد عام الى ان امات بعضهم قبل بلوغه بيسير
وكلهم عندهم سواء في انهم لو عاشوا لكفروا او فسقوا كلهم واذ عني بهم هذه العناية فلم ابقى من
الاطفال من درى انه يكفر ويفسق نعم ويؤتيهم القوى والتدقيق في الفهم كالفيومي سعيد
ابن يوسف والمقمس داود بن قزوان وابراهيم البغدادي وأبي كثير الطبراني متكلمي اليهود
وأبي ربطة اليعقوبي ومقرونيش الملكي من متكلمي النصارى وقردان بخت المناني حتى
اضلوا كثيرا بشبههم وتمويهاتهم ومخارقتهم ولا سبيل الى وجود فرق اصلا وهذا محاباة وجور
على اصولهم ثم نجده تعالى قد عذب بعض هؤلاء الاطفال باليتم والقمل والعرى والبرد
والجوع وسوء المرقد والعمى والبطلان والاوجاع حتى يموتوا كذلك وبعضهم مرفه مخدوم
منعم حتى يموت كذلك ولعلها لا اب وام وكذلك يلزمهم ان ابابكر وعمر وعثمان وعليا
وسائر الصحابة رضي الله عنهم نعم ومحمدا صلى الله عليه وسلم وموسي وعيسى وابراهيم وسائر
الرسل عليهم الصلاة والسلام ان كل واحد منهم لو عاش طرفة عين على الوقت الذي مات
فيه لكفر اوفسق ولزمهم مثل هذا في جبريل وميكائيل وحملة العرش عليهم السلام ان كانوا
يقولون بانهم يموتون فان تمادوا على هذا كفروا وقد صرح بعضهم بذلك جهارا وان ابوا
تناقضوا ولزمهم ان الله تعالى يميت من يدرى انه يزداد خيرا ويبقى من يدرى انه يكفر وهذا

من المضطرة فما الاهتمام
بالمضطر اذ لا بد منه وان
كانت غير مضطرة فلم اهتم
فيما يجوز الانتقال عنه وقال
الصواب اذا كان عاميا كان
أفضل لان الخاص يقع
بالتحري وتلقاء امر ما وقال
العمل على الانصاف ترك
الاقامة على المكروه وقال
اذا يضطرك الى الاقامة
عليه شيء فان اقمت
رجعت باللائمة عليك وقال
الحزم هو العمل على ان
لا تثق بالامور التي في
الامكان عسيرها ويسيرها
وقال كل فائت وجدت في
الامور منه عوضا وامكنك
اكتساب مثله فما الاسف
على فوته وان لم يكن منه
عوض ولا يصادف له مثل
فما الاسف على ما لا سبيل
الى مثله ولا امكان في دفعه
وقال لما علم العاقل انه لا ثقة
بشيء من امر الدنيا التي
منها ما منه بد واقتصر
على ما لا بد منه وعمل بما
يوثق به بابلغ ماقدر عليه
وقال اذا كان الامر ممكنا
فيه التصرف فوقع بحال
ما تحب فاعتده ربحا وان

عندهم على اصولهم عن الظلم والعبث

(قال ابو محمد) واجاب بعضهم فى هذا السؤال بان قال ان النبى صلى الله عليه وسلم امتحنه الله عز وجل قبل موته بما بلغ ثوابه على طاعته فيه مبلغ ثوابه على كل طاعة تكون منه لو عاش الى يوم القيامة

(قال ابو محمد) وهذا جنون ناهيك به لوجوه أولها انه محاباة مجردة له عليه السلام على غيره وهلا فعل ذلك بغيره وعجل راحتهم من الدنيا ونكدها وثانيها ان هذا القول كذب بحت وذلك ان المحن في العالم معروفة وهى اما في الجسم بالملل واما فى المال بالاتلاف واما فى النفوس بالخوف والهوان والهم بالاهل والاحبة والقطع دون الامل لامحنة فى العالم تخرج عن هذه الوجوه الا المحنة فى الدين فقط نعوذ بالله من ذلك فاما المحنة فى الجسم فكذبوا ومامات عليه السلام الا سليم الاعضاء سويها معافى من مثل محنة ايوب عليه السلام وسائر اهل البلاء نعوذ بالله منه واما في المال فما شغله الله عز وجل منه بما يقتضي محنته فى فضوله ولا احوجه الى احد بل اقامه على حد الغنى بالقوت ووفقه لتنفيذ الفضل فيما يقربه من ربه عز وجل واما النفس فاى محنة لمن قال الله عز وجل له * والله يعصمك من الناس * ولمن رفع له ذكره وضمن له اظهار دينه على الدين كله ولو كره اعداؤه وجعل شانئه الابتر واعزه بالنصر على كل عدو فاى خوف واى هوان يتوقعه عليه السلام واما اهله واحبته فاخترم بعضهم فاجره فيهم كابراهيم ابنه وخديجة وحمزة وجعفر وزينب وأم كلثوم ورقية بناته رضى الله عنهم وأقر عينه ببقاء بعضهم وصلاحه كعائشة وسائر امهات المؤمنين وفاطمة ابنته وعلي والعباس والحسن والحسين واولاد العباس وعبد الله بن جعفر وابى سفيان بن الحارث رضى الله عن جميعهم فاى محنة هاهنا أليس قد اعاذه الله تعالى من مثل محنة حبيب بن عدى سمية ام عمار رضى الله عنهم أليس من قتل من الانبياء عليهم السلام ومن انشر بالمنشار واحرق بالنيران اعظم محنة ومن خالفه قومه فلم يتبعه منهم الا اليسير وعذب الجمهور كهود وصالح ولوط وشعيب وغيرهم اعظم محنة وهل هذه الا مكابرة وحماقة وقحة واى محنة تكون لمن اوجب الله عز وجل على الجن والانس طاعته واكرمه برسالته وأمنه من كل الناس واكب عدوه لوجهه وغفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وهل هذه الا نعم وخصائص وفضائل وكرامات ومحاباة مجردة له على جميع الانس والجن وهل استحق عليه السلام هذا قط على ربه تعالى حتى ابتدأه بهذه النعمة الجليلة وقد تحنث قبله زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى العدوى وقيس بن ساعدة الايادى وغيرهما فما اكرموا بشىء من هذا ولكن نوك المعتزلة ليس عليه قياس

(قال ابو محمد) ومما سئلوا عنه أن قيل لهم أليس قد علم الله أن فرعون والكفار ان أعاشهم كفروا فمن قولهم نعم فيقال لهم فلم أبقاهم حتى كفروا واخترم على قولهم من علم انه ان عاش كفر وهذا تخليط لا يعقل ونقول لهم ايضاً أيما كان اصلح للجميع لاسيما لاهل النار خاصة ان يخترعنا الله تعالى كلنا فى الجنة كما فعل بالملائكة وحور العين ام مافعل بنا من خلقنا فى الدنيا والتعريض للبلاء فيها وللخلود فى النار

(قال ابو محمد) فلجوا عند هذه فقال بعضهم لم يخلق الجنة بعد فقلنا لهم هبكم ان الامر كما قلتم فانما كان اصلح للجميع ان يعجل الله عز وجل خلقها ثم يخلقنا فيها او يؤخر خلقنا

وقع بحال ماتكره فلا تحزن فانك قد عملت فيه على غير ثقة بوقوعه على ماتحب وقال لم أر أحدا الاذا مال الدنيا وأمورها اذهى على ماهى من التغير والتنقل فالمستكثر منها يلحقه أن يكون أشد اتصالا بما يذم الانسان مايكره والمستقل مستقل مما يكره واذا استقل مما يكره كان ذلك أقرب الى مايحب وقال أسوأ الناس حالا من لا يثق بأحد لسوء ظنه ولا يثق به أحد لسوء فعله وقال الجشع بين شرين والاعدام يخرجه الى التسفه والجدة تخرجه الى الشر وقال لاتعن أخاك على أخيك فى خصومة فانهما يصطلحان على قليل وتكتسب المذمة (حكم بطليموس) وهو صاحب المجسطى الذى تكلم فى هيئة الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل فمن حكمه انه قال ماأحسن بالانسان أن يصبر عما يشتهى وأحسن منه أن لا يشتهى الى ماينبغي وقال الحكيم

حتى يخلقها ثم يخلقنا منها أم خلقه لنا حيث خلقنا فان عجزوا ربهم جعلوه ذا طبيعة متناهى القدرة ومشبها الخلقه وأبطلوا الاهيته وجعلوه محيزا ضعيفا وهذا كفر مجرد ونفي السؤال أيضا مع ذلك بحسبه في ان يجعلنا كالملائكة وان يجعلنا كلنا انبياء كافضل بعيسى ويحيي عليهما السلام وسائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقال بعضهم ليس جهلنا بوجه المصلحة في ذلك مما يخرج هذا الامر عن الحكمة فقلنا لهم فاقنعوا بمثل هذا بعينه فمن قال لكم ليس جهلنا بوجه المصلحة والحكمة في خلق الله تعالى لافعال عباده وفي تكليفه الكافر والفاسق مالا يطيق ثم يعذبهما على ذلك مما يخرجه عن الحكمة وهذا لا مخلص لهم منه

(قال أبو محمد) وأما نحن فلا نرضى بهذا بل ماجهلنا ذلك لكن نقطع على ان كل مافعله الله تعالى فهو عين الحكمة والعدل وان من أراد اجراء افعاله تعالى على الحكمة المعهودة بيننا والعدل المعهود بيننا فقد الحدوا حظا رضل وشبه الله عز وجل بخلقه لان الحكمة والعدل بيننا انما هما طاعة الله عز وجل فقط لا حكمة ولا عدل غير ذلك الا ما امرنا به اي شيء كان فقط واما الله تعالى فلا طاعة لاحد عليه فبطل ان تكون افعاله جارية على احكام العبيد المامورين المربوبين المسؤلين عما يفعلون لكن افعاله تعالى جارية على العزة والقدرة والجبروت والكبرياء والتسليم له وان لا يسأل عما يفعل ولا مزيد كما قال تعالى وقد خاب من خالف ماقال الله عز وجل ومع هذا كله فلم يتخلصوا من رجوع وجوب التجوير والعبث على اصولهم على ربهم تعالى عن ذلك وقال متكلموهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك وكنا ايضا نكون غير مستحقين لذلك النعيم بعمل عملناه وادخالنا الجنة بعد استحقاقنا لهم اتم في النعمة وابلغ في اللذة وايضا فلو خلقنا في الجنة لم يكن بد من التوعد علي ما حظر علينا وليست الجنة دار توعد وايضا فان الله تعالى قد علم ان بعضهم كان يكفر فيجب عليه الخروج من الجنة

(قال ابو محمد) هذا كل ماقدروا عليه من السخف وهذا كله عائد عليهم بحول الله تعالى وقوته وعونه لنا فنقول وبالله تعالى التوفيق اما قولهم لو خلقنا في الجنة لم نعلم مقدار النعمة علينا في ذلك فاننا نقول وبالله تعالى نتايد أكان الله تعالى قادر على ان يخلقنا فيها ويخلق فينا قوة وطبيعة نعلم بها قدر النعمة علينا في ذلك اكثر من علمنا بذلك بعد دخولنا فيها يوم القيامة أو كعلمنا ذلك امكان غير قادر على ذلك فان قالوا كان غير قادر على ذلك عجزوا ربهم تعالى وجعلوا قوته متناهية يقدر على امر نا ولا يقدر على غيره وهذا لا يكون الالعرض داخل او لبنية متناهية القوة وهذا كفر مجرد وان قالوا كان الله قادرا على ذلك اقروا بانه عز وجل لم يفعل بهم اصلح ماعنده وان عنده اصلح مما فعل بهم وايضا فان كانوا ارادوا بذلك ان اللذة تعقب البلاء والتعب اشد سرورا وابلغ لزمهم ان يبطلوا نعم الجنة جملة لانه ليس نعيمها البتة مشوبا بالم ولا تعب وكل الم بعد العهد به فانه ينسى كما قال القائل

كان الفتى لم يعر يوما اذا اكتسى ... ولم يفتقر يوما اذا ما تمولا

فلزم على هذا الاصل ان يحدد الله عز وجل لاهل الجنة آلاما فيها ليتجدد لهم بذلك وجود اللذة وهذا خروج عن الاسلام ويلزمهم ايضا ان يدخل النبيين والصالحين النار ثم يخرجهم منها الى الجنة فتضاعف اللذة والسرور اضعافا بذلك ويقال لهم كنا نكون

الذي اذا اصدق صبر لا الذى اذا قذف كظم وقال لمن يغنى الناس ويسأل أشبه بالملوك ممن يستغنى بغيره ويسال وقال لان يستغنى الانسان عن الملك أكرم له من أن يستغنى به وقال موضع الحكمة من قلوب الجهال كموقع الذهب من ظهر الحمار وسمع جماعة من أصحابه وهم حول سرادقه يقعون فيه ويثلبونه فهز رمحا كان بين يديه ليعلموا انه يسمع منهم وان يتباعدوا عنه قيد رمح ثم يقولوا ما أحبوا اقال العلم فى موطنه كالذهب فى معدنه لا يستنبط الا بالدؤوب والتعب والكد والنصب ثم يجب تخليصه بالفكر كما يخلص الذهب بالنار وقال بطلميوس دلالة القمر فى الايام أقوى ودلالة الشمس والزهرة فى الشهور أقوى ودلالة المشترى وزحل فى السنين أقوى ومما ينقل عنه انه قال نحن كائنون فى الزمن الذى يأتي بعد هذا زمن الى المعاد اذ الكون والوجود الحقيقى ذلك

كالملائكة والحور العين فان كانوا عالمين بمقدار ماهم فيه من نعيم ولذة فكنا نحن كذلك وان كانوا غير عالمين بمقدار ماهم فيه من اللذة والنعيم فهلا اعطاهم هذه المصلحة ولاى شيء منعهم هذه الفضيلة التي اعطاها لنا وهم اهل طاعته التي لم تشب بمعصية فان قالوا ان الملائكة وحور العين قد شاهدوا عذاب الكفار في النار فقام لهم مقام الترهيب قلنا لهم وهل المحاباة والجور الا ان يعرض قوما للمعاطب ويبقيهم حتى يكفروا فيخلدوا فى النار ليوعظ بهم قوم آخرون خلقوا فى الجنة والرفاهية سرمدا ابدالابد وهل عين الظلم الا هذا فيما بيننا على اصول المعتزلة وكمن يقول من الطغاة قتل الثلث فى صلاح الثلثين صلاح وهل فى الشاهد عبث وسفه اعظم من عبث من يقول لآخر هات اضربك بالسياط واردك من جبل واصفع فى قفاك وانتف سبالك وامشيك فى طريق ذات شوك دون راحة فى ذلك ولا منفعة ولكن لا اعطيك بعد ذلك ملكا عظيما ولعلك فى خلال ضربى اياك ان تتضرر فتقع فى بئر منتنة لا يخرج منها ابدا فاي مصلحة عند ذي عقل فى هذا الحال لاسيما وهو قادر على ان يعطيه ذلك الملك دون ان يعرضه لشيء من هذا البلاء فهذه صفة الله عز وجل عند المعتزلة لا يستحقون من ان يصفوا انفسهم بان يصفوا الله تعالى بالعدل والحكمة

(قال ابو محمد) وأما نحن فنقول لو ان الله تعالى اخبرنا انه يفعل هذا كله بعينه ما انكرناه ولعلمنا انه منه تعالى حق وعدل وحكمة

(قال ابو محمد) ومن العجب ان يكون الله تعالى يخلقنا يوم القيامة خلقا لانجوع فيه ابدا ولا نعطش ولا نبول ولا نمرض ولا نموت وينزع ما فى صدورنا من غل ثم لا يقدر على ان يخلقنا فيها ولا على ان يخلقنا خلقا نلتذ معه بابتدائنا فيها كالتذاذنا بدخولها بعد طول النكد فهل يفرق بين شيء من هذا الامن لاعقل له او مستخف بالبارى تعالى وبالدين وأما قولهم لو خلقنا الله تعالى فى الجنة لكنا غير مستحقين لذلك النعيم فانا نقول لهم اخبرونا عن الأعمال التى استحققتم بها الجنة عند أنفسكم أفبضرورة العقل علمتم ان من عملها فقد استحق الجنة دينا واجبا على ربه تعالى ام لم تعلموا ذلك ولا وجب ذلك الا حتى أعلمنا الله عز وجل انه يفعل وجعل الجنة جزاء على هذه الاعمال فان قالوا بالعقل عرفنا استحقاق الجنة على هذه الاعمال كابروا وكذبوا على العقل وكفروا لانهم بهذا القول يوجبون الاستغناء عن الرسل عليهم الصلاة والسلام ولزمهم ان الله تعالى لم يجعل الجنة جزاء على هذه الاعمال لكن وجب ذلك عليه حتما لا باختياره ولا بانه لو شاء غير ذلك لكان له وهذا كفر مجرد وايضا فان شريعة موسى عليه السلام فى السبت وتحريم الشحوم وغير ذلك قد كان الجنة جزاء على العمل بها ثم صارت الآن جهنم جزاء على العمل بها فهل هاهنا الا ان الله تعالى اراد ذلك فقط ولو لم يرد ذلك لم يجب من ذلك شيء فان قالوا بل ما علمنا استحقاق الجنة بذلك إلا بخبر الله تعالى انه حكم بذلك فقط قيل لهم فقد كان الله تعالى قادرا على ان يخبرنا انه جعل الجنة حقا لنا يخترعنا فيها كما فعل بالملائكة وحور العين وايضا فقد كذبوا فى دعواهم استحقاق الجنة باعمالهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد ينجيه عمله او يدخله الجنة عمله قيل ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمة منه او كلاما هذا معناه وأيضا فبضرورة العقل ندرى ان ما زاد على المماثلة فى الجزاء فيما بيننا فانه تفضل مجرد فى الاحسان وجور في الاساءة هذا حكم المعهود

الكون والوجود فى ذلك العالم (حكماء أهل لمطال وهم خروسيس وزينون) قولهما الخالص إن البارى الاول واحد محض هو هو ان فقط أبدع العقل أو النفس دفعة واحدة ثم أبدع جميع ماتحتهما بتوسطهما وفى بدوما أبدعهما أبدع منهما جوهرين لايجوز عليهما الدثور والفناء وذكروا أن للنفس جرمين جرم من النار والهواء وجرم من الماء والارض فالنفس متحدة بالجرم الذى من النار والهواء والجرم الذى من النار والهواء متحد بالجرم الذى من الماء والارض فالنفس تظهر أفاعيلها فى ذلك الجرم وذلك الجرم ليس له طول ولا عرض ولا قدر مكانى وباسطلاحنا سميناه جسما وأفاعيل النفس فيها نيرة بهية ومن الجسم الى الجرم ينحدر النور والحسن والبهاء ولما ظهرت أفاعيل النفس عندنا بمتوسطين كانت اظلم ولم يكن لها نور شديد

في العقل فمل أصول المعتزلة يلزمهم ان بقاء احدنا في الجنة او في النار اكثر من احسانه اواساءته جزاء على ماسلف منه فضل مجرد وعقاب زايد على مقدار الجرم وقد فعله الله عزوجل بلاشك وهوعدل وحكمة وحق

(قال ابو محمد) واما قولهم ان دخول الجنة على وجه الجزاء على العمل اعلى درجة واسنى رتبة من دخولها بالتفضل المجرد فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق هذا خطأ محض لاناقد علمنا ان هذا الحكم انما يقع بين الاكفاء والمتماثلين واما الله تعالى فليس له كفوا أحد ومن كان عبد الآخر فان اقبال السيد عليه بالتفضل عليه المجرد والاختصاص والمحاباة اسنى له واعلى واشرف لرتبته وارفع لدرجته من ان لا يعطيه شيئا بمقدار مايستحقه لخدمته ويستخبره اياه هذا ماينكره الامعاند فكيف وليس لاحد على الله حق وحينئذ كل ماوهبه الله تعالى لاحد بين انبيائه وملائكته عليهم السلام وكل ما أخبر تعالى انه اوجبه وكتبه على نفسه وجعله حقا لعباده فكل ذلك تفضل مجرد من الله عزوجل واختصاص مبدأ لولم ينعم به عزوجل لم يجب عليه شيء منه لايقول غير هذا الامدخول الدين فاسد العقل

(قال ابو محمد) وهم يقرون ان الملائكة أفضل من الانبياء عليهم جميعهم السلام وصدقوا في هذا ثم نقضوا هذا الاصل باصلهم هذا السخيف من قولهم ان من دخل الجنة بعد التعريض للبلاء فهو أفضل من ابتداء النعمة والتقريب فنحن على قولهم افضل من الملائكة على جميعهم السلام وقد قالوا ان الملائكة افضل من الانبياء فعلى هذا التفريب ان يكون نحن افضل من الملائكة بدرجة وافضل من النبيين بدرجتين وهذا كفر مجرد وتناقض ظاهر واما قولهم انا لو خلقنا في الجنة لم يكن بد من التوعد والتحذر فاننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق حتى لو كان مايقولون لما منع من ذلك ان يخلقوا في الجنة ثم يطلعوا منها على النار ويعاينوا وحشتها وهو لها وقبحها ونفار النفوس عنها كالذى يعرض لنا عند الاطلاع على النيران العقيمة المظلمة وان كنا قط لم نقع فيها ولا شاهدنا من وقع فيها بل ذلك كان يكون ابلغ في التحذير من وصفها دون رؤية لكن كما فعل بالملائكة وحور العين فيكون ذلك ادعى لهم الى الشكر والحمد والاغتباط بمكانهم واجتناب مانهوا عنه خوف مفارقة ماقد حصلوا عليه ثم نقول لهم ايضا قولوا اهذا فهم بعد دخولهم الجنة اباح لهم الكفر والشتم والضرب فيما بينهم ام محظور عليهم لزمهم تمادي التوعد والتحذير هنالك قلنا نكون لو اخترعنا فيها على الحال التى تكون فيها يوم القيامة ولا فرق وكان يكون أصلح لجميعنا بلاشك فان قالوا قد سبقت الطاعة في الدنيا قيل لهم وكذلك كانت تسبق منهم في الجنة كالملائكة سواء بسواء وهم لا يقولون ان المعاصى والتضارب والتلاطم والتراكض والتشاتم مباح لهم في الجنة ولا يقولون هذا احد فيحتاج الى كسر هذا القول فان لجؤا الى قول ابى الهذيل ان اهل الجنة مضطرون لا يختارون قيل لهم وكنا نكون فيها كذلك ايضا كما نكون يوم القيامة فيها فهذا كان صلح للجميع بلاشك وهذا مالا انفكاك لهم منه

(قال ابو محمد) واما قولهم ان الله علم ان بعضهم يكفر ولا بد فيجب عليه الخروج من الجنة قلنا لهم ايقدر الله على خلاف ماعلم ام لا فان قالوا نعم يقدر ولكن لا يفعل اقروا انه فعل من ترك ابتدائنا في الجنة امضاه لما سبق فى علمه غير ما كان اصلح لنا بلاشك ورجعوا الى الحق الذى هو

وذكروا ان النفس اذا كانت طاهرة زكية استصحبت الاجزاء النارية والهوائية وهى جسمها فى ذلك العالم جسما روحانيا نورانيا علويا طاهرا مهذبا من كل ثقل وكدر وأما الجرم الذى من الماء والارض فيدثر ويفنى لانه غير مشاكل للجسم السماوى لان ذلك الجسم خفيف لطيف لاوزن له ولا تلمس وانما يدرك من البصر فقط كما يدرك الاشياء الروحانية من العقل فألطف مايدرك الحس البصرى من الجواهر النفسانية وألطف مايدرك من ابداع البارى تعالى الا ثار التى عند العقل وذكروا أن النفس انما هى مستطيعة ماخلاها البارى تعالى أن تفعل واذا ربطها فليست بمستطيعة كالحيوان الذى اذا خلاه مدبره أعنى الانسان كان مستطيعا فى كل مادعا اليه وتحرك اليه واذا ربطه لم يقدر حينئذ أن يكون مستطيعا وذكروا ان دنس

قولنا انه تعالى فعل ماسبق فى علمه من تكليف مالا يطاق ومن خلقه تعالي الكفر والظلم وانعامه علي من شاء وحده لاشريك له وتركوا قولهم فى الاصلح وان قالوا لا يقدر علي غير ماعلم ان يفعله جعلوه مجبراً مضطراً عاجزاً متناهي القوة ضعيف القدرة محدثا فى اسوأ حالة منهم وهذا كفر وخلاف للقرآن ولاجماع المسلمين نعوذ بالله من الخذلان

(قال أبو محمد) ونسألهم أي مصلحة للحشرات والكلاب والبق والدود فى خلقها حشرات ولم يخلقها ناساً مكلفين معرضين لدخول الجنة فان قالوا لو جعلها ناساً لكفروا قيل لهم فقد جعل الكفار ناسا فكفروا فهلا نظر لهم كما نظر للدود والحشرات فجعلهم حشرات لئلا يكفروا فكان اصلح لهم علي قولكم وهذا مالا مخلص منه

(قال ابو محمد) ونسألهم فنقول لهم اذا قلتم ان الله تعالى لا يقدر علي لطف لو اتي به الكفار لامنوا ايمانا يستحقون معه الجنة لكنه قادر على ان لا يضطرهم الى الايمان أخبرونا عن ايمانكم الذى تستحقون به الثواب هل يشوبه عندكم شك أم يمكن بوجه من الوجوه ان يكون عندكم باطلا فان قالوا نعم يشوبه شك ويمكن ان يكون باطلا أقروا علي انفسهم بالكفر وكفوناؤنتهم وان قالوا لا يشوبه شك ولا يمكن ألبتة ان يكون باطلا قلنا لهم هذا هو الاضطرار بعينه ليست الضرورة فى العالم شيئا غير هذا انما هو معرفة لا يشوبها شك لا يمكن اختلاف ماعرف بها فهذا هو علم الضرورة نفسه وماعدا هذا فهو ظن وشك فان قالوا ان الاضطرار ماعلم بالحواس أو باول العقل وماعداه فهو ماعرف بالاستدلال قلنا هذه دعوي فاسدة لانها بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل وتقسيمنا هو الحق الذى يعرف ضرورة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) ونسالهم ايما كان اصلح للعالم ان يكون بريا من السباع والافاعى والدواب العادية أو ان يكون فيه كما هي مسلطة علي الناس وعلى سائر الحيوان وعلي الاطفال فان قالوا خلق الله الافاعى والسباع كخلق الحفر والحرث ومزجرة للكفار

(قال ابو محمد) وهذا من ظريف الجنون ولقد ضل بخلقتها جمع من المخذولين ممن جري مجرى المعتزلة فى ان يتعقبوا على الله عز وجل فعله كالمنانية والمجوس اللذين جعلوا الها خالقا غير الحكيم العدل ثم نقول للمعتزلة ان كانت كما تقولون مصلحة فكان الاستكثار من المصلحة اصلح وابلغ في الزجر والتحريف وكل هذه الدعاوى منهم حماقات ومكابرات بلا برهان ليست اجوبتهم فيها باصح من اجوبة المنانية والمجوس واصحاب التناسخ بل كلها جارية في ميدان واحد من انها كلها دعوى فاسدة بلا برهان بل البرهان ينقضها وكلها راجعة الى اصل واحد وهو تعليل افعال الله عز وجل الذى لا علة لها اصلا والحكم عليه بمثل الحكم علي خلقه فيم يحسن منه ويقبح تعالى الله عن ذلك

(قال أبو محمد) ويقال لاصحاب الاصلح خاصة ما معنى دعائكم فى العصمة وانتم تقولون ان الله تعالى قد عصم الكفار كما عصم المؤمنين فلم يعتصموا وما معنى دعائكم فى الاعاذة من الخذلان وفى الرغبة فى التوفيق وانتم تقولون انه ليس عنده افضل مما قد اعطاكموه ولا فى قدرته زيادة علي ما قد فعله بكم واى معنى لدعائكم فى التوبة وانتم تقطعون على انه لا يقدر على ان يعينكم فى ذلك بمقدار شعرة زائدة علي ما قد اعطاكموه فهل دعاؤكم فى ذلك الا الاضلال وهزل وهزء كمن دعا الى الله ان يجعله من بنى آدم او ان يجعل النبي

النفس وأوساخ الجسد انما تكون لازمة للانسان من جهة الاجزاء وأما التطهير والتهذيب فمن جهة الكل لانه اذا انفصلت النفس الكلية من النفس الجزئية والعقل الجزئى من العقل الكلي غلظت وصارت من حيز أجرام لانها كلما سفلت اتحدت بالجرم من حيز الماء والارض وهما ثقيلان يذهبان سفلا وكلما اتصلت النفس الجزئية بالنفس الكلية والعقل الجزئى بالعقل الكلي ذهبت علوا لانها تتحد بالجسم من حيز النار والهواء وكلاهما لطيفان يذهبان علوا وهذان الجرمان مركبان وكل واحد منهما من جوهرين واجتماع هذين الجرمين يوجب الاتحاد شيئا واحدا عند الحسن البصري فاما عند الحواس الباطنة وعند العقل فليست شيئا واحدا فى هذا العالم مستبطن فى الجرم لانه أشد روحانية ولان هذا العالم ليس مشاكلا ولا مجانسا والجرم

نبيا والحجر حجرا وهل بين الامرين فرق فان الدعاء عمل امرنا الله تعالى به فقيل لهم ان اوامره تعالى من جملة افعاله بلا شك وافعاله عندكم تجرى على مايحسن فى العقل ويقبح فيه فى المعهود وفيما بيننا وعلى الحكمة عندكم وقد علمنا انه لا يحسن فى الشاهد بوجه من الوجوه أن يامر احدا يرغب اليه فيما ليس بيده ولا فيما قد اعطاه اياه وكلا هذين الوجهين عبث وسفه وهم مقرون باجمعهم ان الله تعالى حكم بهذا وفعله وهو امره لهم بالدعاء اليه اما فيما لا توصف عندهم بالقدرة عليه واما فيما قد اعطاهم اياه وهو عندهم عدل وحكمة فنقضوا اصلهم الفاسد بلا شك واما نحن فاننا نقول ان الدعاء عمل امرنا الله عز وجل به فيما يقدر عليه ثم ان شاء اعطانا وان شاء منعنا اياه لا معقب لحكمه ولا يسال عما يفعل (قال أبو محمد) وان فى ابتداء الله عز وجل كتابه المنزل الينا بقوله تعالى آمرا لنا ان نقوله راضيا منا أن نقوله * إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين * ثم ختمه تعالى كتابه آمرا لنا ان نقوله راضيا بقوله * قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس * لا بين بيان فى تكذيب القائلين بانه ليس عند الله تعالى اصلح مما فعل وانه غير قادر على كف وسوسة الشيطان ولا على هدى الكفار هدى يستحقون به الثواب كما وعد المهتدين لأنه عز وجل نص على انه هو المطلوب منه العون لنا والهدى الى صراط من خصه بالنعمة عليه تعالى وضل فلولا انه تعالى قادرا على الهدى المذكور وان عنده عونا على ذلك لا يؤتيه الا من شاء دون من لم يشأ وانه تعالى انعم على قوم بالهدى ولم ينعم به على آخرين لما امرنا ان نسأله من ذلك ما ليس يقدر عليه او ما قد اعطاه اياه ونص تعالى على انه قادر على صرف وسوسة الشيطان فلولا انه تعالى يصرفها عمن يشاء لما امرنا عز وجل ان نستعيذ مما لا يقدر على الاعاذة منه او مما قد اعاذنا بعد منه (قال ابو محمد) ولا مخلص لهم من هذا اصلا ثم نسألهم اى مصلحة للعصاة فى ان جعل بعض حركتهم وسكونهم كبائر يستحقون عليها النار وجعل بعض حركاتهم وسكونهم صغائر مغفورة ولقد كان اصلح ان يجعلها كلها صغائر مغفورة ولقد اصلح ان يجعلها كلها صغائر مغفورة فان قالوا هذا أزجر عن المعاصى واصلح قيل لهم فهلا اذ هو كما تقولون جعلها جميعها كبائر زاجرة فهو ابلغ فى الزجر

(قال ابو محمد) وقد نص الله تعالى فى القرآن آيات كثيرة لا يحتمل تاويلا بتكذيب المعجزين لربهم تعالى وليس يمكنهم وجود آية ولا سنة يتعلقون بها أصلا فمنها قوله تعالى * ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء * أفلم يكن عنده أصلح من فتنة يضل بها بعض خلقه حاشى لله من هذا الكفر والتعجيز وقال تعالى حاكيا عن الذين اثنى عليهم من مؤمنى الجن انهم قالوا * وأنا لا ندري اشر اريد بمن فى الارض أم اراد بهم ربهم رشدا *

(قال ابو محمد) وصدقهم الله عز وجل فى ذلك اذ لو انكره لما أورده مثنيا عليهم بذلك وهذا فى غاية البيان الذي قد هلك من خالفه وبطل به قول الضلال الملحدين القائلين ان الله تعالى أراد رشد فرعون وابليس وانه ليس عنده أصلح ولا يقدر لهما على هدى

اصلا

مشاكل ومجانس لهذا العالم فصار الجرم أظهر من الجسم لمجانسة هذا العالم وتركيبه وصار الجسم مستبطنا فى الجرم لان هذا العالم غير مشاكل له وغير مجانس فاما فى ذلك العالم فالجسم ظاهر على الجرم لان ذلك العالم عالم الجسم لانه مجانس ومشاكل له ويكون لطيف الجرم الذى من لطيف الماء والارض المشاكل لجوهر النار والهواء مستبطنا فى الجسم كما كان الجسم مستبطنا فى هذا العالم فى الجرم فاذا كان هذا فيما ذكروا هكذا كان ذلك الجسم باقيا دائما لا يجوز عليه الدثور والفناء ولذته دائمة لا تملها النفوس ولا العقول ولا ينفذ ذلك السرور والحبور ونقلوا عن افلاطون أستاذهم لما كان الواحد لابدء له صار نهاية كل متناه وانما صار الواحد لانهاية له لانه لا بدء له لا لانه لانهاية له وقال ينبغي للمرء أن ينظر كل يوم الى وجهه فى المرآة فان

أصلا * وقال تعالى * ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس * فليت شعرى اى مصلحة لهم فى ان يذأرهم لجهنم نعوذ بالله من هذه المصلحة * وقال تعالى *وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته فصح انه تعالى هو الذى يقى السيئات وان الذى رحمه هو الذى وقاه السيئات لان من لم يقه السيئات فلم يرحمه وبلا شك ان من وقاه السيئات فقد فعل به أصلح مما فعل بمن لم يقه اياها هذا مع * قوله تعالى * ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا * ولا يشك من لدماغه أقل سلامة او فى وجهه من برد الحياء شيء فى ان هذا كان أصلح بالكفار من إدخالهم النار بان لا يؤتيهم ذلك الهدى وان كانوا كما يقولون من دخولهم الجنة بغير استحقاق * وقال تعالى * وحبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم * فليت شعرى أين فعله تعالى بهؤلاء . نسال الله ان يجعلنا منهم من فعله بالذين قال فيهم انه ختم على قلوبهم وزين لهم سوء اعمالهم وجعل صدورهم ضيقة حرجة ان من ساوى بين الامرين وقال ان الله تعالى لم يعط هؤلاء الا ما أعطى هؤلاء ولا أعطى من الهدى والاختصاص محمد وابراهيم وموسى وعيسى ويحيي والملائكة عليهم السلام الاما أعطى إبليس وفرعون وأبا جهل وأبا لهب والذى حاج ابراهيم فى ربه واليهود والنصارى والمجوس والمتقيلين والشرط والبغائيين والعوهر وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فاكثروا فيها الفساد بل سوى فى التوفيق بين جميعهم ولم يقدر لهم على مزيد من الصلاح لقليل الحياء عديم الدين وماجوابه الا قوله تعالى * ان ربك لبالمرصاد *وقال عز وجل * كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين

(قال أبو محمد) فايما كان أصلح للكفار المخلدين فى النار أن يكونوا مع المؤمنين امة واحدة لاعذاب عليهم أم بعثة الرسل اليهم وهو عز وجل يدرى انهم لا يؤمنون فيكون ذلك سببا الى تخليدهم فى جهنم وقال تعالى * وأملى لهم ان كيدي متين . وقال تعالى . ولايحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين . وقال تعالى . أيحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون . وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لايعلمون

(قال أبو محمد) وهذا غاية البيان فى ان الله عز وجل أراد بهم وفعل بهم ما فيه فساد أديانهم وهلاكهم الذى هو ضد الصلاح والافاى مصلحة لهم فى أن يستدرجوا الى البلاد من حيث لا يعلمون وفى الاملاء لهم ليزدادوا إثما ونص تعالى أن كل ذلك الذى فعله ليس مسارعة لهم فى الخير فبطل قول هؤلاء الهلكى جملة والحمد لله رب العالمين وقال تعالى . واذا أردنا أن نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . فهل بعد هذا بيان فى أن الله عز وجل أراد هلاكهم ودمارهم ولم يرد صلاحهم فامر مترفيها باوامر خالفوها ففسقوا فدمروا تدميرا فايما كان أصلح لهم ان لا يؤمروا فيسلموا أو ان يؤمروا وهو تعالى يدري انهم لا يأتمرون فيدخلون النار فان قالوا فاحملوا قوله تعالى امرنا مترفيها على ظاهره قلنا نعم هكذا نقول ولم يقل تعالى انه أمرهم بالفسق وانما قال تعالى أمرناهم فقط وقد نص تعالى

كان قبيحا لم يفعل قبيحا فيجمع بين قبيحين وان كان حسنا لم يشنه بقبيح وقال انك لن تجد الناس الا رجلين اما مؤخر فى نفسه قدمه حظه او مقدما فى نفسه أخره دهره فارض بما أنت فيه اختيارا والا رضيت اضطرارا الحكماء الذين تلوم فى الزمان وخالفوم فى الرأى مثل ارسطوطاليس ومن تابعه على رأيه مثل الاسكندر الرومى والشيخ اليونانى وديوجانس الكلبي وغيرهم وكلهم على رأى ارسطوطاليس فى المسائل التى نوردها عن القدماء ونحن نذكر من آرائه ما يتعلق بغرضنا من المسائل التى شرعت فيها الاوائل وخالفهم المتأخرون وخصوها فى ستة عشر مسئلة رأى (ارسطوطاليس) بن نيقوماخوس من أهل أسطاخوا وهو المقدم المشهور والمعلم الاول والحكيم المطلق عندهم وانما ولد فى أول سنة من ملك ازدشير بن دارا فلما

على انه لا يامر بالفحشاء فصح قولنا ايضا وقال عز وجل ❊وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم❊ فنص تعالى على ان اصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لو تولوا الا يدل قوما غيرهم لا يكونون امثالهم وبالضرورة نعلم انه عز وجل انما اراد خيرا منهم فقد صح انه عز وجل قادر على ان يخلق اصلح منهم وقال تعالى ❊انا القادرون على ان نبدل خيرا منهم❊ وفي هذا كفاية وقال تعالى ❊عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن❊ فهل في البيان في ان الله تعالى قادر على ان يفعل اصلح مما فعل وان عنده تعالى اصلح مما اعطى خلقه ابين او اوضح او اصح من اخباره تعالى انه قادر على ان يبدل نبيه صلى الله عليه وسلم الذي هو احب الناس اليه خيرا من الازواج اللواتي اعطاه واللواتي هن خير الناس بعد الانبياء عليهم السلام

(قال ابو محمد) فبطل قول البقر الشاذة أصحاب الاصلح في انه تعالى لا يقدر على اصلح مما فعل بعباده

(قال ابو محمد) نسأل الله العافية مما ابتلاهم به ونساله الهدى الذي حرمهم اياه. وكان قادراً على ان يتفضل عليهم به فلم يرد وما توفيقنا الا بالله عز وجل وهو حسبنا ونعم الوكيل

(قال ابو محمد) كل من منع قدرة الله عز وجل عن شيء مما ذكرنا فلا شك في كفره لانه عجز ربه تعالى وخالف جميع اهل الاسلام

(قال أبو محمد) وقالوا اذا كان عنده اصلح مما فعل بنا ولم يؤتنا اياه وليس بخيلا وخلق افعال عباده وعذبهم عليها ولم يكن ظالما فلا تنكروا على من قال انه جسم ولا يشبه خلقه وانه يقول غير الحق ولا يكون كاذباً

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق انه تعالى لم يقل انه جسم ولو قاله لقلناه ولم يكن ذلك تشبيها له بخلقه ولم يقل تعالى ان يقول غير الحق بل قد ابطل ذلك وقطع بان قوله الحق فمن قال على الله مالم يقله فهو ملحد كاذب على الله عز وجل وقد قال تعالى انه خلق كل شيء وخلقنا وما نعمل وانه لو شاء لهدى كل كافر وانه غير ظالم ولا بخيل ولا ممسك فقلنا ما قال من كل ذلك ولم نقل مالم يقل وقلنا ماقام به البرهان العقلي من انه تعالى خالق كل موجود دونه وانه تعالى قادر على كل مايسال عنه وانه لا يوصف بشيء من صفات العباد لا ظلم ولا بخل ولا غير ذلك ولم نقل ما قد قام البرهان العقلي على انه باطل من انه جسم او انه يقول غير الحق وقال بعض اصحاب الاصلح وهو ابن بد دالغزال تلميذ محمد بن شبيب تلميذ النظام بلى ان عند الله الطافا لو اتى بها الكفار لا منوا ايمانا يستحقون معه الثواب الا ان الثواب الذي يستحقونه على ما فعل بهم اعظم واجل فلهذا منعهم تلك الالطاف

(قال ابو محمد) وهذا تمويه ضعيف لاننا انما سالناهم هل يقدر الله تعالى على الطاف اذا اتى بها اهل الكفر آمنوا ايمانا يستحقون به مثل هذا الثواب الذي يؤتيهم على الايمان اليوم او اكثر من ذلك الثواب فلا بد له من ترك قوله او يعجز ربه تعالى

(قال ابو محمد) ونسال جميع اصحاب الاصلح فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن كل من شاهد براهين الانبياء عليهم السلام ممن لم يؤمن به وصحت عنده بنقل التواتر هل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها انها شواهد موجبة صدق نبوتهم أم لم يصح ذلك عندهم الا بغالب الظن وبصفة انها انما يمكن ان يكون تخييلا أو سحراً أو نقلا مدخولا ولا بد من أحد الوجهين فان قالوا بل صح ذلك عندهم صحة لا مجال للشك فيها وثبت ذلك في عقولهم بلا شك

أتت عليه سبعة عشر سنة أسلمه أبوه الى افلاطون فمكث عنده نيفا وعشرين سنة وانما سموه بالمعلم الاول لانه واضع التعاليم المنطقية ومخرجها من القوة الى الفعل وحكمها حكم واضع النحو وواضع العروض فان نسبة المنطق الى المعاني التي في الذهن نسبة النحو الى الكلام والعروض الى الشعر وهو واضع لا بمعنى انه لم يكن المعاني مقومة بالمنطق قبله فقومها بل بمعنى انه جرد آلة عن المادة فقومها تقريبا الى أذهان المتعلمين حتى يكون كالميزان عندهم يرجعون اليه عند اشتباه الصواب بالخطا والحق بالباطل الا انه أجمل القول اجمال الممهدين وفصله المتاخرون تفصيل الشارحين وله حق السبق وفضيلة التمهيد وكتبه في الطبيعيات والالهيات والاخلاق معروفة ولها شروح كثيرة ونحن خترنا في انقل مذهبه شرح ثامسطيوس اعتمد . الذي مقدم المتاخرين ورئيسهم أبو

قلنالهم هـذا هوالاضطرار نفسه الذى لااضطرار فى العالم غيره وهـذه صفة كل من ثبت عنده شيء ثباتا متيقنا كمن يتيقن بالخبر الموجب للعلم موت فلان وكون صفين والجمـل وكسائر مالم يشاهدالمرء بحواسه فالـكل علي هذا مضطرون الى الايمان لايختارون له وان قالوا لم يصح عندهم شيء من ذلك هـذه الصحة قلنالهم فماقامت عليهم حجة النبوة قط ولا صحت لله تعالى عليهم حجة ومن كان هكذا فاختياره للايمان انمـاهو استحباب وتقليد واتباع لمامالت اليه نفسه وغلب فى ظنه فقط وفى هذا بطلان جميع الشرائع وسقوط حجة الله تعالى وهذا كفر مجرد

الـكلام فى هل لله تعالى نعمة على الـكفار أم لا

(قال ابو محمد) اختلف المتكلمون فى هذه المسئلة فقالت المعتزلة ان نعم الله تعالى على الـكفار فى الدين والدنيا كنعمه علي المؤمنين ولا فرق وهذا قول فاسد قد نقضناه آنفا ولله الحمد وقالت طائفة أخرى ان الله تعالى لا نعمة له على كافر اصلا لا في دين ولا دنيا وقالت طائفة له تعالى عليهم نعم في الدنيا فامافى الدين فلا نعمة له عليهم فيه أصلا

(قال ابو محمد) قال الله عز وجل * فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر *

(قال ابو محمد) فوجدنا الله عزوجل يقول * الله الذى جعل لـكم الليل لتسكنوافيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولـكن اكثر الناس لا يشكرون * وقال تعالى * الذى جعل لـكم الارض قرارا والسماء بناء وصوركم فاحسن صوركم ورزقـكم من الطيبات ذلـكم الله ربكم *

(قال ابو محمد) فهذا عموم بالخطاب بانعام الله تعالى على كل من خلق الله تعالى وعموم لمن يشكر من الناس والـكفار من جملة ماخلق الله تعالي بلاشك واما اهل الاسلام فكلهم شاكر لله تعالى بالاقرار به ثم يتفاضلون فى الشكر وليس احد من الخلق يبلغ كل ماعليه من شكر الله تعالى فصح ان نعم الله تعـالى فى الدنيا على الـكفار كهي على المؤمنين وربمـا اكثر فى بعضهم فى بعض الاوقات قال تعالى * بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار * وهذا نص جلي على نعم الله تعالى علي الـكفار وانهم بدلوها كفرا فلا يحل لاحد ان يعارض كلام ربه تعالى برأيه الفاسد واما نعمة الله فى الدين فان الله تعالى ارسل اليهم الرسل هادين لهم الى مايرضى الله تعالى وهذه نعمة عامة بلاشك فلما كفروا وجحدوا نعم الله تعالى فى ذلك أعقبهم البلاء وزوال النعمة كما قال عزوجل * ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابانفسهم * وبالله تعالى نتايد وهو حسبنا ونعم الوكيل

كتاب الايمان

(والكفر والطاعات والمعاصى والوعد والوعيد)

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى ماهية الايمان فذهب قوم الي ان الايمان انما هو معرفة الله تعالي بالقلب فقط وان أظهر اليهودية والنصرانية وسائر انواع الكفر بلسانه وعبادته فاذا عرف الله تعالى بقلبه فهو مسلم من اهل الجنة وهذا قول ابي محرز الجهم بن صفوان وابى

على بن سينا وأوردنا نكتا من كلامه فى الالهيات وأحلنا باقى مقالاته فى المسائل علي نقل المتأخرين اذ لم يخالفوه فى رأي ولا نازعوه فى حكم كالمقلدين له المتهالكين عليه وليس الامر على ما مالت اليه ظنونهم . المسئلة الاولى فى اثبات واجب الوجود الذى هو المحرك الاول وقال فى كتاب اثولوجيا من حرف اللام ان الجوهر يقال على ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان وواحد غـير متحرك قال أنا وجـدنا المتحركات علي أثر اختلاف جهاتها وأوضاعها ولابد لكل متحرك من محرك فاما أن المحرك يكون متحركا فيتسلسل القول ولا ينحصر والا فيستند الى محرك غـير متحرك ولا يجوز أن يكون فيه شيء مابالقوة فانه يحتاج الى شيء آخر يخرجه من القوة الى الفعل فالفعل اذا اقدم علي مابالقوة وكل جائز وجوده ففى طبيعته معنى مابالقوة وهو الامكان

الحسن الاشعري البصري واصحابهما وذهب قوم الى ان الايمان هو اقرار باللسان بالله تعالى
وان اعتقد الكفر بقلبه فاذا فعل ذلك فهو مؤمن من أهل الجنة وهذا قول محمد بن كرام
السجستاني واصحابه وذهب قوم الى ان الايمان هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان معا
فاذا عرف المرء الدين بقلبه واقر بلسانه فهو مسلم كامل الايمان والاسلام وأن الاعمال لا تسمى
ايمانا ولكنها شرائع الايمان وهذا قول ابى حنيفة النعمان بن ثابت الفقيه وجماعة من
الفقهآء وذهب سائر الفقهآء واصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة وجميع الخوارج الى
ان الايمان هو المعرفة بالقلب بالدين والاقرار به باللسان والعمل بالجوارح وان كل طاعة
وعمل خير فرضا كان او نافلة فهي ايمان وكل ما ازداد الانسان خيرا ازداد ايمانه وكلما عصى
نقص ايمانه وقال محمد بن زياد الحريري الكوفي من آمن بالله عز وجل وكذب برسول الله صلى
الله عليه وسلم فليس مؤمنا على الاطلاق ولا كافرا على الاطلاق ولكنه مؤمن كافر معا
لانه آمن بالله تعالى فهو مؤمن وكافر بالرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر

(قال ابو محمد) فحجة الجهمية والكرامية والاشعرية ومن ذهب مذهب ابى حنيفة حجة
واحدة وهي انهم قالوا انما انزل القرآن بلسان عربي مبين وبلغة العرب خاطبنا الله تعالى
ورسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان فى اللغة هو التصديق فقط والعمل بالجوارح لا يسمى
فى اللغة تصديقا فليس ايمانا قالوا والايمان هو التوحيد والاعمال لا تسمي توحيدا فليست
ايمانا قالوا ولو كانت الاعمال توحيدا وايمانا لكان من ضيع شيئا منها قد ضيع الايمان وفارق
الايمان فوجب ان لا يكون مؤمنا قالوا وهذه الحجة انما تلزم اصحاب الحديث خاصة لا تلزم
الخوارج ولا المعتزلة لانهم يقولون بذهاب الايمان جملة باضاعة الاعمال

(قال ابو محمد) ما لهم حجة غير ما ذكرنا وكل ما ذكروا فلا حجة لهم فيه أصلا لما نذكره
ان شاء الله عز وجل

(قال ابو محمد) ان الايمان هو التصديق فى اللغة فهذا حجة على الاشعرية والجهمية والكرامية
مبطلة لاقوالهم ابطالا تاما كافيا لا يحتاج معه الى غيره وذلك قولهم ان الايمان فى اللغة التي
بها نزل القرآن هو التصديق فليس كما قالوا على الاطلاق وما سمى قط التصديق بالقلب دون
التصديق باللسان ايمانا فى لغة العرب وما قال قط عربي ان من صدق شيئا بقلبه فاعلن
التكذيب به بقلبه وبلسانه فانه لا يسمي مصدقا به اصلا ولا مؤمنا به البتة وكذلك ما سمي قط
التصديق باللسان دون التصديق بالقلب ايمانا فى لغة العرب اصلا على الاطلاق ولا يسمى
تصديقا فى لغة العرب ولا ايمانا مطلقا الا من صدق بالشيء بقلبه ولسانه معا فبطل تعلق
الجهمية والاشعرية باللغة جملة ثم نقول لمن ذهب مذهب أبي حنيفة فى أن الايمان انما
هو التصديق باللسان والقلب معا وتعلق فى ذلك باللغة ان تعلقكم باللغة لا حجة لكم فيه
أصلا لان اللغة يجب فيها ضرورة ان كل من صدق بشيء فانه مؤمن به وأنتم والاشعرية
والجهمية والكرامية كلكم توقعون اسم الايمان ولا تطلقونه علي كل من صدق بشيء
ما ولا تطلقونه الا على صفة محدودة دون سائر الصفات وهي من صدق بالله عز وجل
وبرسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به القرآن والبعث والجنة والنار والصلاة
والزكاة وغير ذلك مما قد أجمعت الامة على أنه لا يكون مؤمنا من لم يصدق به وهذا خلاف

والجواز فيحتاج الى واجب
به يجب وكذلك كل متحرك
فيحتاج الى محرك فواجب
الوجود بذاته ذات وجودها
غير مستفاد من وجود
غيره وكل موجود
فوجوده مستفاد عنه بالفعل
وجائز الوجود له فى نفسه
وذاته الامكان وذلك اذا
أخذته بشرط علته فله
الوجوب واذا أخذته
بشرط لا علته الامتناع .
المسئلة الثانية فى أن واجب
الوجود واحدا أخذ
ارسطوطاليس يوضح ان
المبدأ الاول واحد من
حيث ان العالم واحد ويقول
أن الكثرة بعد الاتفاق
فى الحد ليست هى كثرة
العنصر وأما ما هو بالآنية
الاولى فليس له عنصر
لانه تمام قائم بالفعل
لا يخالط القوة فاذا المحرك
الاول واحد بالكلمة
والعدد أى الاسم والذات
قال فمحرك العالم واحد
لان العالم واحد هذا نقل
ثامسطيوس وأخذ من
نصر مذهبه يوضح أن
المبدأ الاول واحد من

اللغة مجرد فان قالوا إن الشريعة اوجبت علينا هذا قلنا صدقتم فلا تتعلقوا باللغة حيث جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضوعه في اللغة كما فعلتم آنفا سواء بسواء ولافرق (قال ابو محمد) ولو كان ماقالوه صحيحا لوجب ان يطلق اسم الايمان لكل من صدق بشيء ما ولكان من صدق بالاهية الحلاج وبالاهية المسيح وبالاهية الاوثان مؤمنين لانهم مصدقون بما صدقوا به وهذا لايقوله أحد ممن ينتمي الى الاسلام بل قائله كافر عند جميعهم ونص القرآن بكفر من قال بهذا قال الله تعالى * ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا * فهذا الله عز وجل شهد بان قوما يؤمنون ببعض الرسل وبالله تعالى ويكفرون ببعض فلم يجز مع ذلك ان يطلق عليهم اسم الايمان اصلا بل اوجب لهم اسم الكفر بنص القرآن

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقول محمد بن زياد الحريري لازم لهذه الطوائف كلها لاينفكون عنه على مقتضي اللغة وموجبها وهو قول لم يختلف مسلمان في انه كفر مجرد وانه خلاف للقرآن كما ذكرنا (قال ابو محمد) فبطل تعلق هذه الطوائف باللغة جملة واما قولهم انه لوكان العمل يسمي ايمانا لكان من ضيع منه شيئا فقد اضاع الايمان ووجب ان لايكون مؤمنا فاني قلت لبعضهم وقد ألزمني هذا الالزام كلاما تفسيره وبسطه اننا لانسمي في الشريعة اسما الابان يأمرنا الله تعالى ان نسميه او يبيح لنا الله بالنص ان نسميه لاننا لاندري مراد الله عز وجل منا الا بوحي وارد من عنده علينا ومع هذا فان الله عز وجل يقول منكرا لمن سمى في الشريعة شيئا بغير إذنه عز وجل * ان هي الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى * وقال تعالى * وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لاعلم لنا الا ما علمتنا * فصح انه لاتسمية مباحة لملك ولا لانسي دون الله تعالى ومن خالف هذا فقد افترى على الله عز وجل الكذب وخالف القرآن فنحن لانسمى مؤمنا الا من سماه الله عز وجل مؤمنا ولا نسقط الايمان بعد وجوبه الا عمن أسقطه الله عز وجل عنه ووجدنا بعض الاعمال التي سماها الله عز وجل ايمانا لم يسقط الله عز وجل اسم الايمان عن تاركها فلم يجز لنا ان نسقطه عنه لذلك لكن نقول انه ضيع بعض الايمان ولم يضيع كله كما جاء النص على ما نبين ان شاء الله تعالى

(قال ابو محمد) فاذا سقط كل ماموهت به هذه الطوائف كلها ولم يبق لهم حجة أصلا فلنقل بعون الله عز وجل وتأييده في بسط حجة القول الصحيح الذي هو قول جمهور اهل الاسلام ومذهب الجماعة واهل السنة واصحاب الآثار من ان الايمان عقد وقول وعمل وفي بسط ما اجملناه مما انتقدنا به قول المرجئة وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) اصل الايمان كما قلنا في اللغة التصديق بالقلب وباللسان معا باي شيء صدق المصدق لاشيء دون شيء البتة الا ان الله عز وجل على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقع لفظة الايمان على العقد بالقلب لاشياء محدودة مخصوصة معروفة لا على العقد لكل شيء واوقعها ايضا تعالى على الاقرار باللسان بتلك الاشياء خاصة لا بما سواها واوقعها ايضا على اعمال الجوارح لكل ما هو طاعة له تعالى فقط فلا يحل لاحد خلاف الله تعالى فيما انزله وحكم به وهو تعالى خالق اللغة واهلها فهو أملك بتصريفها وايقاع اسمائها على ما يشاء ولا عجب اعجب ممن اوجد لامرئ القيس أو لزهير أو

حيث انه واجب الوجود لذاته قال ولو كان كثير الحمل واجب الوجود عليه وعلى غيره بالتواطىء فيشملها جنسا وينفصل أحدهما عن الآخر نوعا فيتركب ذاته من جنس وفصل فيسبق أجزاء المركب على المركب سبقا بالذات فلا يكون واجبا بذاته ولانه لو لم يكن هو بعينه لذاته لا لشيء عينه بل أمر خارج عنه فكان واجب الوجود بذلك الامر الخارج فلم يكن واجبا بذاته هذا خلف المسئلة الثالثة في ان واجب الوجود لذاته عقل لذاته وعاقل ومعقول لذاته عقل من غيره أو لم يعقل اما انه عقل فلانه مجرد عن المادة منزه عن اللوازم المادية فلا يحتجب ذاته عن ذاته وأما انه عقل لذاته فلانه مجرد لذاته واما انه معقول لذاته فلانه غير محجوب عن ذاته بذاته أو بغيره قال الاول يعقل ذاته ثم من ذاته يعقل كل شيء فهو يعقل العالم العقلى

لجرير او الحطيئة او الطرماح او لاعرابي اسدي او سلمي او تميمي او من سائر ابناء العرب بوال
على عقبيه لفظا في شعر او نثر جعله في اللغة وقطع به ولم يعترض فيه ثم اذا وجد لله تعالى خالق اللغات
واهلها كلاما لم يلتفت اليه ولا جعله حجة وجعل يصرفه عن وجهه ويحرفه عن مواضعه ويتحيل
في احالته عما اوقعه الله عليه واذا وجد لرسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما فعل به مثل ذلك وتالله
لقد كان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم قبل ان يكرمه الله تعالى بالنبوة وايام كونه فتى بمكة
بلاشك عند كل ذي مسكة من عقل أعلم بلغة قومه وافصح فيها واولى بان يكون ما نطق به من
ذلك حجة من كل خندفي وقيسي وربيعي وأيادي وتيمي وقضاعي وحميري فكيف بعد ان
اختصه الله تعالى للنذارة واجتباه للوساطة بينه وبين خلقه واجرى على لسانه كلامه وضمن حفظه
وحفظ ما يأتي به فاي ضلال اضل ممن يسمع لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب يقول

فعلت فروع الايهقان واطفلت * بالجلهتين ظباؤها ونعامها

فجعله حجة وابو زياد الكلابي يقول ما عرفت العرب قط الايهقان وانما هو اللهق بيت معروف
ويسمع قول ابن احمر كناه نقلق عن ماموسة الحجر وعلماء اللغة يقولون انه لم يعرف قط لاحد
من العرب انه سمى النار ماموسة الا ابن احمر فيجعله حجة ويجيز قول من قال من الاعراب
هذا جحر ضب خرب وسائر الشواذ عن معهود اللغة مما يكثر لو تكلفنا ذكره ونحتج بكل ذلك ثم
يمتنع من ايقاع اسم الايمان على ما اوقعه عليه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم محمد بن عبد الله
القرشي المسترضع في بني سعد بن بكر ويكابر في ذلك بكل باطل وبكل حماقة وبكل دفع للمشاهدة
ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) فمن الآيات التي أوقع الله تعالى فيها اسم الايمان على أعمال الديانة قوله عز وجل
* هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم *

(قال ابو محمد) والتصديق بالشيء أي شيء كان لا يمكن البتة ان يقع فيه زيادة ولا نقص وكذلك
التصديق بالتوحيد والنبوة لا يمكن البتة ان يكون فيه زيادة ولا نقص لانه لا يخلو كل
معتقد بقلبه أو مقر بلسانه باي شيء اقر أو أي شيء اعتقد من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما
أن يصدق بما اعتقد واقر واما ان يكذب بما اعتقد واما منزلة بينهما وهي الشك فمن المحال أن
يكون انسان مكذبا بما يصدق به ومن المحال ان يشك احد فيما يصدق به فلم يبق الا انه مصدق بما
اعتقد بلاشك ولا يجوز أن يكون تصديق واحد اكثر من تصديق آخر لان أحد التصديقين
اذا دخلته داخلة فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم انه قد خرج عن التصديق ولا بد
وحصل في الشك لان معنى التصديق انما هو ان يقع ويوقن بصحة وجود ما صدق به ولا سبيل
الى التفاضل في هذه الصفة فان لم يقطع ولا ايقن بصحته فقد شك فيه فليس مصدقا به واذا
لم يكن مصدقا به فليس مؤمنا به فصح أن الزيادة التي ذكر الله عز وجل في الايمان ليست في
التصديق أصلا ولا في الاعتقاد البتة فهي ضرورة في غير التصديق وليس هاهنا الا الاعمال
فقط فصح يقينا ان اعمال البر ايمان بنص القرآن وكذلك قول الله عز وجل . فاما الذين آمنوا
فزادتهم ايمانا . وقوله تعالى . الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا . فان قال قائل معنى زيادة الايمان هاهنا انما هو لما نزلت تلك الآية صدقوا بها فزادهم
بنزولها ايمانا تصديقا بشيء وارد لم يكن عندهم قبل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا محال لانه

دفعة واحدة من غير احتياج
الى انتقال وتردد من
معقول الى معقول وانه
ليس يعقل الاشياء على انها
أمور خارجة عنه فيعقلها
منه كحالنا عند المحسوسات
بل يعقلها من ذاته وليس
كونه عاقلا وعقلا بسبب
وجود الاشياء المعقولة حتى
يكون وجودها قد جعله
عقلا بل الامر بالعكس أي
عقله للاشياء جعلها موجودة
وليس للاول شيء يكمله
فهو الكامل لذاته المكمل
لغيره فلا يستفيد وجوده
من وجود كمالا وأيضا فانه
لو كان يعقل الاشياء من
الاشياء لكان وجودها
متقدما على وجوده ويكون
جوهره في نفسه في قوامه
وطباعه ان يقبل معقولات
الاشياء فيكون في طباعه
بالقوة من حيث يكمل
بما هو خارج عنه حتى
يقال لولا ما هو خارج عنه
لم يكن له ذلك المعنى وكان
فيه عدمها فيكون الذى
له في طباع نفسه وباعتبار
نفسه من غير اضافة الى
غيره أن يكون عادما

قد اعتقد المسلمون في أول اسلامهم انهم مصدقون بكل ما يأتيهم به نبيهم عليه الصلاة والسلام في المستانف فلم يزدهم نزول الآية تصديقا لم يكونوا اعتقدوه فصح أن الايمان الذي زادتهم الآيات انما هو العمل بها الذي لم يكونوا عملوه ولا عرفوه ولا صدقوا به قط ولا كان جائزا لهم ان يعتقدوه ويعملوا به بل كان فرضا عليهم تركه والتكذيب بوجوبه والزيادة لا تكون الا في كمية عدد لا فيما سواه ولا عدد للاعتقاد ولا كمية وانما لكمية والعدد في الاعمال والاقوال فقط فان قالوا ان تلاوتهم لها زيادة ايمان قلنا صدقتم وهذا هو قولنا والتلاوة عمل بجارحة اللسان ليس اقرارا بالمعتقد ولكنه من نوع الذكر بالتسبيح والتهليل وقال تعالى. وما كان الله ليضيع ايمانكم. ولم يزل اهل الاسلام قبل الجهمية والاشعرية والكرامية وسائر المرجئة مجمعين على انه تعالى انما عنى بذلك صلاتهم الى بيت المقدس قبل ان ينسخ بالصلاة الى الكعبة وقال عزوجل * اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا * وقال عزوجل * وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة * فنص تعالى على أن عبادة الله تعالى في حال اخلاص الدين له تعالى واقام الصلاة وايتاء الزكاة الواردتين في الشريعة كله دين القيمة وقال تعالى. ان الدين عند الله الاسلام * وقال تعالى. ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين. فنص تعالى على ان الدين هو الاسلام ونص قبل على ان العبادات كلها والصلاة والزكاة هي الدين فانتج ذلك يقينا ان العبادات هي الدين والدين هو الاسلام فالعبادات هن الاسلام وقال عزوجل. يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين. وقال تعالى. فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين. فهذا نص جلي على أن الاسلام هو الايمان وقد وجب قبل بما ذكرنا أن أعمال البر كلها هي الاسلام والاسلام هو الايمان فاعمال البر كلها ايمان وهذا برهان ضروري لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى. فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما. فنص تعالى وأقسم بنفسه ان لا يكون مؤمنا الا بتحكيم النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما عن ثم يسلم بقلبه ولا يجد في نفسه حرجا مما قضى فصح ان التحكيم شيء غير التسليم بالقلب وانه هو الايمان الذي لا ايمان لمن لم يأت به فصح يقينا ان الايمان اسم واقع على الاعمال في كل ما في الشريعة وقال تعالى. ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا. فصح ان لا يكون التصديق مطلقا ايمانا الا حتى يستضيف اليه ما نص الله تعالى عليه ومما يتبين ان الكفر يكون بالكلام قول الله عزوجل. ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن ان تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا * الى قوله. ياليتني لم أشرك بربي أحدا * فاثبت الله له الشرك والكفر مع اقراره بربه تعالى اذ شك في البعث وقال تعالى. أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض. فصح ان من آمن ببعض الدين وكفر بشيء منه فهو كافر مع صحة تصديقه لما صدق من ذلك

(قال ابو محمد) وأكثر الاسماء الشرعية فانها موضوعة من عند الله تعالى على مسميات لم يعرفها العرب قط هذا أمر لا يجهله احد من أهل الارض ممن يدري اللغة العربية ويدري الاسماء

للمعقولات ومن شأنه أن يكون له ذلك فيكون باعتبار نفسه مخالطا للامكان والقوة واذا فرضنا انه لم يزل ولا يزال موجودا بالفعل فيجب أن يكون له من ذاته الامر الاكمل الافضل لامن غيره قال واذا عقل ذاته عقل ما يلزمها لذاتها بالفعل وعقل كونه مبدأه وعقل كل ما يصدر عنه على ترتيب الصدور عنه والا فلم يعقل ذاته بكنهها قال وان كان ليس يعقل بالفعل فما الشيء الكريم له وهو الكون الناقص كماله فيكون حاله كحال النائم وان كان يعقل الاشياء من الاشياء فتكون الاشياء متقدمة عليه تتقوم بما يعقله ذاته وان كان يعقل الاشياء من ذاته فهو المراد والمطلب وقد يعبر عن هذا الغرض بعبارة اخرى تؤدي قريبا من هذا المعنى فيقول ان كان جوهره العقل وان يعقل فاما أن يعقل ذاته أو غيره فان كان يعقل شيئا آخر فما هو في حد ذاته غير

الشرعية كالصلاة فان موضوع هذه اللفظة فى لغة العرب الدعاء فقط فاوقعها الله عز وجل على حركات محدودة معدودة من قيام موصوف الى جهة موصوفة لا تتعدى وركوع كذلك وسجود كذلك وقعود كذلك وقراءة كذلك وذكر كذلك فى أوقات محدودة وبطهارة محدودة وبلباس محدود متى لم تكن على ذلك بطلت ولم تكن صلاة وما عرفت العرب قط شيئا من هذا كله فضلا عن أن تسميه حتى أتانا بهذا كله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال بعضهم ان فى الصلاة دعاء فلم يخرج الاسم بذلك عن موضوعه فى اللغة

(قال ابو محمد) وهذا باطل لانه لا خلاف بين أحد من الامة فى ان من أتى بعدد الركعات وقرأ أم القرآن وقرآنا معها فى كل ركعة وأتى بعدد الركوع والسجود والجلوس والقيام والتشهد وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وسلم بتسليمتين فقد صلى كما أمر وان لم يدع بشىء أصلا وفى الفقهاء من يقول ان من صلى خلف الامام فلم يقرأ اصلا ولا تشهد ولا دعا اصلا فقد صلى كما أمر وأيضا فان ذلك الدعاء فى الصلاة لا يختلف احد من الامة فى انه ليس شيئا ولا يسمى صلاة اصلا عند احد من أهل الاسلام فعلى كل قد اوقع الله عز وجل اسم الصلاة على اعمال غير الدعاء ولا بد وعلى دعاء محدود لم تعرفه العرب قط ولا عرفت ايقاع الصلاة على دعاء بعينه دون سائر الدعاء ومنها الزكاة وهى موضوع فى اللغة للنماء والزيادة فاوقعها الله تعالى على اعطاء مال محدود معدود من جملة اموال ما موصوفة محدودة معدودة معينة دون سائر الاموال لقوم محدودين فى اوقات محدودة فان هو تعدى شيئا من ذلك لم يقع على فعله ذلك اسم زكاة ولم تعرف العرب قط هذه الصفات والصيام فى لغة العرب الوقوف تقول صام النهار اذا طال حتى صار كانه واقف لطوله قال امرؤ القيس . اذا صام النهار وهجرا . وقال آخر وهو النابغة الذبيانى

خيل صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وخيل تعلك اللجما

فاوقع الله تعالى اسم الصيام على الامتناع من الاكل والشرب والجماع وتعمد القىء من وقت محدود وهو تبين الفجر الثانى الى غروب الشمس فى أوقات من السنة محدودة فان تعدى ذلك لم يسم صياما وهذا أمر لم تعرفه العرب قط فظهر فساد قول من قال ان الاسماء لا تنقل فى الشريعة عن موضوعها فى اللغة وصح ان قولهم هذا مجاهرة سمجة قبيحة

(قال ابو محمد) فاذ قد وضح وجود الزيادة فى الايمان بخلاف قول من قال انه التصديق فبالضرورة ندرى ان الزيادة تقتضى النقص ضرورة ولا بد لأن معنى الزيادة انما هى عدد مضاف الى عدد واذا كان ذلك فذلك العدد المضاف اليه هو بيقين ناقص عند عدم الزيادة فيه وقد جاء النص بذكر النقص وهو قول رسول الله ﷺ المشهور المنقول نقل الكواف انه قال للنساء ما رأيت من ناقصات عقل ودين أسلب للرجل الحازم منكن قلن يا رسول الله وما نقصان ديننا قال عليه السلام أليس تقيم المرأة العدد من الايام والليالى لا تصوم ولا تصلى فهذا نقصان دينها

(قال ابو محمد) ولو نقص من التصديق شىء لبطل عن ان يكون تصديقا لان التصديق لا يتبعض اصلا ولصار شكا وبالله تعالى التوفيق وهم مقرون بان امرأ لو لم يصدق بآية من القرآن أو بسورة منه وصدق بسائره لبطل ايمانه فصح ان التصديق لا يتبعض اصلا

(قال ابو محمد) وقد نص الله عز وجل على ان اليهود يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وانهم يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل وقال تعالى * فانهم لا يكذبونك

مضاف الى ما يعقله وهل لهذا المعتبر بنفسه فضل وجلال مناسب لان يعقل بأن يكون بعض الأحوال أن يعقل له أفضل من أن لا يعقل وبان لا يعقل يكون له أفضل من أن يعقل فانه لا يمكن القسم الآخر وهو أن يكون يعقل الشىء الآخر أفضل من الذى له فى ذاته من حيث هو فى ذاته شىء يلزمه أن يعقل فيكون فضله وكماله بغيره وهذا محال . المسئلة الرابعة فى أن واجب الوجود لا يعتريه تغير وتأثر من غيره بان يبدع أو يعقل فان البارى تعالى عظيم الرتبة جدا غير محتاج الى غيره ولا متغير بسبب من غيره سواء كان التغير زمانيا أو كان تغيرا بان ذاته يقبل من غيره أثرا وان كان دائما فى الزمان وانما لا يجوز أن يتغير كيف ما كان لان انتقاله انما يكون الى الشر لا الى الخير لان كل رتبة غير رتبته فهو دون رتبته وكل شىء يناله ويوصف به فهو دون نفسه

ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * واخبر تعالى عن الكفار فقال * ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله * فاخبر تعالى انهم يعرفون صدقه ولا يكذبونه وهم اليهود والنصارى وهم كفار بلا خلاف من أحد من الامة ومن انكر كفرهم فلا خلاف من احد من الامة فى كفره وخروجه عن الاسلام ونص تعالى عن ابليس انه عارف بالله تعالى وبملائكته وبرسله وبالبعث وانه قال * رب فانظرنى الى يوم يبعثون * وقال * لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون * وقال . خلقتنى من نار وخلقته من طين . وكيف لا يكون مصدقا بكل ذلك وهو قد شاهد ابتداء خلق الله تعالى لآدم وخاطبه الله تعالى خطابا كثيرا وسأله ما منعك ان تسجد وامره بالخروج من الجنة واخبره انه منظر الى يوم الدين وانه ممنوع من اغواء من سبقت له الهداية وهو مع ذلك كله كافر بلا خلاف اما بقوله عن آدم انا خير منه واما بامتناعه للسجود لا يشك احد فى ذلك ولو كان الايمان هو بالتصديق والاقرار فقط لكان جميع المخلدين فى النار من اليهود والنصارى وسائر الكفار مؤمنين لانهم كلهم مصدقون بكل ما كذبوا به فى الدنيا مقرون بكل ذلك لكان ابليس واليهود والنصارى فى الدنيا مؤمنين ضرورة وهذا كفر مجرد ممن اجازه وانما كفر اهل النار بمنعهم من الاعمال قال تعالى * يوم يدعون الى السجود فلا يستطيعون

(قال أبو محمد) فلجاء هؤلاء المخاذيل الى أن قالوا ان اليهود والنصارى لم يعرفوا قط أن محمدا رسول الله ومعنى قول الله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم أى انهم يميزون صورته ويعرفون ان هذا الرجل هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى فقط وأن معنى قوله تعالى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل انما هو انهم يجدون سوادا فى بياض لا يدرون ما هو ولا يفهمون معناه وان ابليس لم يقل شيئا مما ذكر الله عز وجل عنه انه قال جدا بل قاله هازلا وقال هؤلاء أيضا انه ليس على ظهر الارض ولا كان قط كافر يدرى ان الله حق وان فرعون قط لم يتبين له أن موسي نبي بالآيات التى عمل

(قال ابو محمد) وقالوا اذا كان الكافر يصدق ان الله حق والتصديق ايمان فى اللغة فهو مؤمن اذا أو فيه ايمان ليس به مؤمنا وكلا القولين محال

(قال أبو محمد) هذه نصوص أقوالهم التى رأيناها فى كتبهم وسمعناها منهم وكان مما احتجوا به لهذا الكفر المجرد ان قالوا ان الله عز وجل سمى كل من ذكرنا كفارا ومشركين فدل ذلك على انه علم ان فى قلوبهم كفرا وشركا وجحدا وقال هؤلاء ان شتم الله عز وجل وشتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كفرا لكنه دليل على ان فى قلبه كفرا

(قال أبو محمد) أما قولهم فى أخبار الله تعالى عن اليهود انهم يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم وعن اليهود والنصارى انهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل فباطل بحت ومجاهرة لاحياء معها لانه لو كان كما ذكروا لما كان فى ذلك حجة لله تعالى عليهم وأى معنى أو أى فائدة فى ان يميزوا صورته ويعرفوا انه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب فقط أو فى أن يجدوا كتابا لا يفقهون معناه فكيف ونص الآية نفسها مكذبة لهم لانه تعالى يقول * الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون * فنص تعالى انهم يعلمون الحق فى نبوته وقال فى الآية الاخرى * يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف

ويكون أيضا شيئا مناسبا للحركة خصوصا ان كانت بعدية زمانية وهذا معنى قوله إن التغير الى الشيء الذى هو شر وقد ألزم على كلامه انه اذا كان العقل الاول يعقل أبدا ذاته فانه يتعب ويكل ويتغير ويتاثر وأجاب ثامسطيوس عن هذا بانه انما لا يتعب لانه يعقل ذاته وكما لا يتعب من ان يجب فانه لا يتعب من أن يعقل ذاته قال أبو على بن سينا ليست العلة انه لذاته يعقل أو لذاته يجب بل لانه ليس مضاد الشيء فى جوهر العاقل فان التعب هو أذى يعرض لسبب خروج عن الطبيعة وانما يكون ذلك اذا كانت الحركات التى تتوالى مضادة لمطلوب الطبيعة فاما الشيء الملائم واللذيذ المحض ليس منافاة بوجه فلم يجب أن يكون تكرره متعبا (المسئلة الخامسة) فى أن واجب الوجود حي بذاته باق بذاته أى كامل فى أن يكون بالفعل مدركا لكل شيء نافذ

وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم * وانما اورد تعالى معرفتهم لرسول الله ﷺ محتجا عليهم بذلك لانه اتي من ذلك بكلام لافائدة فيه واما قولهم في ابليس فكلام داخل في الاستخفاف بالله عز وجل وبالقرآن لا وجه له غير هذا اذ من المحال الممتنع في العقل وفي الامكان غاية الامتناع ان يكون ابليس يوافق في هزله عين الحقيقة في أن الله تعالى كرم آدم عليه السلام عليه وانه تعالى أمره بالسجود فامتنع وفي ان الله تعالى خلق آدم من طين وخلقه من نار وفي أخباره آدم ان الله تعالى نهاه عن الشجرة وفي دخوله الجنة وخروجه عنها اذ اخرجه الله تعالى وفي سؤاله الله تعالى النظرة وفي ذكره يوم يبعث العباد وفي اخباره ان الله تعالى اغواه وفي تهديده ذرية آدم قبل ان يكونوا وقد شاهد الملائكة والجنة وابتداء خلق آدم ولا سبيل الى موافقة هازل معنيين صحيحين لا يعلمها فكيف بهذه الامور العظيمة وأخرى ان الله تعالى حاشى له من أن يجيب هازلا بما يقتضيه معنى هزله فانه تعالى امره بالسجود ثم ساله عما منعه من السجود ثم اجابه الى النظرة التي سال ثم اخرجه عن الجنة واخبره انه يعصم منه من شاء من ذرية آدم وهذه كلها معان من دافعها خرج عن الاسلام لتكذيبه القرآن وفارق المعقول لتجويزه هذه المحالات ولحق بالمجانين الوقحاء وأما قولهم ان اخبار الله تعالى بان هؤلاء كلهم كفار دليلا على أن في قلوبهم كفرا وان شتم الله تعالى ليس كفرا ولكنه دليل على أن في القلب كفراً وان كان كافرا لم يعرف الله تعالى قط فهذه منهم دعاوى كاذبة مفتراة لا دليل لهم عليها ولا برهان لا من نص ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من حجة عقل أصلا ولا من اجماع ولا من قياس ولا من قول احد من السلف قبل اللعين جهم بن صفوان وما كان هكذا فهو باطل وافك وزور فسقط قولهم هذا من قرب ولله الحمد رب العالمين فكيف والبرهان قائم بابطال هذه الدعوى من القرآن والسنن والاجماع والمعقول والحس والمشاهدة الضرورية فاما القرآن فان الله عز وجل يقول * ولئن سألتهم من خلق السموات والارض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله * وقال تعالى * وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون * فاخبر تعالى بانهم يصدقون بالله تعالى وهم مع ذلك مشركون وقال تعالى * وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم *

(قال ابو محمد) هذه شهادة من الله مكذبة لقول هؤلاء الضلال لا يردها مسلم أصلا

(قال ابو محمد) وبلغنا عن بعضهم انه قال في قول الله تعالى * يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * ان هذا انكار من الله تعالى لصحة معرفتهم بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وذلك لان الرجال لا يعرفون صحة ابنائهم على الحقيقة وانما هو ظن منهم

(قال ابو محمد) وهذا كفر وتحريف للكلم عن مواضعه ويرد ماشئت منه

(قال ابو محمد) فاول ذلك ان هذا الخطاب من الله تعالى عموم للرجال والنساء من الذين أوتوا الكتاب لا يجوز ان يخص به الرجال دون النساء فيكون من فعل ذلك مفتريا على الله تعالى وبيقين يدرى كل مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى النساء كما بعث الى الرجال والخطاب بلفظ الجمع المذكر يدخل فيه بلا خلاف من اهل اللغة النساء والرجال وقد علمنا ان النساء يعرفن ابناءهن على الحقيقة بيقين والوجه الثاني هو ان الله تعالى لم يقل كما يعرفون من خلقنا من نطفتهم فكان يسوغ لهذا الجاهل حينئذ هذا التمويه البارد باستكراه ايضا وانما قال

تعالى

الامر في كل شيء وقال ان الحياة التي عندنا يقترن بها من ادراك خسيس وتحريك خسيس فاما هناك المشار اليه بلفظ الحياة وهو كون العقل التام بالفعل الذي يعقل من ذاته كل شيء وهو باقي الدهر أزلي فهو حي بذاته باق بذاته عالم بذاته وانما يرجع جميع صفاته الى ما ذكرنا من غير تكثر ولا تغير في ذاته (المسئلة السادسة) في انه لا يصدر عن الواحد الا واحد قال الصادر الاول هو العقل الفعال لان الحركات اذا كانت كثيرة ولكل متحرك محرك فيجب أن يكون عدد المحركات بحسب عدد المتحركات فلو كانت المتحركات والمحركات ينسب اليه لا على ترتيب اول وثاني بل جملة واحدة لتكثرت جهات ذاته الى محرك محرك ومتحرك متحرك فتتكثر ذاته وقد أقمنا البرهان على انه واحد من كل وجه فلن يصدر عن الواحد من كل وجه الا واحد

قال تعالى كما يعرفون ابنائهم فاضاف تعالى البنوة اليهم فمن لم يقل انهم ابناءهم بعد ان جعلهم الله ابناءهم فقد كذب الله تعالى وقد علمنا انه ليس كل من خلق من نطفة الرجل يكون ابنه فولد الزنا مخلوق من نطفة انسان ليس هو اباه فى حكم الديانة اصلا وانما ابناؤنا من جعلهم الله ابناءنا فقط كما ان الله تعالى جعل ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم امهات المؤمنين منهن امهاتنا وان لم يلدننا ونحن ابناؤهن وان لم نخرج من بطونهن فمن انكر هذا فنحن نصدقه لانه حينئذ ليس مؤمنا فلسن امهاته ولا هو ابن لهن والوجه الثالث هو ان الله تعالى انما اورد الآية مبكتا للذين أوتوا الكتاب لا معتذرا عنهم لكن مخبرا بأنهم يعرفون صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بآياته وبما وجدوا فى التوراة والانجيل معرفة قاطعة لا شك فيها كما يعرفون ابناءهم ثم اتبع ذلك تعالى بأنهم يكتمون الحق وهم عالمون به فبطل هذر هذا الجاهل المخذول والحمد لله رب العالمين وقال عز وجل * لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى * فنص تعالى على ان الرشد قد تبين من الغى عموما وقال تعالى * ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدي ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى * وقال تعالى * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيئا . وهذا نص جلى من خالفه كفر فى أن الكفار قد تبين لهم الحق والهدى فى التوحيد والنبوة وقد تبين له الحق فبيقين يدري كل ذي حس سليم انه مصدق بلا شك بقلبه وقال تعالى. فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا (قال ابو محمد) وهذا ايضا نص جلى لا يحتمل تأويلا على ان الكفار جحدوا بالسنتهم الآيات التى اتى بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام واستيقنوا بقلوبهم انها حق ولم يجحدوا قط انها كانت وانما جحدوا انها من عند الله فصح ان الذى استيقنوا منها هو الذي جحدوا وهذا يبطل قول من قال من هذه الطائفة انهم انما استيقنوا كونها وهى عندهم حيل لا حقائق اذ لو كان ذلك لكان هذا القول من الله تعالي كذبا تعالى الله عن ذلك لانهم لم يجحدوا كونها وانما جحدوا انها من عند الله وهذا الذى جحدوا هو الذى استيقنوا بنص الآية وقال تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام انه قال لفرعون . لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر . فمن قال ان فرعون لم يعلم ان الله تعالى حق ولا علم ان معجزات موسى حق من عند الله تعالى فقد كذب ربه تعالى وهذا كفر مجرد وقد شغب بعضهم بان هذه الآية قرئت لقد علمت بضم التاء

(قال ابو محمد) وكلا القراءتين حق من عند الله تعالى لا يجوز ان يرد منهما شيء فنعم موسى عليه السلام علم ذلك وفرعون علم ذلك فهذه نصوص القرآن واما من طريق المعقول والمشاهدة والنظر فانا نقول لهم هل قامت حجة الله تعالى على الكفار كما قامت على المؤمنين بتبين براهينه عز وجل لهم ام لم تقم حجة لله تعالى عليهم قط اذ لم يتبين الحق قط لكافر فان قالوا ان حجة الله تعالى لم تقم قط على كافر اذ لم يتبين الحق للكفار كفروا بلا خلاف من أحد وعذروا الكفار وخالفوا الاجماع وان اقروا ان حجة الله تعالى قد قامت على الكفار بان الحق تبين لهم صدقوا ورجعوا الي الحق والى قول اهل الاسلام وبرهان آخر ان كان أحد منا مذ عقلنا لم نزل نشاهد اليهود والنصارى فما سمعهم أحد الا مقرين

وهو العقل الفعال وله فى ذاته وباعتبار ذاته امكان الوجود وباعتبار علته وجوب الوجود فتكثر ذاته لا من جهة علته فيصدر عنه شيئان ثم يزيد التكثر فى الاسباب فتكثر المسببات والكل ينسب اليه * (المسئلة السابعة) فى عدد المفارقات قال اذا كان عدد المتحركات مترتبا على عدد المحركات فتكون الجواهر المفارقة كثيرة على ترتيب أول وثانى فلكل كرة متحركة محرك مفارق غير متناهى القوة يحرك كما يحرك المشتهى المعشوق ومحرك آخر مزاول للحركة فيكون صورة للجرم المساوى فالاول عقل مفارق والثانى نفس مزاول فالمحركات المفارقة تحرك على انها مشتهاة معشوقة والمحركات المزاولة تحرك على انها مشتهية عاشقة ثم يطلب عدد المحركات من عدد حركات الاكر وذلك شيء لم يكن ظاهرا فى زمانه وانما ظهر بعد والاكر تسعة لما دل

بالله تعالى وبنبوة موسى عليه السلام وان الله تعالى حرم على اليهود العمل في السبت والتحوم فمن الباطل ان يتواطؤا كلهم في شرق الارض وغربها على أعلان مايعتقدون خلافه بلاسبب داع الى ذلك وبرهان آخر وهو انا قد شاهدنا من النصارى واليهود طوائف لايحصى عددهم اسلموا وحسن اسلامهم وكلهم اولهم عن آخرهم يخبر من استخبره متى بقوا انهم في اسلامهم يعرفون ان الله تعالى حق وان نبوة موسى وهارون حق كما كانوا يعرفون ذلك في ايام كفرهم ولافرق ومن انكر هذا فقد كابر عقله وحسه ولحق بمن لايستحق ان يكلم وبرهان آخر وهو انهم لايختلفون في ان نقل التواتر يوجب العلم الضروري فوجب من هذين الحكمين ان اليهود والنصارى الذين نقل اليهم ماأتى به عليه السلام من المعجزات نقل التواتر قد وقع لهم به العلم الضرورى بصحة نبوته من اجلها وهذا لامحيد لهم عنه وبالله تعالى التوفيق واما قولهم ان شتم الله تعالى ليس كفرا وكذلك شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دعوى لان الله تعالى قال * يحلفون بالله ماقالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم * فنص تعالى على أن من الكلام ماهو كفر وقال تعالى * واذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم إذا مثلهم * فنص تعالى ان من الكلام في آيات الله تعالى ماهو كفر بعينه مسموع وقال تعالى * قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم ان نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة * فنص تعالى على ان الاستهزاء بالله تعالى أو بآياته او برسول من رسله كفر فخرج عن الايمان ولم يقل تعالى في ذلك انى علمت ان في قلوبكم كفرا بل جعلهم كفارا بنفس الاستهزاء ومن ادعى غير هذا فقد قول الله تعالى مالم يقل وكذب على الله تعالى وقال عز وجل * انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليوطؤا عدة ماحرم الله * (قال أبو محمد) وبحكم اللغة التى بها نزل القرآن ان الزيادة في الشيء لاتكون البتة الا منه لامن غيره فصح ان النسيء كفر وهو عمل من الاعمال وهو تحليل ماحرم الله تعالى فمن أحل ماحرم الله تعالى وهو عالم بان الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه وكل من حرم ماأحل الله تعالى فقد أحل ماحرم الله عز وجل لان الله تعالى حرم على الناس ان يحرموا ماأحل الله وأما خلاف الاجماع فان جميع أهل الاسلام لايختلفون فيمن أعلن جحد الله تعالى أو جحد رسوله صلى الله عليه وسلم فانه محكوم له بحكم الكفر قطعا اما القتل واما أخذ الجزية وسائر أحكام الكفر وماشك قط أحد في هل هم في باطن امرهم مؤمنون أم لا ولافكروا في هذا لارسول الله صلى الله عليه وسلم ولاأحد من اصحابه ولا احد ممن بعدهم وأما قولهم ان الكفار اذا كانوا مصدقين بالله تعالى وبنبيه صلى الله عليه وسلم بقلوبهم والتصديق في اللغة التى بها نزل القرآن هو الايمان ففيهم بلاشك ايمان فالواجب ان يكونوا بايمانهم ذلك مؤمنين أو ان يكون فيهم ايمان ليسوا بكونه فيهم مؤمنين ولابد من أحد الامرين

(قال ابو محمد) وهذا تمويه فاسد لان التسمية كما قدمنا لله تعالى لا لاحد دونه وقد أوضحنا البراهين على ان الله تعالى نقل اسم الايمان في الشريعة عن موضوعه في اللغة الى معنى آخر وحرم في الديانة ايقاع اسم الايمان على التصديق المطلق ولولا نقل الله تعالى للفظة الايمان كما ذكرنا

لوجب

الرصد عليها فالعقول المفارقة عشرة منها مدبرات النفوس التسعة المزاولة وواحد هو العقل الفعال (المسئلة الثامنة) في أن الاول منتهج بذاته قال ارسطوطاليس اللذة في المحسوسات هو الشعور بالملائم وفى المعقولات الشعور بالكمال الواصل اليه من حيث يشعر به فالاول مغتبط بذاته متلذذ بها لانه يعقل ذاته على كمال حقيقتها وشرفها وان جل عن أن ينسب اليه لذة انفعالية بل يجب أن يسمي ذلك بهجة وعلاء وبهاء كيف ونحن نلتذ بادراك الحق ونحن مصروفون عنه مردودون في قضاء حاجات خارجة عما يناسب حقيقتنا التى نحن بها ناس وذلك ضعف عقولنا وقصورنا في المعقولات وانغماسنا في الطبيعة البدنية لكنا نتوصل اليها على سبيل الاختلاس فيظهر لنا اتصال بالحق الاول فيكون كسعادة عجيبة في زمان قليل جدا وهذه الحالة له أبدا وهو

لوجب ان يسمي كل كافر على وجه الارض مؤمناً وان يخبر عنهم بان فيهم ايمانا لانهم مؤمنون ولابد باشياء كثيرة مما في العالم يصدقون بها هذا لا ينكره ذو مسكة من عقل فلما صح اجماعنا واجماعهم واجماع كل من ينتمي الى الاسلام على انهم وان صدقوا باشياء كثيرة فانه لا يحل لاحد ان يسميهم مؤمنين على الاطلاق ولا ان يقول ان لهم ايمانا مطلقا اصلا لم يجز لاحد ان يقول في الكافر المصدق بقلبه ولسانه بان الله تعالى حق والمصدق بقلبه ان محمداً رسول الله انه مؤمن ولا ان فيه ايماناً أصلا الا حتى يأتي بما نقل الله تعالى اليه اسم الايمان من التصديق بقلبه ولسانه بان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله وان كل ما جاء به حق وانه بريء من كل دين غير دينه ثم يتمادى باقراره على مالا يتم ايمان الا بالاقرار به حتى يموت لكننا نقول ان في الكافر تصديقا بالله تعالى هو به مصدق بالله تعالى وليس بذلك مؤمنا ولا فيه ايمان كما امرنا الله تعالى لا كما مرجهم (١) والاشعري

(قال ابو محمد) فبطل هذا القول المتفق على تكفير قائله وقد نص على تكفيرهم ابو عبيد القاسم في كتابه المعروف برسالة الايمان وغيره ولنا كتاب كبير نقضنا فيه شبه اهل هذه المقالة الفاسدة كتبناه على رجل منهم يسمى عطاف بن دوناس من اهل قيروان افريقية وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واما من قال ان الايمان انما هو الاقرار باللسان فانهم احتجوا بان النبي صلى الله عليه وسلم وجميع اصحابه رضي الله عنهم وكل من بعدهم قد صح اجماعهم على ان من اعلن بلسانه بشهادة الاسلام فانه عندهم مسلم محكوم له بحكم الاسلام وبقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوداء اعتقها فانها مؤمنة وبقوله صلى الله عليه وسلم لعمه ابو طالب قل كلمة احاج لك بها عند الله عز وجل

(قال ابو محمد) وكل هذا لا حجة لهم فيه اما الاجماع المذكور فصحيح وانما حكمنا لهم بحكم الايمان في الظاهر ولم نقطع على انه عند الله تعالى مؤمن وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بما ارسلت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله وقال عليه السلام من قال لا إله الا الله مخلصا من قلبه واما قوله عليه السلام في السوداء انها مؤمنة فظاهر الامر كما قال عليه السلام اذ قال له خالد ابن الوليد رب مصل يقول بلسانه ماليس في قلبه فقال عليه السلام اني لم ابعث لاشق عن قلوب الناس واما قوله لعمه احاج لك بها عند الله فنعم يحاج بها على ظاهر الامر وحسابه على الله تعالى فبطل كل ما موهوا به ثم نبين بطلان قولهم ان شاء الله تعالى فنقول وبالله تعالى تتايد انه يبين بطلان قول هؤلاء قول الله عز وجل * ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون * وقوله عز وجل * يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم * وقوله

(١) قوله والاشعري الخ لم يقل الاشعري ان من في قلبه تصديق بشيء من العقائد يسمى مؤمنا لانه وان قال ان الايمان هو التصديق لكنه اشترط في تحققه الاسلام فلا يتحقق ايمان بدون الاسلام ولا اسلام بدون ايمان هذا هو مذهب الاشعري فالخلاف بينه وبين ماقال ابن حزم لفظي لا معنوي حتى يلزم تكفيره تامل اه مصححه

لنا غير ممكن لانا مدينون ولا يمكننا أن نشم تلك البارقة الاخطفة وخلسة . (المسئلة التاسعة) في صدور نظام الكل وترتيبه منه قال قد بينا ان الجوهر على ثلاثة أضرب اثنان طبيعيان وواحد غير متحرك وقد بينا القول في الواحد الغير المتحرك وأما الاثنان الطبيعيان فهما الهيولى والصورة أو العنصر والصورة وهما مبدأ الاجسام الطبيعية وأما العدم فيعد من المبادي بالعرض لا بالذات فالهيولى جوهر قابل للصورة والصورة معنى مايقترن بالجوهر فيصير به نوعا كالجزء المقوم له لا كالعرض الحال فيه والعدم مايقابل الصورة فانا متى توهمنا ان الصورة لم تكن فيجب أن يكون في الهيولى عدم الصورة والعدم المطلق مقابل للصورة المطلقة والعدم الخاص مقابل للصورة الخاصة قال وأول الصورة التي تسبق الى الهيولى هي الابعاد الثلاثة فيصير جرما ذا طول وعرض

. قالت الاعراب آمناقل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم * وقال تعالى . انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا *
(قال ابو محمد) فان قالوا انما هذه الآية بمعنى ان هذه الافعال تدل على ان فى القلب ايمانا قلنا لهم لو كان ماقلتم لوجب ولابد ان يكون ترك من ترك شيئا من هذه الافعال دليلا على انه ليس فى قلبه ايمان وانتم لا تقولون هذا اصلا مع ان هذا صرف للآية عن وجهها وهذا لا يجوز الا ببرهان وقولهم هذا دعوى بلا برهان وقال تعالى * انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون * وقال تعالى * والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا * فاثبت عز وجل لهم الايمان الذى هو التصديق ثم اسقط عنا ولايتهم اذ لم يهاجروا فابطل بذلك ايمانهم المطلق ثم قال تعالى * والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا * فصح يقينا ان هذه الاعمال ايمان حق وعدمها ليس ايمانا وهذا غاية البيان وبالله تعالى التوفيق وقال تعالى * اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون * فنص عز وجل فى هذه الآية على أن من آمن بلسانه ولم يعتقد الايمان بقلبه فانه كافر ثم اخبرنا تعالى بالمؤمنين منهم وانهم الذين آمنوا وايقنوا بالسنتهم وقلوبهم معا وجاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم واخبر تعالى ان هؤلاء هم الصادقون
(قال ابو محمد) ويلزمهم ان المنافقين مؤمنون لاقرارهم بالايمان بالسنتهم وهذا قول مخرج عن الاسلام وقد قال تعالى * ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا * وقال تعالى . اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اتخذوا ايمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم * فقطع الله تعالى عليهم بالكفر كما ترى لانهم ابطنوا الكفر
(قال ابو محمد) وبرهان آخر وهو ان الاقرار باللسان دون عقد القلب لا حكم له عند الله عز وجل لان احدنا يلفظ بالكفر حاكيا وقارئا له فى القرآن فلا يكون بذلك كافرا حتى يقر أنه عقده
(قال أبو محمد) فان احتج بهذا أهل المقالة الاولى وقالوا هذا يشهد بان الاعلان بالكفر ليس كفرا قلنا له وبالله تعالى التوفيق قد قلنا ان التسمية ليست لنا وانما هى لله تعالى فلما امرنا تعالى بتلاوة القرآن وقد حكى لنا فيه قول اهل الكفر واخبرنا تعالى انه لا يرضى لعباده الكفر خرج القارىء للقرآن بذلك عن الكفر الى رضى الله عز وجل والايمان بحكايته ما نص الله تعالى باداء الشهادة بالحق فقال تعالى * الا من شهد بالحق وهم يعلمون خرج الشاهد المخبر عن الكافر بكفره عن ان يكون بذلك كافرا الى رضى الله عز وجل والايمان ولما قال تعالى * إلا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا * اخرج من ثبت اكراهه عن ان يكون باظهار الكفر كافرا الى رخصة الله تعالى والثبات على الايمان وبقى من اظهر الكفر لا قاريا ولا شاهدا ولا حاكيا ولا مكرها على وجوب الكفر له باجماع الامة على الحكم له بحكم الكفر وبحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وبنص القرآن

وعمق وهو الهيولى الثانية وليست بذات كيفية ثم تلحقها الكيفيات الاربعة التى هي الحرارة والبرودة الفاعلتان والرطوبة واليبوسة المنفعلتان فتصير الاركان والاستقصات الاربعة التى هى النار والهواء والماء والارض وهى الهيولى الثالثة ثم يتكون منها المركبات التى يلحقها الاعراض والكون والفساد ويكون بعضها هيولى بعض قال وانما رتبنا هذا الترتيب في العقل والوهم خاصة دون الحس وذلك أن الهيولى عندنا لم تكن معراة عن الصورة قط فلم يقدر في الوجود جوهرا مطلقا قابلا للابعاد ثم لحقها الابعاد ولا جسما عاريا عن هذه الكيفيات ثم عرض لها ذلك وانما هو عند نظرنا في هو اقدم بالطبع وأبسط فى الوهم والعقل ثم أثبت طبيعية خامسة وراء هذه الطبائع لا تقبل الكون ولا الفساد ولا يطرأ عليها الاستحالة والتغير وهي طبيعة السماء وليس يعنى

على من قال كلمة الكفر انه كافر وليس قول الله عزوجل ولكن من شرح بالكفر صدرا على ماظنوه من اعتقاد الكفر فقط بل كل من نطق بالكلام الذى يحكم لقائله عند اهل الاسلام بحكم الكفر لاقاريا ولاشاهدا ولاحاكيا ولامكرها فقد شرح بالكفر صدرا بمعنى انه شرح صدره لقبول الكفر المحرم على اهل الاسلام وعلى اهل الكفران يقولوه وسواء اعتقده أولم يعتقده لان هذا العمل من اعلان الكفر على غير الوجوه المباحة فى ايراده وهو شرح الصدر به فبطل تمويههم بهذه الآية وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون * فنص الله تعالى على الايمان انه شيء قبل نفى الارتياب ونفى الارتياب لايكون ضرورة الا بالقلب وحده فصح ان الايمان اذ هو قبل نفى الارتياب شيء آخر غير نفى الارتياب والذى قبل نفى الارتياب هو القول باللسان ثم التصديق بالقلب والجهاد مع ذلك بالبدن والنفس والمال فلا يتم الايمان بنص كلام الله عزوجل الا بهذه الاقسام كلها فبطل بهذا النص قول من زعم ان الايمان هو التصديق بالقلب وحده او القول باللسان وحده اوكلاهما فقط دون العمل بالبدن وبرهان آخر وهو ان نقول لهم اخبرونا عن أهل النار المخلدين فيها الذين ماتوا على الكفر ام حين كونهم فى النار عارفون بقلوبهم صحة التوحيد والنبوة الذى بجحدهم لكل ذلك ادخلوا النار وهل هم حينئذ مقرون بذلك بالسنتهم أم لا ولا بد من احدهما فان قالوا هم عارفون بكل ذلك مقرون به بالسنتهم وقلوبهم قلنا أهم مؤمنون أم غير مؤمنين فان قالوا هم غير مؤمنين قلنا قد تركتم قولكم ان الايمان هو المعرفة بالقلب او الاقرار باللسان فقط اوكلاهما فقط فان قالوا هذا حكم الآخرة قلنا لهم فاذ جوزتم نقل الاسماء عن موضوعها فى اللغة فى الآخرة فمن اين منعتم من ذلك فى الدنيا ولم تجوزوه لله عز وجل فيها وليس فى الحماقة اكثر من هذا وان قالوا بل هم مؤمنون قلنا لهم فالنار اذن أعدت للمؤمنين لا للكافرين وهى دار المؤمنين وهذا خلاف القرآن والسنن واجماع اهل الاسلام المتقين وان قالوا بل هم غير عارفين بالتوحيد ولا بصحة النبوة فى حال كونهم فى النار اكذبهم نصوص القرآن وكذبوا ربهم عزوجل فى اخباره انهم عارفون بكل ذلك هاتفون به بالسنتهم راغبون فى الرجعة والاقالة نادمون على ماسلف منهم وكذبوا نصوص المعقول وجاهروا بالمحال اذ جعلوا امن شاهد القيامة والحساب والجزاء غير عارف بصحة ذلك فصح بهذا انه لا ايمان ولا كفر الا ماسماه الله تعالى ايمانا وكفرا او شركا فقط ولا مؤمن ولا كافر ولا مشرك الا من سماه الله تعالى بشيء من ذلك اما فى القرآن واما على لسان النبى صلى الله عليه وسلم

(قال ابو محمد) وأما من قال ان الايمان هو العقد بالقلب والاقرار باللسان دون العمل بالجوارح فلا نكفر من قال بهذه المقالة وان كانت خطا وبدعة واحتجوا بان قالوا اخبرونا عمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله وبرئ من كل دين حاشا الاسلام وصدق بكل ماجاء به النبى صلى الله عليه وسلم واعتقد ذلك بقلبه ومات اثر ذلك أمؤمن هو أم لا فان جوابنا انه مؤمن بلا شك عند الله عزوجل وعندنا قالوا فاخبرونا اناقص الايمان هو أم كامل الايمان قالوا فان قلتم انه كامل الايمان فهذا قولنا وان قلتم انه ناقص الايمان سالنا كم ماذا نقصه

بالخامسة طبيعة من جنس هذه الطبائع بل معنى ذلك أن طبائعها خارجة عن هذه ثم هى على تركيبات يختص كل تركيب خاص بطبيعة خاصة ويتحرك بحركة خاصة ولكل متحرك محرك مزاول ومحرك مفارق والمتحركات أحياء ناطقون والحيوانية والناطقية لها بمعنى آخر وانما يحمل ذلك عليها وعلى الانسان بالاشتراك فترتب العالم كله علوية وسفلية على نظام واحد وصار النظام فى الكل محفوظا بعناية المبدأ الاول على أحسن ترتيب وأحكم قوام متوجها الى الخير وترتيب الموجودات كلها فى طباع الكل على نوع نوع ليس على ترتيب المساواة فليس حال السباع كحال الطائر لاحالها كحال النبات ولا حال النبات كحال الحيوان وليس مع هذا التفاوت منقطعا بعضها عن بعض بحيث لا ينسب بعضها الى بعض بل هناك مع الاختلاف اتصال واضافة جامعة

من الايمان وماذا معه مع الايمان

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق انه مؤمن ناقص الايمان بالاضافة الى من له ايمان زائد باعمال لم يعملها هذا وكل واحد فهو ناقص الايمان بالاضافة الى من هو افضل اعمالا منه حتى يبلغ الامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا احدا تم ايمانا منه بمعنى احسن اعمالا منه واما قولهم ما الذى نقصه من الايمان فانه نقصه الاعمال التي عملها غيره والتي ربنا عزوجل اعلم بمقاديرها

(قال أبو محمد) ومما يبين ان اسم الايمان فى الشريعة منقول عن موضوعه فى اللغة وان الكفر ايضا كذلك فان الكفر فى اللغة التغطية وسمى الزراع كافرا لتغطيته الحب وسمى الليل كافرا لتغطيته كل شيء قال الله عز وجل * فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع * وقال تعالى * كزرع اعجب الكفار نباته * يعنى الزراع وقال لبيد بن ربيعة يمينها القت زكاة فى كافر . يعنى الليل ثم نقل الله تعالى اسم الكفر فى الشريعة الى جحد الربوبية وجحد نبوة نبي من الانبياء صحت نبوته فى القرآن أو جحد شيء مما اتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم مما صح عند جاحده بنقل الكافة أو عمل شيء قام البرهان بان العمل به كفر مما قد بيناه فى كتاب الايصال والحمد لله رب العالمين فلو ان انسانا قال ان محمدا عليه الصلاة والسلام كافر وكل من تبعه كافر وسكت وهو يريد كافرون بالطاغوت كما قال تعالى * فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها * لما اختلف احد من اهل الاسلام فى ان قائل هذا محكوم له بالكفر وكذلك لو قال ان ابليس وفرعون وابا جهل مؤمنون لما اختلف احد من اهل الاسلام فى ان قائل هذا محكوم له بالكفر وهو يريد مؤمنون بدين الكفر فصح عند كل ذى مسكة من تمييز أن اسم الايمان والكفر منقولان فى الشريعة عن موضوعهما فى اللغة بيقين لا شك فيه وانه لا يجوز ايقاع اسم الايمان المطلق على معنى التصديق باى شيء صدق به المرء ولا يجوز ايقاع اسم الكفر على معنى التغطية لاي شيء غطاه المرء لكن على ما اوقع الله تعالى عليه اسم الايمان واسم الكفر ولا مزيد وثبت يقينا ان ما عدا هذا ضلال مخالف للقرآن وللسنن ولاجماع اهل الاسلام اولهم عن آخرهم وبالله تعالى التوفيق وبقى حكم التصديق على حاله فى اللغة لا يختلف فى ذلك انسى ولا جنى ولا كافر ولا مؤمن فكل من صدق بشيء فهو مصدق به فمن صدق بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم ولم يصدق بما لا يتم الايمان الا به فهو مصدق بالله تعالى أو برسوله صلى الله عليه وسلم وليس مؤمنا ولا مسلما لكنه كافر مشرك لما ذكرنا وبالله تعالى التوفيق والحمد لله رب العالمين

اعتراضات للمرجئية الطبقات الثلاث المذكورة

(قال أبو محمد) ان قال قائل اليس الكفر ضد الايمان قلنا وبالله تعالى التوفيق اطلاق هذا القول خطأ لان الايمان اسم مشترك يقع على معان شتى كما ذكرنا فمن تلك المعانى شيء يكون الكفر ضداً له ومنها ما يكون الفسق ضدا له لا الكفر ومنها ما يكون الترك ضده لا الكفر ولا الفسق فاما الايمان الذى يكون الكفر ضدا له فهو العقد بالقلب والاقرار باللسان فان الكفر ضد لهذا الايمان واما الايمان الذى يكون الفسق ضدا له لا الكفر فهو ما كان من الاعمال فرضا فان تركه ضد للعمل وهو فسق لا كفر واما الايمان الذي يكون الترك له

للكل يجمع الكل الى الاصل الاول الذى هو المبدأ لفيض الجود والنظام فى الوجود على ما يمكن فى طباع الكل أن يترتب عنه قال وترتيب الطباع فى الكل كترتيب المنزل الواحد من الارباب والاحرار والعبيد والبهائم والسباع فقد جمعهم صاحب المنزل ورتب لكل واحد مكانا خاصا وقدر له عملا خاصا ليس قد أطلق لهم أن يعملوا ما شاؤا وأحبوا فان ذلك يؤدى الى تشويش النظام فهم وان اختلفوا فى مراتبهم وانفصل بعضهم عن بعض باشكالهم وصورهم منتسبون الى مبدأ واحد صادرون عن رأيه وأمره مصرفون تحت حكمه وقدره فكذلك يجرى الحال فى العالم بأن يكون هناك أجزاء أول مفردة متقدمة لها أفعال مخصوصة مثل السموات ومحركاتها ومدبراتها وما قبلها من العقل الفعال وأجزاء مركبة متأخرة تجري أكثر أمورها على الاتفاق المخلوط بالطبع

ضدا فهو كل ما كان من الاعمال تطوعا فان تركه ضد العمل به وليس فسقا ولا كفراً برهان ذلك ما ذكرناه من ورود النصوص بتسمية الله عزوجل اعمال البر كلها ايمانا وتسميته تعالى ما سمى كفرا وما سمي فسقا وما سمى معصية وما سمى اباحة لا معصية ولا كفرا ولا ايمانا وقد قلنا ان التسمية لله عزوجل لا لاحد غيره فان قال قائل منهم اليس جحد الله عز وجل بالقلب فقط لا باللسان كفرا فلابد من نعم قال فيجب على هذا ان يكون التصديق باللسان وحده ايمانا فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان هذا كان يصح لكم لو كان التصديق بالقلب وحده او باللسان وحده ايمانا وقد اوضحنا آنفا انه ليس شيء من ذلك على انفراده ايمانا وانه ليس ايمانا الا ما سماه الله عزوجل ايمانا وليس الكفر الا ما سماه الله عزوجل كفرا فقط فان قال قائل من اهل الطائفة الثالثة أليس جحد الله تعالى بالقلب وباللسان هو الكفر كله فكذلك يجب أن يكون الاقرار بالله تعالى باللسان والقلب هو الايمان كله قلنا وبالله تعالى نتأيد ليس شيء مما قلتم بل الجحد لشيء مما صح البرهان انه لا ايمان الا بتصديقه كفر والنطق بشيء من كل ما قام البرهان ان النطق به كفر كفر والعمل بشيء مما قام البرهان بانه كفر كفر فالكفر يزيد وكلما زاد فيه فهو كفر والكفر ينقص وكله مع ذلك ما بقي منه وما نقص فكله كفر وبعض الكفر اعظم واشد واشنع من بعض وكله كفر وقد اخبر تعالى عن بعض الكفر انه تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا وقال عز وجل * هل تجزون الا ما كنتم تعملون * ثم قال * ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار. وقال تعالى * أدخلوا آل فرعون اشد العذاب * فاخبر تعالى ان قوما يضاعف لهم العذاب فاذ كل هذا قول الله عزوجل وقوله الحق فالجزاء على قدر الكفر بالنص وبعض الجزاء اشد من بعض بالنصوص ضرورة والايمان ايضا يتفاضل بنصوص صحاح وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والجزاء عليه في الجنة يتفاضل بلا خلاف فان قال من الطبقتين الاولتين اليس من قولكم من عرف الله عزوجل والنبي صلى الله عليه وسلم واقربهما بقلبه فقط الا انه منكر بلسانه لكل ذلك اولبعضه فانه كافر وكذلك من قولكم ان من اقر بالله عزوجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم بلسانه فقط الا انه منكر بقلبه لكل ذلك اولبعضه فانه كافر

(قال ابو محمد) فجوابنا نعم هكذا نقول قالوا فقد وجب من قولكم اذا كان بما ذكرنا كافرا ان يكون فعله ذلك كفرا ولابد اذ لا يكون كافرا الا بكفره فيجب على قولكم ان الاقرار بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم بالقلب كفر ولابد ويكون الاقرار بالله تعالى ايضا وبرسوله صلى الله عليه وسلم باللسان ايضا كفر ولابد وانتم تقولون انهما ايمان فقد وجب على قولكم ان يكونا كفرا ايمانا معا وفاعلهما كافرا مؤمنا معا وهذا كما ترون

(قال أبو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان هذا شغب ضعيف والزام كاذب سموه لا نا لم نقل قط ان من اعتقد وصدق بقلبه فقط بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وانكر بلسانه ذلك اوبعضه فان اعتقاده لتصديق ذلك كفر ولا انه كان بذلك كافرا وانما قلنا انه كفر بترك اقراره بذلك بلسانه فهذا هو الكفر وبه صار كافرا وبه اباح الله تعالى دمه او اخذ الجزية منه باجماعكم معنا واجماع جميع اهل الاسلام وكان تصديقه بقلبه فقط بكل ذلك لغوا محبطا كانه لم يكن ليس ايمانا ولا كفرا ولا طاعة ولا معصية قال تعالى * لئن أشركت ليحبطن عملك * وقال تعالى * يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي

والارادة والجبر الممزوج بالاختيار ثم ينسب الكل الى عناية البارى جلت عظمته. (المسئلة العاشرة) فى أن النظام فى الكل متوجه الى الخير والشر واقع فى القدر بالعرض وقال لما اقتضت الحكمة الالهية نظام العالم على أحسن إحكام وإتقان لا لارادة وقصد فى السافل حتى يقال انما أبدع العقل مثلا لغرض فى السافل حتى يفيض مثلا على السافل فيضا بل لامر أعلى من ذلك وهو أن ذاته أبدع ما أبدع لذاته لا لعلة ولا لغرض فوجدت الموجودات كاللوازم واللواحق ثم توجهت الى الخير لانها صادرة عن أصل الخير وكان المصير فى كل حال رأس واحد ثم ربما يقع شر وفساد من مصادمات فى الاسباب السافلة دون العالية التى كلها خير مثل المطر الذى لم يخلق الا خيرا ونظاما للعالم فيتفق أن يخرب به بيت عجوز كان ذلك واقعا بالعرض

ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون * وبالضرورة يدرى كل مسلم ان من حبط عمله وبطل فقد سقط حكمه وتاثيره ولم يبق له رسم وكذلك لم نقل ان من اقر بلسانه وحده بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وجحد بقلبه ان اقراره بذلك بلسانه كفر ولا انه كان به كافرا لكنه كان كافرا بجحده بقلبه لما جحد من ذلك وجحده لذلك هو الكفر وكان اقراره بكل ذلك بلسانه لغوا محبطا كما ذكرنا لا ايمانا ولا كفرا ولا طاعة ولا معصية وبالله تعالى التوفيق فسقط هذا الايهام الفاسد فان قال قائل منهم اليس بعض الايمان ايمانا وبعض الكفر كفرا واراد ان يلزمنا من هذا ان العقد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح اذا كان ذلك ايمانا فابعاضه اذا انفردت ايمانا أوان نقول ان ابعاض الايمان ليست ايمانا فيموه بهذا

(قال ابو محمد) فجوابنا وبالله تعالى التوفيق اننا نقول ونصرح انه ليس بعض الايمان ايمانا اصلا بل الايمان متركب من اشياء اذا اجتمعت صارت ايمان كالبلق ليس السواد وحده بلقا ولا البياض وحده بلقا فاذا اجتمعا صارا بلقا وكالباب ليس الخشب وحده بابا ولا المسامير وحدها بابا فاذا اجتمعا على شكل سمي حينئذ بابا وكالصلاة فان القيام وحده ليس صلاة ولا الركوع وحده صلاة ولا الجلوس وحده صلاة ولا القراءة وحدها صلاة ولا الذكر وحده صلاة ولا استقبال القبلة وحده صلاة اصلا فاذا اجتمع كل ذلك سمي المجتمع حينئذ صلاة وكذلك الصيام المفترض والمندوب اليه ليس صيام كل ساعة من النهار على انفرادها صياما فاذا اجتمع صيامها كلها يسمى صياما وقد يقع في اليوم الاكل والجماع والشراب سهوا فلا يمنع ذلك من ان يكون صيامه صحيحا والتسمية لله عزوجل كما قدمنا لا لاحد دونه بل من الايمان شيء اذا انفرد كان كفرا كمن قال مصدقا بقلبه لا اله الا الله محمد رسول الله فهذا ايمان فلو افرد لا اله وسكت سكوت قطع كفر بلا خلاف من احد ثم نسالهم فنقول لهم فاذا انفرد صيامه اوصلاته دون ايمان اهي طاعة فمن قولهم لا فقد صاروا فيما أرادوا ان يموهوا به علينا من ان ابعاض الطاعات اذا انفردت لم تكن طاعة بل كانت معصية واذا اجتمعت كانت طاعة

(قال ابو محمد) فان قالوا اذا كان النطق باللسان عندكم ايمانا فيجب اذا عدم النطق بأن يسكت الانسان بعد اقراره ان يكون سكوته كفرا فيكون بسكوته كافرا قلنا ان هذا يلزمنا عندكم لما تقولون ان سألكم اصحاب محمد بن كرام فقالوا لكم اذا كان الاعتقاد بالقلب هو الايمان عندكم فيجب اذا سها عن الاعتقاد واحضاره ذكره اما في حال حديثه مع من يتحدث اوفي حال فكره او نومه ان يكون كافرا وان يكون ذلك السهو كفرا فجوابهم انه محمول على ماصح منه من الاقرار باللسان

(قال ابو محمد) ونقول للجهمية والاشعرية في قولهم ان جحد الله تعالى وشتمه وجحد الرسول صلى الله عليه وسلم اذا كان كل ذلك باللسان فانه ليس كفرا لكنه دليل على ان في القلب كفرا اخبرونا عن هذا الدليل الذي ذكرتم اتقطعون به فتثبتونه يقينا ولا تشكون في ان في قلبه جحدا للربوبية وللنبوة ام هو دليل يجوز ويدخله الشك ويمكن ان لا يكون في قلبه كفر ولابد من احدهما فان قالوا انه دليل لا نقطع به قطعا ولا نثبته يقينا قلنا لهم فما بالكم تحتجون بالظن الذى قال تعالى فيه * ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغني من الحق

بالذات وبان لا يقع شر جزئي في العالم لا يقتضي الحكمة أن يوجد خير كلي فان فقدان المطر أصلا شر كلي وتخريب بيت عجوز شر جزئي والعالم للنظام الكلى لا الجزئي فالشر اذا وقع في القدر بالعرض وقال ان الهيولى قد لبست الصورة على درجات ومراتب وانما يكون لكل درجة مايحتمله في نفسها دون أن يكون في الفيض الاعلى امساك عن بعض وأفاضة على بعض فالدرجة الاولى احتمالها على نحو أفضل والثانية دون ذلك والذى عندنا من العناصر دون الجميع لان كل ماهية من ماهيات هذه الاشياء انما تحتمل ما يستطيع أن يلبس من الفيض علي النحو الذى كي له ولذلك تقع العاهات والتشويهات في البدن لما يلزم من صورة المادة الناقصة التى لا تقبل الصورة على كمالها الاول والثاني قال انا ان لم نجر الامور على

الحق شيئا * واعجب من هـذا انكم اماقلتم ان اعلان الـكفر انما قلنا انه دليل على ان فى القلب كفرا لان الله تعالى سماهم كفاراً فلا يمكننا رد شهادة الله تعالى فماد هذا البلاء عليكم لانـكم قطعتم انها شهادة الله عز وجل ثم لم تصدقوا شهادته ولا تطعتم بها بل شككتم فيها وهذا تكذيب من لاخفاء به واما نحن فمعاذالله من ان نقول اونعتقد ان الله تعـالى شهد بهذا قط بل من ادعى ان الله شهد بان من أعلن الـكفر فانه جاحد بقلبه كذب على الله عز وجل وافترى عليه بل هذه شهادة الشيطان التى أضل بها اولياءه وماشهد الله تعالى الا بضد هذا وبانهم يعرفون الحق ويكتمونه ويعرفون ان الله تعالى حق وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم حقا ويظهرون بالسنتهم خلاف ذلك وماسماهم الله عزوجل قط كفارا الا بما ظهر منهم بالسنتهم وافعالهم كما فعل بابليس واهل الـكتاب وغيرهم وان قالوا بل يثبت بهذا الدليل ونقطع به ونوقن ان كل من أعلن بمـا يوجب اطلاق اسم الـكفر عليه فى الشريعة فانه جاحد بقلبه قلنا لهم وبالله تعالى التوفيق هذا باطل من وجوه (اولها) انه دعوى بلا برهان (وثانيها) انه علم غيب لا يعلمه الا الله عزوجـل والذى يضمره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى لم أبعث لاشق عن قلوب الناس فمدعى هذا مدعي علم غيب ومدعى علم الغيب كاذب (وثالثها) ان القران والسنن كما ذكرنا قد جاءت النصوص فيهما بخلاف هذا كما تلونا قبل (ورابعها) ان كان الامر كما تقولون فمن اين اقتصرتم بالايمان على عقد القلب فقط ولم تراعوا اقرار اللسان وكلاهما عندكم مرتبط بالآخر لا يمكن انفرادهما وهـذا يبطل قولـكم انه اذا اعتقد الايمان بقلبه لم يكن كافرا باعلانه الـكفر فجوزتم أن يكون يعلن الـكفر من يبطن الايمـان فظهر تناقض مذهبهم وعظيم فساده (وخامسها) انه كان يلزمهم اذا كان اعلان الـكفر باللسان دليلا على الجحد بالقلب والكفر به ولابد فان اعلان الايمـان باللسان يجب ايضا ان يكون دليلا قاطعـا باتا ولابد على ان فى القلب ايمانا وتصديقا لاشك فيه لان الله تعـالى سمي هؤلاء مؤمنين كما سمى اولئك كفاراً ولا فرق بين الشهادتين فان قالوا ان الله تعالى قد أخبر عن المنافقين المعلنين بالايمان المبطنين للكفر والجحد قيل لهم وكذلك اعلمنا الله تعالى واخبرنا ان ابليس واهل الكتاب والكفار بالنبوة انهم يعلنون الـكفر ويبطنون التصديق ويؤمنون بان الله تعالى حق وان رسوله حق يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ولا فرق وكل ما موهتم به من الباطل والكذب فى هؤلاء امكن للـكرامية مثله سواء بسواء فى المنافقين وقالوا لم يكفروا قط بابطانهم الـكفر لكن لماسماهم الله بانهم آمنوا ثم كفروا علمنا انهم نطقوا بعد ذلك بالـكفر والجحد بشهادة الله تعالى بذلك كما ادعيتم انتم شهادته تعالى على ما فى نفوس الكفار ولا فرق

(قال ابو محمد) وكلتا الشهادتين من هاتين الطائفتين كذب على الله عزوجـل وماشهد الله عزوجل قط على ابليس واولى الـكتاب بالـكفر الا بما اعلنوه من الاستخفاف بالنبوة وبآدم وبالنبي صلى الله عليه وسلم فقط ولا شهد تعالى قط على المنافقين بالكفر الا بما بطنوه من الـكفر فقط واما هـذا فتحريف للـكلم عن مواضعه وافك مفترى ونعوذ بالله من الخذلان

(قال ابو محمد) ونظروا قولهم قالوا مثل هذا ان نقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل

هـذا المنهاج ألجأتنا الضرورة الى أن نقع فى محالات وقع فيها من قبلنا كالثنوية وغيرهم * (المسألة الحادية عشر) فى كون الحركات سرمدية وأن الحوادث لم تزل قال ان صدور الفعل عن الحق الاول انما يتاخر لا بزمان بل بحسب الذات والفعل ليس مسبوقا بعدم بل هو مسبوق بذات الفـاعل ولكن القدماء لما أرادوا أن يعـبروا عن العلية افتقروا الى ذكر القبلية والقبلية فى اللفظ تتناول الزمان وكذلك فى المعنى عنـد من لم يتـدرب وأوهمت عباراتهم ان فعل الاول الحق فعل زماني وان تقدمه تقدم زمانى وقال ونحن أثبتنا أن الحركات تحتاج الى محرك غير متحرك ثم تقول الحركات لا تخلوا اما أن تكون لم تزل أو تكون قد حدثت بعد أن لم تكن وقد كان المحرك موجودا لها بالفعل قادرا ليس يمانعه مانع من أن يكون عنه

هذه الدار اليوم الاكافر أو يقول كل من دخل هذه الدار اليوم فهو كافر قالوا فدخول تلك الدار دليل على انه يعتقد الكفر لأن دخول الدار كفر

(قال ابو محمد) وهذا كذب وتمويه ضعيف بان دخول تلك الدار فى ذلك اليوم كفر محض مجرد وقد يمكن ان يكون الداخل فيها مصدقا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم الاان تصديقه ذلك قد حبط بدخوله الدار وبرهان ذلك انه لا يختلف اثنان من أهل الاسلام فى ان دخول تلك الدار لا يحل البتة لعائشة ولا لابي بكر ولا لعلى ولا لاحد من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا لاحد من أصحابه رضى الله عنهم كما ان الله تعالى قد نص على انه علم مافى قلوبهم وأنزل السكينة عليهم واذ ذلك كذلك فقد وجب ضرورة ان هؤلاء رضي الله عنهم لو دخلوا تلك الدار لكانوا كفارا بلاشك بنفس دخولهم فيها ولحبط ايمانهم فان قالوا لو دخلها هؤلاء لم يكفروا كانوا هم قد كفروا لانهم بهذا القول قاطعون بان كلامه صلى الله عليه وسلم كذب فى قوله لا يدخلها الا كافر واحتج بعضهم فى هذا المكان بقول الاخطل النصرانى لعنه الله اذ يقول

ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

(قال ابو محمد) فجوابنا على هذا الاحتجاج ان نقول ملعون ملعون قائل هذا البيت وملعون ملعون من جعل قول هذا النصراني حجة فى دين الله عز وجل وليس هذا من باب اللغة التى يحتج فيها بالعربي وان كان كافرا وانما هي قضية عقلية فالعقل والحس يكذب بان هذا البيت وقضية شرعية فالله عز وجل أصدق من النصراني اللعين اذ يقول عز وجل * يقولون بافواههم ماليس فى قلوبهم * فقد أخبر عز وجل بان من الناس من يقول بلسانه ماليس فى فؤاده بخلاف قول الاخطل لعنه الله ان الكلام لفي الفؤاد واللسان دليل على الفؤاد فاما نحن فنصدق الله عز وجل ونكذب الاخطل ولعن الله من يجعل الاخطل حجة فى دينه وحسبنا الله ونعم الوكيل فان قالوا ان الله عز وجل قال * ولتعرفنهم فى لحن القول * قلنا لولا ان الله عز وجل عرفه بهم ودله عليهم بلحن القول ماكان لحن قولهم دليلا عليهم ولم يطلق الله تعالى هذا على كل احد بل على أولئك خاصة بل قد نص تعالى على آخرين بخلاف ذلك اذ يقول * وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم * فهؤلاء من أهل المدينة منافقون مردوا على النفاق لم يعلمهم قط رسول الله ﷺ بلحن قولهم ولو ان الناس لم يضربوا قط كلام ربهم تعالى بعضه ببعض واخذوه كله على مقتضاه لاهتدوا لكن * من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * وقد قال عز وجل * ان الذين ارتدوا على ادبارهم من بعد ماتبين لهم الهدى الشيطان سول لهم واملى لهم ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم اسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ذلك بانهم اتبعوا ماأسخط الله وكرهوا رضوانه فاحبط أعمالهم * فجعلهم تعالى مرتدين كفرا بعد علمهم الحق وبعد أن تبين لهم الهدى بقوله للكفار ماقالوا فقط واخبرنا تعالى انه يعرف اسرارهم ولم يقل تعالى انها جحد او تصديق بل قد صح ان في سرهم التصديق لان الهدى قد تبين لهم ومن تبين له شيء فلا يمكن البتة ان يجحده بقلبه اصلا واخبرنا تعالى انه قد احبط أعمالهم باتباعهم ماأسخطه وكراهيتهم رضوانه وقال تعالى * ياأيها الذين آمنوا

ولا حدث حادث فى حال ماأحدثها فارغبه وحمله على الفعل اذ كان جميع مايحدث انما يحدث عنه وليس شيء غيره يعوقه أو يرغبه ولا يمكن أن يقال قد كان لايقدر أن يكون عنه فقدر أولم يرد فاراد أولم يعلم فعلم فان ذلك كله يوجب الاستحالة ويوجب أن يكون شيء آخر غيره هو الذى أحاله وان قلنا انه منعه مانع يلزم أن يكون السبب المانع أقوى والاستحالة والتغير عن المانع حركة أخرى استدعت محركا وبالجملة كل سبب ينسب اليه الحادث فى زمان حدوثه بعد جوازه فى زمان قبله وبعده فانما ذلك السبب جزئي خاص وجب حدوث تلك الحادثة التى لم تكن قبل ذلك والا فالارادة الكلية والقدرة الشاملة والعلم الواسع العام ليس يخصص بزمان دون زمان بل نسبته الى الزمان كلها نسبة واحدة فلابد لكل حادث من سبب حادث ويتعالى عنه لواحد الحق الذى لايجوز

لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وأنتم لاتشعرون * فهذا نص جلي وخطاب للمؤمنين بان إيمانهم يبطل جملة واعمالهم تحبط برفع أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ دون جحد كان منهم أصلا ولوكان منهم جحد الشعر واله والله تعالى اخبرنا بان ذلك يكون وهم لايشعرون فصح ان من اعمال الجسد مايكون كفرا مبطلا لايمان فاعله جملة ومنه مالايكون كفرا لكن على ماحكم الله تعالى به في كل ذلك ولا مزيد

(قال ابو محمد) فان قال قائل من أين قلتم ان التصديق لايتفاضل ونحن نجد خضرة أشد من خضرة وشجاعة أشد من شجاعة لاسيما والشجاعة والتصديق كيفيات من صفات النفس معا فالجواب وبالله تعالى التوفيق ان كل ماقبل من الكيفيات الاشد والاضعف فانما يقبلهما بمزاج يداخله من كيفية أخرى ولايكون ذلك الافيما بينه وبين ضده منها وسائط قد تمازج كل واحد من الضدين أو فيما جاز امتزاج الضدين فيه كما نجد بين الخضرة والبياض وسائط من حمرة وصفرة تمازجها فتولد حينئذ بالممازجة الشدة والضعف وكالصحة التي هي اعتدال مزاج العفو فاذا مازج ذلك الاعتدال فضل ماكان مرضه بحسب ماما زجه في الشدة والضعف والشجاعة انما هي استسهال النفس للثبات والاقدام عند المعارضة في اللقاء فاذا ثبت الاثنان فاثبا تا واحدا واقدما اقداما مستويا فهما في الشجاعة سواء واذا ثبت احدهما أو اقدم فوق ثبات الآخر واقدامه كان اشجع منه وكان الآخر قد مازج ثباته اواقدامه جبن واما ماكان من الكيفيات لايقبل المزاج أصلا فلا سبيل الى وجود التفاضل فيه وكان ذلك على حسب ماخلقه الله عزوجل من كل ذلك ولامزيد كاللون فانه لاسبيل الى ان يكون لون أشد دخولا في انه لون من لون آخر اذ لو مازج التصدق غيره لصار كذبا في الوقت ولو مازج التصديق شيء غيره لصار شكا في الوقت وبطل التصديق جملة وبالله تعالى التوفيق والايمان قد قلنا انه ليس هو التصديق وحده بل اشياء مع التصديق كثيرة فانما دخل التفاضل في كثرة تلك الاشياء وقلتها وفي كيفية ايرادها وبالله تعالى التوفيق وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يخرج من النار من في قلبه مثقال شعيرة من ايمان ثم من في قلبه مثقال برة من ايمان ثم من في قلبه مثقال ذرة من ايمان الى ادنى ادنى من ذلك انما أراد عليه السلام من قصد الى عمل شيء من الخير اوهم به ولم يعمله بعد ان يكون مصدقا بقلبه بالاسلام مقرا بلسانه كما في الحديث المذكور من قال لااله الا الله وفي قلبه مثقال كذا

(قال أبو محمد) ومن النصوص على ان الاعمال ايمان قول الله تعالى * فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما * فنص تعالى نصا جليا لايحتمل تأويلا وأقسم تعالى بنفسه انه لايؤمن أحد الا من حكم رسوله صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينه وبين غيره ثم يسلم لما حكم به عليه السلام ولايجد في نفسه حرجا مما قضي وهذه كلها أعمال باللسان وبالجوارح غير التصديق بلاشك وفي هذه كفاية لمن عقل

(قال أبو محمد) ومن العجب قولهم ان الصلاة والصيام والزكاة ليست ايمانا لكنها شرائع الايمان

(قال أبو محمد) هذه تسمية لم يأذن الله تعالى بها ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا لأحد من

عليه التغير والاستحالة قال واذ لابد من محرك للحركات ومن حامل للحركات وتبين أن المحرك سرمدي فالحركات سرمدية فالمتحركات سرمدية ولو قيل ان حامل الحركة وهو الجسم لم يحدث لكنه تحرك عن سكون وجب أن تعثر على السبب الذي يغير من السكون الى الحركة فان قلنا ان ذلك الجسم حدث تقدم حدوث الجسم حدوث الحركة فقد بان ان الحركة والمتحرك والزمان الذي هو عاد الى الحركة أزلية سرمدية والحركات اما مستقيمة أو مستديرة والاتصال لايكون الا للمستديرة لان المستقيم ينقطع والاتصال أمر ضروري للاشياء الازلية فان الذي يسكن ليس بازلي والزمان متصل لانه لايمكن أن يكون من ذلك قطع مبتورة فيجب من ذلك أن تكون الحركة متصلة وكانت المستديرة هي وحدها متصلة فيجب ان تكون هي أزلية فيجب

الصحابة رضي الله عنهم بل الاسلام هو الايمان وهو الشرائع والشرائع هى الايمان والاسلام وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واختلف الناس فى الكفر والشرك فقالت طائفة هى اسمان واقعان على معنيين وان كل شرك كفر وليس كل كفر شركا وقال هؤلاء لاشرك الا قول من جعل لله شريكا قال هؤلاء اليهود والنصارى كفارا لامشركون وسائر الملل كفار مشركون وهو قول ابي حنيفة وغيره وقال اخرون الكفر والشرك سواء وكل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وهو قول الشافعى وغيره

(قال ابو محمد) واحتجت الطائفة الاولى بقول الله عز وجل * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين * قالوا ففرق الله تعالى بين الكفار والمشركين وقالوا الفظة الشرك ماخوذة من الشريك فمن لم يجعل لله تعالى شريكا فليس شركا

(قال ابو محمد) هذه عمدة حجتهم مانعلم لهم حجة غير هاتين

(قال ابو محمد) اما احتجاجهم بقول الله عز وجل * لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين * فلو لم يات فى هذا المعنى غير هذا المعنى غير هذه الآية لكانت حجتهم ظاهرة لكن الذى انزل هذه الآية هو القائل * اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا * وقال تعالى * ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله * وقال تعالى عنهم انهم قالوا أن الله ثالث ثلاثة وهذا كله تشريك ظاهر لاخفاء به فاذ قد صح الشرك والتشريك فى القرآن من اليهود والنصارى فقد صح انهم مشركون وان الشرك والكفر اسمان لمعنى واحد وقد قلنا ان التسمية لله عز وجل لا لنا فاذ ذلك كذلك فقد صح ان قوله تعالى * الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين كقوله تعالى * ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا * ولا خلاف بين أحد من أهل الاسلام فى أن المنافقين كفار وكقوله تعالى قل من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين * ولا خلاف فى أن جبريل وميكائيل من جملة الملائكة وكقوله تعالى * فيهما فاكهة ونخل ورمان والرمان الرمان من الفاكهة والقرآن نزل بلغة العرب والعرب تعيد الشيء باسمه وان كانت قد أجملت ذكره تأكيدا لامره فبطل تعلق من تعلق بتفريق الله تعالى بين الكفار والمشركين في اللفظ وبالله تعالى التوفيق وأما احتجاجهم بان لفظ الشرك ماخوذ من الشريك فقد قلنا أن التسمية لله عز وجل لا لاحد دونه وله تعالى أن يوقع اى اسم شاء على أى مسمى شاء برهان ذلك أن من أشرك بين عبيدين له فى عمل ما أو بين اثنين فى هبة وهبها لهما فانه لا يطلق عليه اسم مشرك ولا يحل أن يقال أن فلانا أشرك ولا ان عمله شرك فصح انها لفظة منقولة أيضا عن موضوعها فى اللغة كما أن الكفر لفظة منقولة أيضا عن موضوعها إلى ما أوقعها الله تعالى عليه والتعجب من أهل هذه المقالة وقولهم ان النصارى ليسوا مشركين وشركهم اظهر وأشهر من أن يجهله أحد لانهم يقولون كلهم بعبادة الاب والابن وروح القدس وان المسيح اله حق ثم يجعلون البراهمة مشركين وهم لا يقرون الا بالله وحده ولقد كان يلزم أهل هذه المقالة أن لا يجعلوا كافرا الا من جحد الله تعالى فقط فان قال قائل كيف اتخذ اليهود والنصارى

أن يكون محرك هذه الحركة المستديرة أيضا أزليا اذ لا يكون ماهو أخس علة لما هو أفضل ولا فائدة فى محركات ساكنة غير محركة كالصور الافلاطونية فلا ينبغي ان يضع هذه الطبيعة بلا فعل فتكون متعطلة غير قادرة أن تحرك وتحيل *

(المسئلة الثانية عشر) فى كيفية تركب العناصر حكى (فرفوريوس) عنه أنه قال كل موجود ففعله مثل طبيعته فما كانت طبيعته بسيطة ففعله بسيط وفعل الله تعالى واحد بسيط وكذلك فعله الاجتلاب الى الوجود فانه موجود لكن الجوهر لما كان وجوده بالحركة كان بقاؤه أيضا بالحركة وذلك انه ليس للجوهر أن يكون موجودا من ذاته بمنزلة الوجود الاول الحق لكن من التشبه بذلك الاول الحق وكل حركة يكون اما مستقيمة أو مستديرة فالحركة المستقيمة يجب ان تكون متناهية

اربابا من دون الله وهم ينكرون هذا قلنا وبالله تعالى التوفيق ان التسمية لله عز وجل فلما كان اليهود والنصارى يحرمون ماحرم احبارهم ورهبانهم ويحلون ما أحلوا كانت هذه ربوبية صحيحة وعبادة صحيحة قد دانوا بها وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله وعبادة وهذا هو الشرك بلا خلاف كما سمى كفرهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي ناسخ لما هم عليه كفر بالله عز وجل وان كانوا مصدقين به تعالى لكن لما احبط الله تعالى تصديقهم سقط حكمه جملة فان قالوا كيف تقولون ان الكفار مصدقون بالله تعالى والله تعالى يقول * لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * ويقول تعالى * واما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم . قلنا وبالله تعالى نتايد ان كل من خرج الى الكفر بوجه من الوجوه فلا بد له من أن يكون مكذبا بشيء مما لا يصح الاسلام الا به أورد أمرا من أمور الله عز وجل لا يصح الاسلام الا به فهو مكذب بذلك الشيء الذى رده أو كذب به ولم يقل الله تعالى الذى كذب بالله عز وجل لكن قال كذب وتولى ولا قال تعالى واما ان كان من المكذبين بالله وانما قال تعالى من المكذبين الضالين فقط فمن كذب بامر من أمور الله عز وجل لا يصح الاسلام الا به فهو مكذب على الاطلاق كما سماه الله تعالى وان كان مصدقا بالله تعالى وبما صدق به

(قال أبو محمد) فان قالوا كيف تقولون ان اليهود عارفون بالله تعالى والنصارى والله تعالى يقول . قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ماحرم ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب . قلنا و بالله تعالى التوفيق قد قلنا أن التسمية الى الله عز وجل لا لاحد دونه وقلنا ان اسم الايمان منقول عن موضوعه في اللغة عن التصديق المجرد الى معنى آخر زائد مع التصديق فلما لم يستوفوا تلك المعاني بطل تصديقهم جملة واستحقوا ببطلانه ان يسموا غير مؤمنين بالله ولا باليوم الآخر فان قيل فهل هم مصدقون بالله وباليوم الآخر قلنا نعم فان قيل ففيهم موحدون لله تعالى قلنا نعم فان قيل فيهم مؤمنون بالله وبالرسول وباليوم الآخر قلنا لا لان الله تعالى نص على كل ماقلنا فاخبر تعالى انهم يعرفونه ويقرون به ويعرفون نبيه صلي الله عليه وسلم وانه نبي فاقررنا بذلك وأسقط تعالى عنهم اسم الايمان فاسقطناه عنهم ومن تعدى هذه الطريقة فقد كذب ربه تعالى وخالف القرآن وعاند الرسول وخرق اجماع أهل الاسلام وكابر حسه وعقله مع ذلك و بالله تعالى التوفيق وهكذا نقول فيمن كان مسلما ثم اطلق واعتقد مايوجب الخروج عن الاسلام كالقول بنبوة انسان بعد النبى صلى الله عليه وسلم أو تحليل الخمر أو غير ذلك فانه مصدق بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم موحد عالم بكل ذلك وليس مؤمنا مطلقاً ولا مؤمنا بالله تعالى ولا بالرسول صلى الله عليه وسلم ولا باليوم الآخر لما ذكرنا آنفا ولا فرق لاجماع الامة كلها على استحقاق اسم الكفر على من ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

الكلام في تسمية المؤمن بالمسلم والمسلم بالمؤمن وهل الايمان والاسلام اسمان لمسمى واحد ومعنى واحد أو لمسميين ومعنيين .

(قال أبو محمد) ذهب قوم الى ان الاسلام والايمان اسمان واقعان على معنيين وانه قد يكون مسلم غير مؤمن واحتجوا بقول الله عز وجل * قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا

فالجوهر يتحرك في الاقطار الثلاثة التى هى الطول والعرض والعمق على خطوط مستقيمة حركة متناهية فيصير بذلك جسما ويبقى عليه ان يتحرك بالاستدارة على الجهة التى يمكن فيها بالاستدارة حركة بلا نهاية ولا يسكن فى وقت من الاوقات الا انه ليس بممكن ان يتحرك باجمعه حركة على الاستدارة وذلك ان الدائر يحتاج الى شيء ساكن فى وسط منه كالنقطة فانقسم الجوهر فتحرك بعضه على الاستدارة وهو الفلك وسكن بعضه فى الوسط قال وكل جسم يتحرك فماس جسما ساكنا فى طبيعته قبول التاثير منه احدث سخونة فيه واذا سخن لطف وانحل وجف فكان طبيعة النار تلى الفلك المتحرك والجسم الذى يلى النار يبعد عن الفلك ويتحرك بحركة النار لكن جزؤ منه دون سخونة النار وهو والجسم الذي يلي الهواء

ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الأيمان في قلوبكم * وبالحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال له سعد هل لك يارسول الله فى فلان فانه مؤمن فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو مسلم . وبالحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أتاه جبريل صلى الله عليه وسلم فى صورة فتى غير معروف العين فساله عن الاسلام فاجابه باشياء فى جملتها اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأعمال أخر مذكورة فى ذلك الحديث وساله عن الايمان فأجابه باشياء من جملتها ان تؤمن بالله وملائكته وبحديث لايصح من أن المرء يخرج عن الايمان الى الاسلام وذهب آخرون الى ان الايمان والاسلام لفظان مترادفان على معنى واحد واحتجوا بقول الله عز وجل * فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين * وبقوله تعالى * يمنون عليك ان اسلموا قل لاتمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هدا كم للايمان ان كنتم صادقين (قال ابو محمد) والذى نقول به وبالله تعالى التوفيق ان الايمان اصله فى اللغة التصديق على الصفة التى ذكرنا قبل ثم اوقعه الله عز وجل فى الشريعة على جميع الطاعات واجتناب المعاصى اذا قصد بكل ذلك من عمل او ترك وجه الله عز وجل وان الاسلام اصله فى اللغة التبرؤ تقول أسلمت امر كذا الى فلان اذا تبرأت منه اليه فسمى المسلم مسلما لانه تبرأ من كل شيء الى الله عز وجل ثم نقل الله تعالى اسم الاسلام ايضا الى جميع الطاعات وايضا فان التبرؤ الى الله من كل شيء هو معنى التصديق لانه لايبرأ الى الله تعالى من كل شيء حتى يصدق به فاذا اريد بالاسلام المعنى الذى هو خلاف الكفر وخلاف الفسق فهو والايمان شيء واحد كما قال تعالى * لاتمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هدا كم للايمان * وقد يكون الاسلام ايضا بمعنى الاستسلام اى انه استسلم للملة خوف القتل وهو غير معتقد لها فاذا اريد بالاسلام هذا المعنى فهو غير الايمان وهو الذى اراد الله تعالى بقوله * لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم وبهذا تتالف النصوص المذكورة من القرآن والسنن وقد قال تعالي * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة الا نفس مسلمة فهذا هو الاسلام الذى هو الايمان فصح ان الاسلام لفظة مشتركة كما ذكرنا ومن البرهان على انها لفظة منقولة عن موضعها فى اللغة ان الاسلام فى اللغة هو التبرؤ فاى شيء تبرأ منه المرء فقد اسلم من ذلك الشيء وهو مسلم كما ان من صدق بشيء فقد آمن به وهو مؤمن به وبيقين لاشك فيه يدرى كل واحد ان كل كافر على وجه الارض فانه مصدق باشياء كثيرة من أمور دنياه ومتبرىء من اشياء كثيرة ولايختلف اثنين من أهل الاسلام فى انه لايحل لاحد ان يطلق على الكافر من اجل ذلك انه مؤمن ولانه مسلم فصح يقينا ان لفظة الاسلام والايمان منقولة عن موضوعها فى اللغة الي معان محدودة معروفة لم تعرفها العرب قط حتى انزل الله عز وجل بها الوحى علي رسول الله ﷺ انه من أتى بها استحق اسم الايمان والاسلام وسمى مؤمنا مسلما ومن لم يات بها لم يسم مؤمنا ولا مسلما وان صدق بكل شيء غيرها او تبرأ من كل شيء حاشى ماأوجبت الشريعة التبرأ منه وكذلك الكفر والشرك لفظتان منقولتان عن موضوعهما فى اللغة لان الكفر في اللغة التغطية والشرك أن تشرك شيئا مع آخر فى اى معنى

جمع

لايتحرك لبعده عن المحرك له فهو بارد بسكونه ورطب بمجاورة الهواء الحار الرطب وكذلك انحل قليلا والجسم الذى في الوسط فلانه بعد فى الغاية عن الفلك ولم يستفد من حركته شيئا ولاقبل منه تاثيرا فسكن وبرد وهو الارض واذا كانت هذه الاجسام تقبل التاثير بعضها من بعض وتختلط يتولد عنها أجسام مركبة وهى المركبات المحسوسات التى هى المعادن والنبات والحيوان والانسان ثم يختص بكل نوع طبيعة خاصة تقبل فيضا خاصا علي ماقدره البارى جلت قدرته * (المسئلة الثالثة) عشر فى الآثار العلوية قال ارسطوطاليس الذى يتصاعد من الاجسام السفلية الى الجو ينقسم قسمين أدخنة نارية باسخان الشمس وغيرها والثانى أبخرة مائية فتصعد الى الجو وقد صحبتها أجزاء أرضية فتكاثف وتجمع بسبب ريح او غيرها

جمع بينهما ولا خلاف بين احد من اهل التمييز فى ان كل مؤمن فى الارض فى انه يغطى اشياء كثيرة ولا خلاف بين احد من أهل الاسلام فى انه لا يجوز ان يطلق عليه من اجل ذلك الكفر ولا الشرك ولا ان يسمى كافرا ولا مشركا وصح يقينا ان الله تعالى نقل اسم الكفر والشرك الى انكار اشياء لم تعرفها العرب والى أعمال لم تعرفها العرب قط كمن جحد الصلاة أو صوم رمضان أو غير ذلك من الشرائع التى لم تعرفها العرب قط حتى انزل الله تعالى بها وحيه او كمن عبد وثنا فمن اتى بشيء من تلك الاشياء سمي كافرا اومشركا ومن لم يأت بشيء من تلك الاشياء لم يسم كافرا ولا مشركا ومن خالف هذا فقد كابر الحس وجحد العيان وخالف الله تعالى ورسوله ﷺ والقرآن والسنن واجماع المسلمين وبالله تعالى التوفيق

(قال ابو محمد) واختلف الناس فى قول المسلم انا مؤمن فروينا عن ابن مسعود وجماعة من أصحابه الافاضل ومن بعده من الفقهاء انه كره ذلك وكان يقول انا مؤمن ان شاء الله وقال بعضهم آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وكانوا يقولون من قال انا مؤمن فليقل انه من اهل الجنة

(قال ابو محمد) فهذا ابن مسعود وأصحابه حجج فى اللغة فاين جهال المرجئة المموهون فى نصر بدعتهم

(قال ابو محمد) والقول عندنا فى هذه المسئلة ان هذه صفة يعلمها المرء من نفسه فان كان يدرى انه مصدق بالله عزوجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبكل ما أتي به عليه السلام وانه يقر بلسانه بكل ذلك فواجب عليه ان يعترف بذلك كما أمر تعالى اذ قال تعالى * وأما بنعمة ربك فحدث * ولا نعمة اوكد ولا افضل ولا اولى بالشكر من نعمة الاسلام فواجب عليه ان يقول انا مؤمن مسلم قطعا عند الله تعالى فى وقتى هذا ولا فرق بين قوله انا مؤمن مسلم وبين قوله انا اسود اوانا ابيض وهكذا سائر صفاته التي لا يشك فيها وليس هذا من باب الامتداح والعجب فى شيء لانه فرض عليه ان يحقن دمه بشهادة التوحيد قال تعالى * قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتى موسى وعيسي وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون * وقول ابن مسعود عندنا صحيح لان الاسلام والايمان اسمان منقولان عن موضوعهما فى اللغة الى جميع البر والطاعات فانما منع ابن مسعود من القول بانه مسلم مؤمن على معنى انه مستوف لجميع الطاعات وهذا صحيح ومن ادعى لنفسه هذا فقد كذب بلا شك وما منع رضي الله عنه من ان يقول المرء اني مؤمن بمعنى مصدق كيف وهو يقول قل آمنت بالله ورسله اى صدقت واما من قال فقل انك فى الجنة فالجواب اننا نقول ان متنا علي ما نحن عليه الآن فلابد لنا من الجنة بلا شك وبرهان ذلك انه قد صح من نصوص القرآن والسنن والاجماع ان من آمن بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وبكل ما جاء به أولم يات بما هو كفر فانه فى الجنة الا اننا لا ندرى ما يفعل بنا فى الدنيا ولا نامن مكر الله تعالي ولا اضلاله ولا كيد الشيطان ولا ندري ماذا نكسب غدا ونعوذ بالله من الخذلان .

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى تسمية المذنب من اهل ملتنا فقالت المرجئة هو مؤمن كامل الايمان وان لم يعمل خيرا قط ولا كف عن شر قط وقال بكر بن اخت

فيصير ضبابا أوسحابا فيصادفها برودة فتعصر ماء وثلجا وبردا فينزل الى مركز الماء ذلك لاستحالة الاركان بعضها الى بعض فكما ان الماء يستحيل هواء فيصعد كذلك الهواء يستحيل ماء فينزل ثم الرياح والادخنة اذا احتقنت في خلال السحاب واندفعت بمرة سمع لها صوت وهو الرعد ويلمع من اصطكاكها وشدة صدمتها ضياء وهو البرق وقد يكون من الادخنة ماتكون الدهنية على مادتها أغلب فيشتعل فيصير شهابا ثاقبا وهي الشهب منها ما يحترق فى الهواء فيتحجر فينزل حديدا وحجرا ومنها ما يحترق نارا فيدفعها دافع فينزل صاعقة ومن المشتعلات ما يبقى فيه الاشتعال ووقف تحت كوكب ودارت به النار الدائرة بدوران الفلك فكان ذنبا له وربما كان عريضا فرأى كأنه لحية كوكب وربما وقع على صقيل الظاهر من السحاب صور النيران وأضواؤها كما يقع

عبد الواحد بن زيد هو كافر مشرك كعابد الوثن باى ذنب كان منه صغيرا او كبيرا ولو فعله على سبيل المزاح وقالت الصفرية ان كان الذنب من الكبائر فهو مشرك كعابد الوثن وان كان الذنب صغيرا فليس كافرا وقالت الاباضية ان كان الذنب من الكبائر فهو كافر نعمة تحل موارثته ومنا كحته واكل ذبيحته وليس مؤمنا ولا كافرا على الاطلاق وروى عن الحسن البصرى وقتادة رضى الله عنهما ان صاحب الكبيرة منافق وقالت المعتزلة ان كان الذنب من الكبائر فهو فاسق ليس مؤمنا ولا كافرا ولا منافقا واجازوا منا كحته وموارثته واكل ذبيحته قالوا وان كان من الصغائر فهو مؤمن لاشيء عليه فيها وذهب اهل السنة من اصحاب الحديث والفقهاء الى انه مؤمن فاسق ناقص الايمان وقالوا الايمان اسم معتقده واقراره وعمله الصالح والفسق اسم عمله السيء الا أن بين السلف منهم والخلف اختلافا فى تارك الصلاة عمداً حتى يخرج وقتها وتارك الصوم لو مضى كذلك وتارك الزكاة وتارك الحج كذلك وفى قاتل المسلم عمدا وفي شارب الخمر وفيمن سب نبيا من الانبياء عليهم السلام وفيمن رد حديثا قدصح عنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فروينا عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومعاذ بن جبل وابن مسعود وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم وعن ابن المبارك واحمد بن حنبل واسحاق ابن راهويه رحمة الله عليهم وعن تمام سبعة عشر رجلا من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ان من ترك صلاة فرض عامدا ذاكرا حتى يخرج وقتها فانه كافر مرتد وبهذا يقول عبد الله بن الماجشون صاحب مالك وبه يقول عبد الملك بن حبيب الاندلسى وغيره وروينا عن عمر رضى الله عنه مثل ذلك في تارك الحج وعن ابن عباس وغيره مثل ذلك فى تارك الزكاة والصيام وفى قاتل المسلم عمدا وعن ابى موسى الاشعرى وعبد الله بن عمرو بن العاص فى شارب الخمر وعن اسحق بن راهويه ان من رد صحيحا عنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فقد كفر

(قال ابو محمد) واحتج من كفر المذنبين بقول الله عز وجل * ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون * وبقوله تعالى * فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * فهؤلاء كلهم ممن كذب وتولى والمكذب المتولى كافر فهؤلاء كفار

(قال ابو محمد) والعجب ان المرجئة المسقطة للوعيد جملة عن المسلمين قد احتجوا بهذه الآية نفسها فقالوا قد اخبرنا ان الله عز وجل ان النار لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى فصح أن من لم يكذب ولا تولى لا يصلاها قالوا ووجدناه ؤلاء كلهم لم يكذبوا ولا تولوا بل هم مصدقون معترفون بالايمان فصح انهم لا يصلونها وان المراد بالوعيد المذكور في الآيات المنصوصة انما هو فعل تلك الافاعيل من الكفار خاصة

(قال ابو محمد) واحتج ايضا من كفر من ذكرنا باحاديث كثيرة منها سباب المسلم فسوق وقتاله كفر ولا يزنى الزاني حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا ينهب نهبة ذات شرو حين ينهبها وهو مؤمن وترك الصلاة شرك وان كفرا بكم ان ترغبوا عن آبائكم ومثل هذا كثير

(قال ابو محمد) وما نعلم لمن قال هو منافق حجة أصلا ولا لمن قال انه كافر نعمة الا انهم نزعوا بقول الله عز وجل * الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار

هي المرأى والجدران الصقيلة فيرى ذلك على الوان مختلفة بحسب اختلاف بعدها من النير وقربها وصفائها وكدورتها فيرى هالة وقوس قزح وشموس وشهب والمجرة وذكر أسباب كل واحد من هذه فى كتابه المعروف بالآثار العلوية والسماء والعالم وغيرها (المسئلة الرابعة عشر) فى النفس الانسانية الناطقة واتصالها بالبدن قال النفس الانسانية ليست بجسم ولا قوة فى جسم وله فى اثباتها ماخذ منها الاستدلال علي وجودها بالحركات الاختيارية ومنها الاستدلال عليها بالتصورات العلمية أما الاول فقال لايشك ان الحيوان يتحرك الى جهات مختلفة حركه اختيارية اذ لو كانت حركاته طبيعية أو قسرية لتحركت الى جهة واحدة لا تختلف البتة فلما تحركت الى جهات متضادة علم ان حركاته اختيارية والانسان مع انه يختار في حركاته كالحيوان

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان كفر النعمة عمل يقع من المؤمن والكافر وليس هو ملة ولا اسم دين فمن ادعى اسم دين وملة غير الايمان المطلق والكفر المطلق فقد أتي بما لا دليل عليه وأما من قال هو فاسق لا مؤمن ولا كافر فما لهم حجة اصلا الا انهم قالوا قد صح الاجماع على انه فاسق لان الخوارج قالوا هو كافر فاسق وقال غيرهم هو مؤمن فاسق فاتفقوا على الفسق فوجب القول بذلك ولم يتفقوا علي ايمانه ولا علي كفره فلم يجز القول بذلك

(قال ابو محمد) وهذا خلاف لاجماع من ذكر لانه ليس منهم أحد جعل الفسق اسم دينه وانما سموا بذلك عمله والاجماع والنصوص قد صح كل ذلك علي انه لا دين الا الاسلام أو الكفر من خرج من أحدهما دخل في الآخر ولا بد اذ ليس بينهما وسيطة وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وهذا حديث قد أطبق جميع الفرق المنتمية الى الاسلام علي صحته وعلي القول به فلم يجعل عليه السلام دينا غير الكفر والاسلام ولم يجعل هاهنا دينا ثالثا أصلا

(قال ابو محمد) واحتجت المعتزلة ايضا بان قالت قال الله تعالى * أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون *

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان الله تعالى قال * افنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون * فصح ان هؤلاء الذين سماهم الله تعالى مجرمين وفساقا واخرجهم عن المؤمنين نصا فانهم ليسوا على دين الاسلام واذا لم يكونوا على دين الاسلام فهم كفار بلا شك اذ لا دين هاهنا غيرهما اصلا برهان هذا قوله تعالى * فانذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الاشقى الذى كذب وتولى * وقد علمنا ضرورة انه لا دار الا الجنة او النار وان الجنة لا يدخلها الا المؤمنون المسلمون فقط ونص الله تعالى على ان النار لا يدخلها الا المكذب المتولى والمتولى المكذب كافر بلا خلاف فلا يخلد في النار الا كافر ولا يدخل الجنة الا مؤمن فصح انه لا دين الا الايمان والكفر فقط واذ ذلك كذلك فهؤلاء الذين سماهم الله عز وجل مجرمين وفاسقين واخرجهم عن المؤمنين فهم كفار مشركون لا يجوز غير ذلك وقال المؤمن محمود محسن ولى لله عز وجل والمذنب مذموم مسىء عدو لله قالوا ومن المحال ان يكون انسان واحد محمودا مذموما محسنا مسيئا عدوا لله وليا له معا

(قال ابو محمد) وهذا الذى انكروه لا نكرة فيه بل هو امر موجود مشاهد فمن احسن من وجه واساء من وجه آخر كمن صلى ثم زنى فهو محسن محمود ولى لله فيما احسن فيه من صلاة وهو مسىء مذموم عدو لله فيما اساء فيه من الزنا قال عز وجل * وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيأ * فبالضرورة ندرى ان العمل الذى شهد الله عز وجل انه سيء فان عامله فيه مذموم مسيء عاص لله تعالى ثم يقال لهم ما تقولون ان عارضتكم المرجئة بكلامكم نفسه فقالوا من المحال ان يكون انسان واحد محمودا مذموما محسنا مسيئا عدو الله وليا له معا ثم ارادوا تغليب الحمد والاحسان والولاية واسقاط الذم والاساءة والعداوة كما اردتم انتم بهذه القضية نفسها تغليب الذم والاساءة والعداوة واسقاط الحمد والاحسان والولاية بما ينفصلون عنهم فان قالت المعتزلة ان الشرط في حمده واحسانه وولايته ان تجتنب الكبائر قلنا لهم فان عارضتكم المرجئة فقالت ان الشرط في ذمه واساءته ولعنه وعداوته ترك شهادة التوحيد فان قالت المعتزلة

الا انه يتحرك لمصالح عقبية يراها فى عاقبة كل أمر فلا يصدر عنه حركاته الا الى غرض وكمال وهو معرفته فى عاقبة كل حال والحيوان ليست حركاته بطبعه على هذا المنهج فيجب أن يتميز الانسان بنفس خاص كما تميز الحيوان عن سائر الموجودات بنفس خاص وأما الثاني وهو المعول عليه قال لا نشك انا نعقل ونتصور أمرا معقولا صرفا مثل المتصور من الانسان انه انسان كلى يعم جميع أشخاص النوع ومحل هذا المعقول جوهر ليس بجسم ولا قوة فى جسم او صورة الجسم فانه ان كان جسما فاما أن يكون محل الصورة المعقولة طرفا منه لا ينقسم أو جملته المنقسمة وبطل ان يكون طرفا منه غير منقسم فانه لو كان كذلك لكان المحل كالنقطة التى لا تميز لها فى الوضع عن الخط فان الطرف نهاية الخط والنهاية لا يكون لها نهاية أخرى والا تسلسل القول فيه

از الله قد ذم المعاصي وتوعد عليها قيل لهم فان المرجئة تقول لكم ان الله تعالى قد حمد الحسنات ووعد عليها واراد بذلك تغليب الحمد كما اردتم تغليب الذم فاذ ذكرتم آيات الوعيد ذكروا آيات الرحمة

(قال ابو محمد) وهذا ما لا مخلص للمعتزلة منه ولا للمرجئة أيضا فوضح بهذا ان كلا الطائفتين مخطئة وان الحق هو جمع كل ما تعلقت به كلتا الطائفتين من النصوص التي في القرآن والذي ويكفي من هذا كله قول الله عز وجل * انى لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى * وقوله تعالى * اليوم تجزى كل نفس بما كسبت . وقوله تعالى . فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره . وقال تعالى . من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها . وقال تعالى * ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين * فصح بهذا كله انه لا يخرجه عن اسم الايمان الا الكفر ولا يخرجه عن اسم الكفر الا الايمان وان الاعمال حسنها حسن ايمان وقبيحها قبيح ليس ايمانا والموازنة تقضي على كل ذلك ولا يحبط الاعمال الا الشرك قال تعالى . لئن اشركت ليحبطن عملك وقالوا اذا اقررتم ان اعمال البر كلها ايمان وان المعاصي ليست ايمانا فهو عندكم مؤمن غير مؤمن قلنا نعم ولا نكرة فى ذلك وهو مؤمن بالعمل الصالح غير مؤمن بالعمل السيء كما تقول محسن بما أحسن فيه مسيء غير محسن معا بما اساء فيه وليس الايمان عندنا التصديق وحده فيلزمنا التناقض وهذا هو معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن اي ليس مطيعا في زناه ذلك وهو مومن بسائر حسناته واحتجوا بقول الله تعالى . وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون . ففرق تعالى بين الفسق والايمان

(قال ابو محمد) نعم وقد اوضحنا ان الايمان هو كل عمل صالح فبيقين ندرى ان الفسق ليس ايمانا فمن فسق فلم يؤمن بذلك العمل الذى هو الفسق ولم يقل عز وجل انه لا يؤمن فى شيء من سائر اعماله وقد قال تعالى . انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم وانفسهم . فهولاء قد شهد الله تعالى لهم بالايمان فاذا وقع منهم فسق ليس ايمانا فمن المحال أن يبطل فسقه ايمانه فى سائر اعماله وان يبطل ايمانه فى سائر الاعمال فسقه بل شهادة الله تعالى له بالايمان فى جهاده حق وبانه لم يومن فى فسقه حق أيضا فان الله عز وجل قال . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون . ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون فيلزم المعتزلة ان يصرحوا بكفر كل عاص وظالم وفاسق لان كل عامل بالمعصية فلم يحكم بما انزل الله

(قال ابو محمد) وأما نحن فنقول ان كل من كفر فهو فاسق ظالم عاص وليس كل فاسق ظالم عاص كافرا بل قد يكون مؤمنا وبالله تعالى التوفيق وقد قال تعالى . وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم. فبعض الظلم مغفور بنص القرآن

(قال ابو محمد) وقالوا قد وجب لعن الفساق والظالمين وقال تعالى ألا لعنة الله على الظالمين. والمؤمن يجب ولايته والدعاء له بالرحمة وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم السارق ومن

فيكون النقط متشافعة ولكل نهاية وذلك محال وان كان محل المعقول من الجسم شيء منقسم فيجب أن ينقسم المعقول بانقسام محله ومن المعلومات ما لا ينقسم البتة فان ما ينقسم يجب أن يكون شيئا كالشكل أو المقدار والانسانية الكلية المتصورة فى الذهن ليس كشكل قابل للقطع ولا كمقدار قابل للفصل فتبين أن النفس ليست بجسم ولا صورة ولا قوة فى جسم (المسئلة الخامسة عشر) فى وقت اتصالها بالبدن ووجه اتصالها قال اذا تحقق انها ليست بجسم لم تتصل بالبدن اتصال انطباع فيه ولا حلول فيه بل اتصلت به اتصال تدبير وتصرف وانما حدثت مع حدوث البدن لا قبله ولا بعده قال لانها لو كانت موجودة قبل وجود الابدان لكانت إما متكثرة بذواتها أو متحدة وبطل الاول فان المتكثر إما أن يكون بالماهية والصورة وقد فرضناها متفقة فى النوع لا اختلاف

لعن اباه ومن غير منار الارض فيلزمكم ان تدعوا على المرء الواحد باللعنة والمغفرة معا
(قال ابو محمد) فنقول ان المؤمن الفاسق يتولى دينه وملته وعقده واقراره ويتبرأ من عمله
الذي هو الفسق والبراءة والولاية ليست من عين الانسان مجردة فقط وانما هي له اومنه
بعمله الصالح او الفاسد فاذ ذلك كذلك فبيقين ندرى ان المحسن فى بعض أفعاله من المؤمنين
نتولاه من اجل ما أحسن فيه ونبرأ من عمله السيء فقط واما الله تعالى فانه يتولى عمله الصالح
عنده ويعادى عمله الفاسد واما الدعاء باللعنة والرحمة معا فلسنا ننكره بل هو معنى صحيح
وما جاء عن الله تعالى قط ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهي ان يلعن العاصي على
معصيته ويترحم عليه لاحسانه ولو ان أمرأ زنى اوسرق وحال الحول على ماله وجاهد
لوجب ان يحد للزنا والسرقة ولو لعن لاحسن لاعنه ويعطي نصيبه من المغنم ونقبض زكاة
ماله ونصلى عليه عند ذلك لقول الله * خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم ان صلاتك سكن لهم * وبيقين ندرى انه قد كان فى اولئك الذين كان عليه السلام يقبض
صدقاتهم ويصلى عليهم مذنبون عصاة لا يمكن البتة ان يخلو جميع جزيرة العرب من عاص
وكذلك كل من مات فى عصره عليه السلام وصلى عليه هو عليه السلام والمسلمون معه وبعده
فبيقين ندرى انه قد كان فيهم مذنب بلا شك واذا صلى عليه ودعا له بالرحمة وان ذكر
عمله القبيح لعن وذم

(قال ابو محمد) ونعكس عليهم هذا السؤال نفسه فى اصحاب الصغائر الذين يوقع عليهم
المعتزلة اسم الايمان فهذه السؤالات كلها لازمة لهم اذ الصغائر ذنوب ومعاص بلا شك الا اننا
لا نوقع عليها اسم فسق ولا ظلم اذا انفردت عن الكبائر لان الله تعالى ضمن غفرانها لمن
اجتنب الكبائر ومن غفر له ذنبه فمن المحال أن يوقع عليه اسم فاسق أو اسم ظالم لان هذين
اسمان يسقطان قبول الشهادة ومجتنب الكبائر وان تستر بالصغاير فشهادته مقبولة لانه
لا ذنب له وبالله تعالى التوفيق

(قال أبو محمد) ولنا على المعتزلة الزامات أيضا تعمهم والخوارج المكفرة ننبه عليها عند
نقضنا اقوال المكفرة ان شاء الله تعالى وبه نتأيد

(قال ابو محمد) ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة كافر قال الله عز وجل * يا ايها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه
شيء فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد
ذلك فله عذاب اليم * فابتدأ الله عز وجل بخطاب اهل الايمان من كان فيهم من قاتل أو
مقتول ونص تعالى على ان القاتل عمدا وولى المقتول اخوان وقد قال تعالى * انما المؤمنون
اخوة * فصح ان القاتل عمداً مؤمن بنص القرآن وحكمه له باخوة الايمان ولا يكون
للكافر مع المؤمن بتلك الاخوة وقال تعالى * وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا
بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله فان فاءت فاصلحوا
بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا
الله * فهذه الآية رافعة للشك جملة فى قوله تعالى ان الطائفة الباغية على الطائفة الاخرى من
المؤمنين المامور سائر المؤمنين بقتالها حتى تفيء الى امر الله تعالى اخوة للمؤمنين المقاتلين

فيها فلا تكثر ولا تمايز واما
أن تكون متكثرة من جهة
النسبة الي العنصر والمادة
المتكثرة بالامكنة والازمنة
وهذا محال أيضا فانا اذا
فرضناها قبل البدن ماهية
مجردة لا نسبة لها الى مادة
دون مادة وهى من حيث
انها ماهية لا اختلاف فيها
وان الاشياء التى ذواتها
معان فتكثر نوعياتها بالحوامل
والقوابل والمنفعلات عنها
واذا كانت مجردة فمحال ان
يكون بينها مغايرة ومكاثرة
ولعمرى انها تبقى بعد
البدن متكثرة فان الانفس
قد وجد كل منها ذاتا منفردة
باختلاف موادها التى كانت
وباختلاف أزمنة حدوثها
وباختلاف هيئات وملكات
حصلت عند الاتصال
بالبدن فهى حادثة مع حدوث
البدن يصيره نوعا كسائر
الفصول الذاتية وباقية بعد
مفارقة البدن بعوارض
معينة له لم توجد تلك
العوارض قبل اتصالها
بالبدن وبهذا الدليل فارق
استاذه وفارق قدماءه وانما
وجد فى أثناء كلامه مايدل

وهذا امر لا يضل عنه الا ضال وهاتان الآيتان حجة قاطعة ايضا على المعتزلة أيضا المسقطة اسم الايمان عن القاتل وعلى كل من اسقط عن صاحب الكبائر اسم الايمان وليس لاحد ان يقول انه تعالى انما جعلهم اخواننا اذا تابوا لان نص الآية انهم اخوان في حال البغي وقبل الفئة الى الحق

(قال ابو محمد) وقال بعضهم ان هذا الاقتتال انما هو التضارب

(قال ابو محمد) وهذا خطا فاحش لوجهين احدهما انه دعوى بلا برهان وتخصيص الآية بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل بلا شك والثاني ان ضرب المسلم للمسلم ظلما وبغيا فسق ومعصية ووجه ثالث وهو ان الله تعالى لو لم يرد القتال المعهود لما امرنا بقتال من لا يزيد على الملاطمة وقد عم تعالى فيها باسم البغي بكل بغي فهو داخل تحت هذا الحكم

(قال ابو محمد) وقد ذكروا قول الله عز وجل * وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الاخطأ *

(قال ابو محمد) فهذه الآية بظاهرها دون تاويل حجة لنا عليهم لانه ليس فيها ان القاتل العامد ليس مؤمنا وانما فيها نهي المؤمن عن قتل المؤمن عمدا فقط لانه تعالى قال * وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا * وهكذا نقول ليس للمؤمن قتل المؤمن عمدا ثم قال تعالى * الاخطا * فاستثنى عز وجل الخطا في القتل من جملة ما حرم من قتل المؤمن للمؤمن لانه لا يجوز النهي عما لا يمكن الانتهاء عنه ولا يقدر عليه لان الله تعالى امتن ان لا يكلفنا ما لا طاقة لنا به وكل فعل خطا فلم ننه عنه بل قال تعالى . ليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم . فبطل تعلقهم بهذه الآية وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فهو ايضا على ظاهره وانما في هذا اللفظ النهي عن ان يرتدوا بعده الى الكفر فيقتتلوا في ذلك فقط وليس في هذا اللفظ ان القاتل كافر ولا فيه ايضا النهي عن القتل المجرد اصلا وانما نهي عنه في نصوص اخر من القرآن والسنن كما ليس في هذا اللفظ ايضا نهي عن الزنا ولا عن السرقة وليس في كل حديث حكم كل شريعة فبطل تعلقهم بهذا الخبر وكذلك قوله عليه السلام سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر فهو ايضا على عمومه لان قوله عليه السلام المسلم هاهنا عموم للجنس ولا خلاف في ان من نابذ جميع المسلمين وقاتلهم لاسلامهم فهو كافر برهان هذا هو ما ذكرناه قبل من نص القرآن في ان القاتل عمدا والمقاتل مؤمنان وكلامه عليه السلام لا يتعارض ولا يختلف وكذلك قوله عليه السلام لا ترغبوا عن آبائكم فانه كفر لكم ان ترغبوا عن آبائكم فانه عليه السلام لم يقل كفر منكم ولم يقل انه كفر بالله تعالى نعم ونحن نقر ان من رغب عن ابيه فقد كفر بابيه وجحده ويقال لمن قال إن صاحب الكبيرة ليس مؤمنا ولكنه كافر أو فاسق ألم يقل الله عز وجل . ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو اعجبكم . وقال تعالى . فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن . وقال تعالى . ولا تمسكوا بعصم الكوافر . وقال تعالى . اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين

على انه كان يعتقد أن النفس كانت موجودة قبل وجود الابدان فحمل بعض مفسري كلامه قوله ذلك على انه أراد به الفيض والصور الموجودة بالقوة في واهب الصور كما يقال إن النار موجودة في الخشب أو الانسان موجود في النطفة والنخلة موجودة في النواة والضياء موجود في الشمس ومنهم من أجراه على ظاهره وحكم بالتميز بين النفوس بالخواص التي لها وقال اختصت كل نفس انسانية بخاصية لم يشاركها فيه غيرها فليست متفقة بالنوع أعني النوع الاخير ومنهم من حكم بالتميز بالعوارض التي هي مهيئة نحوها وكما انها تتمايز بعد الاتصال بالبدن بأنها كانت متمايزة في المادة كذلك تتمايز بانها ستكون متمايزة بالابدان والصنائع والافعال واستعداد كل نفس لصنعة خاصة وعلم خاص فتنهض هذه فصولا ذاتية أو عوارض لازمة لوجودها (المسئلة السادسة عشر)

* وفى سورة النساء محصنات غير مسافحات فهذه آيات فى غاية البيان في انه ليس فى الارض الا مؤمن أو كافر أو مؤمنة أو كافرة ولا يوجد دين ثالث وان المؤمنة حلال نكاحها للمؤمن وحرام نكاحها على الكافر وأن الكتابية حلال للمؤمن بالزواج وللكافر فخبرونا اذا زنت المرأة وهى غير محصنة أو وهى محصنة أو إذا سرقت أو شربت الخمر أو قذفت أو اكلت مال يتيم أو تعمدت ترك الغسل حتى خرج وقت الصلاة وهى عالمة بذلك أولم تخرج زكاة مالها فكانت عندكم بذلك كافرة أو بريئة من الاسلام خارجة عن الايمان وخارجة من جملة المؤمنين أيحل للمؤمن الفاضل ابتداء نكاحها او البقاء معها على الزوجية ان كان قد تزوجها قبل ذلك أو يحرم على أبيها الفاضل أو اخيها البر أن يكونا لها وليين فى تزويجها وأخبرونا اذا زنى الرجل أو سرق أو قذف أو أكل مال يتيم أو فر من الزحف أو سحر أو ترك صلاة عمدا حتى خرج وقتها أولم يخرج زكاة ماله فصار بذلك عندكم كافرا أو بريئا من الاسلام وخرج من الايمان وعن جملة المؤمنين ايحرم عليه ابتدا نكاح امرأة مؤمنة أو وطؤها بملك اليمين أو تحرم عليه امرأته المؤمنة التى فى عصمته فينفسخ نكاحها منه او يحرم عليه أن يكون وليا لابنته المؤمنة او اخته المؤمنة فى تزويجها وهل يحرم على التى ذكرنا والرجل الذي ذكرنا ميراث وليهما المؤمن او يحرم على وليهما المؤمن ميراثهما أو يحرم اكل ذبيحته لانه قد فارق الاسلام فى زعمكم وخرج عن جملة المؤمنين فانهم كلهم لا يقولون بشيء من هذا فى الخلاف المجرد منهم لله تعالى أن يحرم الله تعالى المؤمنة على من ليس بمؤمن فيحلونها هم ويحرم الله تعالى التى ليست مؤمنة على المؤمن الا أن تكون كتابية فيحلونها هم ويقطع الله تعالى الولاية بين المؤمن ومن ليس مؤمنا فيبقونها فى الانكاح ويحرم تعالى ذبائح من ليس مؤمنا الا أن يكون كتابيا فيحلونها هم ويقطع عز وجل الموارثة بين المؤمن ومن ليس مؤمنا فيثبتونها هم ومن خالف القرآن وثبت على ذلك بعد قيام الحجة عليه فنحن نبرأ الى الله تعالى منه

(قال أبو محمد) واكثر هذه الامور التى ذكرنا فانه لا خلاف بين أحد من أهل الاسلام فيها ولا بين فرقة من الفرق المنتمية الى الاسلام وفى بعضها خلاف نشير اليه لئلا يظن ظان اننا اغفلناه فمن ذلك الخلاف فى الزاني والزانية فان على بن ابى طالب رضى الله عنه يفسخ النكاح قبل الدخول بوقوعه من أحدهما والحسن البصرى وغيره من السلف لا يجيزون للزاني ابتداء نكاح مع مسلمة البتة ولا للزانية ايضا الا ان يتوبا وبهذا نقول نحن ليس لانهما ليسا مسلمين بل هما مسلمان ولكنها شريعة من الله تعالى واردة فى القرآن فى ذلك كما يحرم على المحرم النكاح مادام محرما وبالله تعالى التوفيق وذلك قوله تعالى * الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين

(قال أبو محمد) وفى هذه الاية ايضا نص جلى على ان الزاني والزانية ليسا مشركين لان الله تعالى فرق بينهما فرقا لا يحتمل البتة ان يكون على سبيل التاكيد بل على انهما صفتان مختلفتان واذا لم مشركين فهما ضرورة مسلمان لما قد بينا قبل من ان كل كافر فهو مشرك وكل مشرك فهو كافر وكل من لم يكن كافرا مشركا فهو مؤمن اذ لا سبيل الى دين ثالث وبالله تعالى التوفيق ومن الخلاف فى بعض ماذكرنا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه وابراهيم النخعى ان المسلم اذا ارتد والمسلمة اذا لم يسلم زوجها فهى امرأته كما كانت الا انه لا يطؤها وروى عن عمر ايضا انها تخير فى البقاء معه او فراقه وكل هذا لا حجة فيه ولا حجة الا فى نص قرآن اوسنة واردة عن رسول الله

في بقائها بعد البدن وسعادتها في العالم العقلي قال ان النفوس الانسانية اذا استكملت قوتي العلم والعمل تشبهت بالاله تعالى ووصلت الى كمالها وانما هذا التشبه بقدر الطاقة يكون إما بحسب الاستعداد واما بحسب الاجتهاد فاذا فارق البدن اتصل بالروحانيين وانخرط في سلك الملائكة المقربين ويتم له الالتذاذ والابتهاج وليس كل لذة فهى جسمانية فان تلك اللذات لذات نفسانية عقلية وهذه اللذة الجسمانية تنتهى الى حد ويمرض الملتذ سآمة وكلال وضعف وقصور إن تعدي عن الحد المحدد بخلاف اللذات العقلية فانها حيث ما ازدادت ازداد الشوق والحرص والعشق اليها وكذلك القول فى الآلام النفسانية فانها تقع بالضد مما ذكرنا ولم يحقق المعاد الا للانفس ولم يثبت حشرا ولا نشرا ولا انحلالا لهذا الرباط المحسوس من العالم ولا ابطالا لنظامه كما ذكره القدماء فهذه نكت

صلى الله عليه وسلم
(قال ابو محمد) وأيضا فان الله عزوجل قد أمر بقتل المشركين جملة ولم يستثن منهم احدا الا كتابيا يغرم الجزية مع الصغار اورسولا حتى يؤدى رسالته ويرجع الى مأمنه اومستجيرا ليسمع كلام الله تعالى ثم يبلغ الى مأمنه وأمر رسول الله ﷺ بقتل من بدل دينه فنسأل كل من قال بان صاحب الكبيرة قدخرج من الايمان وبطل اسلامه وصار فى دين آخر اما الكفر واما الفسق اذا كان الزاني والقاتل والسارق والشارب للخمر والقاذف والفار من الزحف وآكل مال اليتيم قدخرج عن الاسلام وترك دينه أيقتلونه كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله أم لا يقتلونه ويخالفون الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن قولهم كلهم خوارجهم ومعتزليهم انهم لا يقتلونه واما فى بعض ذلك حدود معروفة من قطع يد اوجلد مائة اوثمانين وفى بعض ذلك أدب فقط وانه لا يحل الدم بشىء من ذلك وهذا انقطاع ظاهر وبطلان لقولهم لاخفاء به
(قال ابو محمد) وبعض شاذة الخوارج جسر فقال تقام الحدود عليهم ثم يستتابون فيقتلون
(قال ابو محمد) وهذا خلاف الاجماع المتيقن وخلاف للقرآن مجرد لان الله تعالى يقول * والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وأولئك هم الفاسقون الا الذين تابوا * فقد حرم الله تعالى قتلهم وافترض استبقاءهم مع اصرارهم ولم يجعل فيهم الارد شهادتهم فقط ولو جاز قتلهم فكيف كانوا يؤدون شهادة لا تقبل بعد قتلهم
(قال ابو محمد) وقال الله عزوجل * لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها *
(قال ابو محمد) لاخلاف بيننا وبينهم ولا بين أحد من الامة فى ان من كفر بالطاغوت وآمن بالله واستمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها فانه مؤمن مسلم فلو كان الفاسق غير مؤمن لكان كافرا ولا بد ولو كان كافرا لكان مرتدا يجب قتله وبالله تعالى التوفيق قال الله عزوجل * ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم * وقال تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين * فوجب يقينا بامر الله عزوجل ان لا يترك يعمر مساجد الله بالصلاة فيها الا المؤمنون وكلهم متفق معنا على ان الفاسق صاحب الكبائر مدعو ملزم عمارة المساجد بالصلاة مجبر على ذلك وفى اجماع الامة كلها على ذلك وعلى تركهم يصلون معنا والزامهم اداء الزكاة وأخذها منهم والزامهم صيام رمضان وحج البيت برهان واضح لا اشكال فيه على انهم لم يخرج عن دين المؤمنين وانه مسلم مؤمن وقال عزوجل * يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى * الى قوله تعالى . اليوم يئس الذين كفروا من دينكم . فخاطب تعالى المؤمنين باياس الكافرين عن دينهم ولا سبيل الى قسم ثالث وقال تعالى * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه . فصح ان لا دين الا دين الاسلام وما عداه شىء غير مقبول وصاحبه يوم القيامة خاسر وبالله تعالى التوفيق وقال عزوجل * المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض * وقال تعالى . والذين كفروا بعضهم أولياء بعض وقال تعالى . ومن يتولهم منكم فانه منهم . وقال تعالى * هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير . فصح يقينا انه ليس فى الناس ولا فى الجن الا مؤمن أو كافر

كلامه استخرجناها من مواضع مختلفة وأكثرها من شرح ثامسطيوس والشيخ أبى على بن سينا الذى يتعصب له وينصر مذهبه ولا يقول من القدماء الا به وسنذكر طريقة ابن سينا عند ذكر فلاسفة الاسلام ونحن الآن ننقل كلمات حكمية لاصحاب ارسطوطاليس ومن نسج على منواله بعده دون الآراء العلمية اذ لا خلاف بينهم فى الآراء والعقائد ووجدت فصولا وكلمات للحكيم ارسطوطاليس من كتب متفرقة فنقلتها على الوجه وان كان فى بعضها ما يدل على أن رأيه على خلاف ما نقله ثامسطيوس واعتمده ابن سينا منها فى حدوث العالم قال الاشياء المحمولة أعنى الصور المتضادة فليس يكون أحدهما من صاحبه بل يجب أن يكون بعد صاحبه فيتعاقبان على المادة فقد بان أن الصور تبطل وتدثر فاذا دثر معنى وجب أن يكون له بدوا لان الدثور غاية وهو أحد الحاشيتين

فمن خرج عن أحدهما دخل فى الآخر فنسألهم عن رجل من المسلمين فسق وجاهر بالكبائر
وله اختان احداهما نصرانية والثانية مسلمة فاضلة لأيتهما يكون هذا الفاسق وليا فى النكاح
ووارثا وعن امرأة سرقت وزنت ولها ابنا عم أحدهما يهودى والآخر مسلم فاضل أيهما
يحل له نكاحها وهذا مالا خلاف فيه ولا خفاء به فصح ان صاحب الكبائر مؤمن وقال الله
تعالى . ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا . وقال تعالى . انما يتقبل الله من المتقين *
فاخبرونا أتأمرون الزانى والسارق والقاذف والقاتل بالصلاة وتؤدبونه ان لم يصل أم لا
فمن قولهم نعم ولو قالوا لا لخالفوا الاجماع المتيقن فنقول لهم أفتامرونه بما هو عليه أم بما ليس
عليه وبما يمكن ان يقبله الله تعالى ام بما يوقن انه لا يقبله فان قالوا نامره بما ليس عليه ظاهر
تناقضهم اذ لا يجوز ان يلزم احد ما لا يلزمه وان قالوا بل بما عليه قطعوا بانه مؤمن لان الله
تعالى اخبران الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وان قالوا انامره بما لا يمكن ان يقبل منه
احالوا اذ من المحال ان يؤمر احد بعمل هو على يقين من انه لا يقبل منه وان قالوا بل نامره بما
نرجو أن يقبل منه قلنا صدقتم وقد صح بهذا ان الفاسق من المتقين فيما عمل من عمل صالح
فقط ومن الفاسقين فيما عمل من المعاصى ونسالهم أيامرون صاحب الكبيرة بتمتيع المطلقة ان
طلقها أم لا فان قالوا نامره بذلك لزمهم انه من المحسنين المتقين لان الله تعالى يقول فى المتعة حقا
على المحسنين وحقا على المتقين فصح ان الفاسق محسن فيما عمل من صالح ومسيء فيما عمل من
سيء فان قالوا ان الصلاة عليه كما هى عندكم على الكفار اجمعين قلنا لا سواء لانها وان كان الكافر
وغير المتوضيء والجنب مامورين بالصلاة معذبين على تركها فانا لا نتركهم يقيمونها أصلا بل
نمنعهم منها حتى يسلم الكافر ويتوضا المحدث ويغتسل الجنب ويتوضا أو يتيمم وليس
كذلك الفاسق بل نجبره على اقامتها

(قال ابو محمد) وهذا لا خلاف فيه من احد الا ان الجبائى المعتزلى ومحمد بن الطيب الباقلانى ذهبا
من بين جميع الامة الى ان من كانت له ذنوب فانه لا تقبل له توبة من شيء منها حتى يتوب من
الجميع واتبعهما على ذلك قوم وقد ناظرنا بعضهم فى ذلك ولزمناهم ان يوجبوا على كل من اذنب ذنبا
واحداً ان يترك الصلاة الفرض والزكاة وصوم رمضان والجمعة والحج والجهاد لان اقامة كل
ذلك توبة الى الله من تركها فاذا كانت توبته لا تقبل من شيء حتى يتوب من كل ذنب له فانه لا يقبل
له توبة من ترك صلاة ولا من ترك صوم ولا من ترك زكاة الا حتى يتوب من كل ذنب له وهذا خلاف
لجميع الامة ان قالوه أو تناقض ان لم يقولوه مع انه قول لا دليل لهم على تصحيحه اصلا وما كان هكذا
فهو باطل قال الله تعالى * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * وقال تعالى * واشهدوا ذوى
عدل منكم * وقال تعالى * وصالح المؤمنين * فصح يقينا بهذا اللفظ ان فينا غير عدل وغير
صالح وهما منا ونحن المؤمنون فهو مؤمن بلا شك وقال تعالى * فان تابوا * يعنى من الشرك *
واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين * وهذا نص جلى على ان من صلى من اهل شهادة
الاسلام وزكى فهو اخوننا فى الدين ولم يقل تعالى ما لم يات بكبيرة فصح انه منا وان اتى بالكبائر
(قال ابو محمد) فان ذكروا قول الله تعالى * مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء * وقوله
تعالى . الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ماهم منكم ولا منهم . وراموا بذلك اثبات انه لا
مؤمن ولا كافر فهذا لا حجة لهم فيه لان الله تعالى انما وصف بذلك المنافقين المبطنين للكفر المظهرين

مادل على أن جايبا جابه
فقد صح أن الكون حادث
لا من شيء وان الحامل لها
غير ممتنع الذات من قبولها
وحمله اياها وهى ذات بدو
وغاية يدل على ان حامله
ذو بدو وغاية وانه حادث
لا من شيء ويدل على محدث
لا بدو له ولا غاية لان الدثور
آخر والآخر ما كان له اول
فلو كانت الجواهر والصور
لم يزالا فغير جائز استحالتهما
لان الاستحالة دثور الصورة
التى كان بها الشيء وخروج
الشيء من حد الى حد
ومن حال الى حال يوجب
دثور الكيفية وتردد
المستحيل فى الكون والفساد
يدل على دثوره وحدوث
أحواله يدل على ابتدائه
وابتداء جزئه يدل على بدو
كله وواجب ان قبل بعض
ما فى العالم الكون والفساد
أن يكون كل العالم قابلا
له وكان له بدو يقبل الفساد
وآخر يستحيل الى كون
فالبدو والغاية يدلان
الى مبدع وقد سال بعض
الدهرية ارسطوطاليس
وقال اذا كان لم يزل ولا شيء

للاسلام فهم لا مع الكفار ولا منهم ولا اليهم لان هؤلاء يظهرون الاسلام واولئك لا يظهرونه ولا هم مع المسلمين ولا منهم ولا اليهم لا بطانهم الكفر وليس في هاتين الآيتين انهم ليسوا كفاراً وقد قال عزوجل . ومن يتولهم منكم فانه منهم . فصح يقيناً أنهم كفار لا مؤمنون اصلا وبالله تعالى التوفيق ويقال لمن قال ان صاحب الكبيرة منافق مامعنى هذه الكلمة نجوابهم الذى لاجواب لاحد فى هذه المسئلة غيره هوان المنافق من كان النفاق صفته ومعنى النفاق فى الشريعة هو اظهار الايمان وابطان الكفر فيقال له وبالله تعالى التوفيق لا يعلم ما فى النفس الا الله تعالى ثم تلك النفس التى ذلك الشىء فيها فقط ولا يجوز ان نقطع على اعتقاد احد الكفر الا باقراره بلسانه بالكفر وبوحى من عند الله تعالى ومن تعاطى علم ما فى النفوس فقد تعاطى علم الغيب وهذا خطأ متيقن يعلم بالضرورة وحسبك من القول سقوطا ان يؤدي الى المحال المتيقن وقد قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم رب مصل يقول بلسانه ماليس فى قلبه فقال عليه السلام انى لم ابعث لاشق عن قلوب الناس وقد ذكر الله تعالى المنافقين فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وممن حولكم من الاعراب منافقون لا تعلمهم نحن نعلمهم . فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف المنافقين وهم معه وهو يراهم ويشاهد افعالهم فمن بعده أحرى ان لا يعلمهم ولقد كان الزناة على عهده صلى الله عليه وسلم والسرقة وشراب الخمر ومضيعو افرض الصلاة فى الجماعة والقاتلون عمدا والقذفة فما سمي عليه السلام قط احداً منهم منافقين بل اقام الحدود فى ذلك وتوعد بحرق المنازل وامر لدية والعفو وابقاهم فى جملة المؤمنين وأبقى عليهم حكم الايمان واسمه وقد قلنا ان التسمية فى الشريعة لله عزوجل لا لاحد دونه ولم يأت قط عن الله عزوجل تسمية صاحب الكبيرة منافقا فان قالوا قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال وقد ذكر خصالا من كن فيه كان منافقا خالصا وان صام وصلى وقال انى مسلم وذكر عليه السلام تلك الخصال فمنها اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وذكر عليه السلام ان من كانت به خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها فلناله وبالله تعالى التوفيق صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرناك ان المنافق هو من أظهر شيئا وأبطن خلافه ماخوذ فى اصل اللغة من نافقاء اليربوع وهو باب فى جانب جحره مفتوح قد غطاه بشيء من تراب وهذه الخلال كلها التى ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها باطن صاحبها بخلاف مايظهر فهو منافق هذا النوع من النفاق وليس هو النفاق الذى يظن صاحبه الكفر بالله برهان ذلك ماذكرناه آنفا من اجماع الامة على أخذ زكاة مال كل من وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنفاق وعلى انكاحه ونكاحها ان كانت أمرأة وموارثته واكل ذبيحته وتركه يصلى مع المسلمين وعلى تحريم دمه وماله ولو تيقنا انه يبطن الكفر لوجب قتله وحرم انكاحه ونكاحها وموارثته واكل ذبيحته ولم نتركه يصلى مع المسلمين ولكن تسمية النبى صلى الله عليه وسلم من ذكره منافقا كتسمية الله عزوجل الذراع كفارا اذيقول تعالى * كمثل غيث أعجب الكفار نباته * لان أصل الكفر فى اللغة التغطية فمن ستر شيئا فهو كافر له وأصل النفاق فى اللغة ستر شيء واظهار خلافه فمن ستر شيئا وأظهر خلافه فهو منافق فيه وليس هذان من الكفر الدينى ولا من النفاق الشرعي فى شيء وبهذا تتالف الآيات والاحاديث كلها وبالله تعالى التوفيق ثم نقول لمن قال بهذا القول هل أتيت بكبيرة قط فان قال لا قيل له هذا القول كبيرة

غيره ثم أحدث العالم فلم أحدثه فقال له لم غير جائزة عليه لان لم يقتضى علة والعلة محمولة فيما هى علة له من معلول فوقه ولا علة فوقه وليس بمركب فتحيل ذاته العلل فلم عنه منفية فانما فعل ما فعل لانه جواد فقيل فيجب أن يكون فاعلا لم يزل لانه جواد لم يزل قال معنى لم يزل أن لا أول وفعل يقتضي أولا واجتماع أن يكون مالا أول له وذو أول فى القول والذات محال متناقض قيل له فهل يبطل هذا العالم قال نعم قيل فاذا أبطله بطل الجود قال يبطله ليصوغه الصيغة التى لا تحتمل الفساد لان هذه الصيغة تحتمل الفساد تم كلامه ويعزى هذا الفصل الى سقراطيس قاله لبقراطيس وهو بكلام القدماء أشبه ومما نقل عن ارسطوطاليس تحديده العناصر الاربعة قال الحار ماخلط بعض ذوات الجنس ببعض وفرق بين بعض ذات الجنس من بعض وقال البارد ما جمع بين ذوات

لانه تزكية وقدنهى الله عزوجل عن ذلك فقال تعالى * فلاتزكوا أنفسكم * وقد علمنا انه لايعرى أحد من ذنب الا الملائكة والنبيين صلى الله عليهم وسلم وأما من دونهم فغير معصوم بل قداختلف الناس فى عصمة الملائكة والنبيين عليهم الصلاة والسلام وان كنا قاطعين على خطأ من جوز علي أحد من الملائكة ذنبا صغيرا أو كبيرا بعمد أو خطأ من جوز على أحد من النبيين ذنبا بعمد صغيرا أو كبيرا لكنا أعلمنا انه لم يتفق على ذلك قط وان قال بلي قد كان لى كبيرة قيل له هل كنت فى حال مواقعتك الكبيرة شاكا فى الله عزوجل أو في رسوله صلى الله عليه وسلم او كافرا بهما ام كنت موقنا بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم وبما اتي به موقنا بانك مسيء مخطيء فى ذنبك فان قال كنت كافرا او شاكا فهو اعلم بنفسه ويلزمه ان يفارق امرأته وامته المسلمتين ولا يرث من مات له من المسلمين ثم بعد ذلك لا يجوز له ان يقطع علي غيره من المذنبين بمثل اعتقاده في الجحد ونحن نعلم بالضرورة كذب دعواه وندرى اننا فى حين ما كان منا ذنب مؤمنون بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم وان قال بل كنت مؤمنا بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم فى حال ذنبي قيل له هذا ابطال منك للقول بالنفاق والقطع به علي المذنبين

(قال ابو محمد) ففى اجماع الامة كلها دون مختلف من احد منهم على ان صاحب الكبيرة مامور بالصلاة مع المسلمين وبصوم شهر رمضان والحج وباخذ زكاة ماله واباحة مناكحته وموارثته واكل ذبحيته وبتركه يتزوج المرأة المسلمة الفاضلة ويبتاع الامة المسلمة الفاضلة ويطاها وتحريم دمه وماله وان لا يؤخذ منه جزية ولا يصغر برهان صحيح على انه مسلم مؤمن وفى اجماع الامة كلها دون مخالف على تحريم قبول شهادته وخبره برهان علي انه فاسق فصح يقينا انه مؤمن فاسق ناقص الايمان عن المؤمن الذى ليس بفاسق قال تعالى * يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين * فامامن قال انه كافر نعمة فالهم حجة اصلا الا ان بعضهم نزغ بقول الله تعالى * الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار *

(قال ابو محمد) وهذا لاحجة لهم فيه لان نص الآية مبطل لقولهم لان الله تعالى يقول متصلا بقوله * وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله * فصح ان الاية فى المشركين بلاشك وايضا فقد يكفر المرء نعمة الله ولا يكون كافرا بل مؤمنا بالله تعالى كافرا لا نعمه بمعاصيه لا كافرا علي الاطلاق وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فيمن يكفر ولايكفر)

(قال ابو محمد) اختلف الناس فى هذا الباب فذهبت طائفة الى ان من خالفهم فى شيء من مسائل الاعتقاد او فى شيء من مسائل الفتيا فهو كافر وذهبت طائفة الى انه كافر في بعض ذلك فاسق غير كافر فى بعضه على حسب ما أدتهم اليه عقولهم وظنونهم وذهبت طائفة الى ان من خالفهم فى مسائل الاعتقاد فهو كافر وان من خالفهم فى مسائل الاحكام والعبادات فليس كافرا ولا فاسقا ولكنه مجتهد معذور ان اخطأ ماجور بنيته وقالت طائفة بمثل هذا فيمن خالفهم فى مسائل العبادات وقالوا فيمن خالفهم فى مسائل الاعتقادات ان كان الخلاف

الجنس وغير ذوات الجنس لان البرودة اذا جمدت الماء حتى صار جليدا اشتملت علي الاجناس المختلفة من الماء والنبات وغيرهما قال والرطب العسير الانحصار من نفسه اليسير الانحصار من ذات غيره واليابس اليسير الانحصار من ذاته العسير الانحصار من غيره والحدان الاولان يدلان على الفعل والآخران يدلان على الانفعال ونقل ارسطوطاليس عن جماعة من الفلاسفة أن مبادىء الاشياء هى العناصر الاربعة وعن بعضهم أن المبدأ الاول هو ظلمة وهاوية وفسروه بفضاء وخلاء وعماية وقد أثبت قوم من النصاري تلك الظلمة وسموها الظلمة الخارجة ومما خالف ارسطوطاليس استاذه افلاطن ان قال افلاطن * من الناس من يكون طبعه مهيئا لشيء لا يتعداه فخالفه وقال اذا كان الطبع سليما صلح لكل شيء وكان أفلاطن يعتقد أن النفوس الانسانية أنواع يتهيا كل نوع لشيء مالا يتعداه وأرسطو طاليس يعتقد أن النفوس الانسانية نوع واحد واذا تهيا صنف

فى صفات الله عزوجل فهوكافر وان كان فيما دون ذلك فهو فاسق وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله فى اعتقاد او فتيا وان كل من اجتهد فى شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه ماجور علي كل حال ان أصاب الحق فاجران وان أخطا فاجر واحد وهذا قول ابن ابي ليلى وابي حنيفة والشافعى وسفيان الثورى وداود بن على رضى الله عن جميعهم وهو قول كل من عرفنا له قولا فى هذه المسئلة من الصحابة رضي الله عنهم لا نعلم منهم فى ذلك خلافا اصلا الا ماذكرنا من اختلافهم فى تكفير من ترك صلاة متعمدا حتى خرج وقتها او ترك اداء الزكاة او ترك الحج او ترك صيام رمضان اوشرب الخمر واحتج من كفر بالخلاف فى الاعتقادات باشياء نوردها ان شاء الله عزوجل

(قال ابو محمد) ذكروا حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن القدرية والمرجئية مجوس بهذه الامة وحديثا آخر تفترق هذه الامة علي بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشى واحدة فهى فى الجنة

(قال ابو محمد) هذان حديثان لا يصحان اصلا من طريق الاسناد وما كان هكذا فليس حجة عند من يقول بخبر الواحد فكيف من لا يقول به واحتجوا بالخبر الثابت عن رسول الله صلي الله عليه وسلم من قال لاخيه يا كافر فقد باء بالكفر احدهما

(قال ابو محمد) وهذا لا حجة لهم فيه لان لفظه يقتضى انه يلثم برميه للكفر ولم يقل عليه السلام انه بذلك كافر

(قال ابو محمد) والجمهور من المحتجين بهذا الخبر لا يكفرون من قال لمسلم يا كافر فى مشاتمة تجرى بينهما وبهذا خالفوا الخبر الذى احتجوا به

(قال ابو محمد) والحق هو ان كل من ثبت له عقد الاسلام فانه لا يزول عنه الا بنص او اجماع واما بالدعوي والافتراء فلا فوجب ان لا يكفر احد بقول قاله الا بان يخالف ماقد صح عنده ان الله تعالى قاله او ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فيستجيز خلاف الله تعالى وخلاف رسوله عليه الصلاة والسلام وسواء كان ذلك فى عقد دين اوفى نحلة اوفي فتيا وسواء كان ماصح من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منقولا نقل اجماع تواترا او نقل آحاد الا ان من خالف الاجماع المتيقن المقطوع علي صحته فهو أظهر فى قطع حجته ووجوب تكفيره لاتفاق الجميع على معرفة الاجماع وعلي تكفير مخالفته برهان صحة قولنا قول الله تعالى * ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا *

(قال ابو محمد) هذه الآية نص بتكفير من فعل ذلك فان قال قائل ان من اتبع غير سبيل المؤمنين فليس من المؤمنين قلنا له و بالله تعالى التوفيق ليس كل من اتبع غير سبيل المؤمنين كافرا لا ن الزنا وشرب الخمر واكل اموال الناس بالباطل ليست من سبيل المؤمنين وقد علمنا ان من اتبعها فقد اتبع غير سبيل المؤمنين وليس مع ذلك كافرا ولكن البرهان فى هذا قول الله عزوجل * فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما

(قال ابو محمد) فهذا هو النص الذى لا يحتمل تاويلا ولا جاء نص يخرجه عن ظاهره اصلا

لشيء تهيا له كل النوع

(حكم الاسكندر الرومي) وهو ذو القرنين الملك وليس هو المذكور فى القرآن بل هو ابن فيلفوس الملك وكان مولده في السنة الثالثة عشر من ملك دارا الاكبر سلمه أبوه الى ارسطوطاليس الحكيم المقيم بمدينة اينياس فاقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب حتى بلغ أحسن المبالغ ونال من الفلسفة مالم ينله سائر تلامذته فاسترده والده حين استشعر من نفسه علة خاف منها فلما وصل اليه جدد العهد له وأقبل اليه واستولت العلة فتوفى منها واستقل الاسكندر باعباء الملك فمن حكمه أن ساله معلمه وهو فى المكتب أن أفضي اليك هذا الامر يوما أين تضعني قال حيث تضعك طاعتك ذلك الوقت وقيل له انك تعظم مؤدبك أكثر من تعظيمك والدك قال لان أبي كان سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية وفى رواية لان أبي كان سبب كوني ومؤدبي كان سبب تجويد حياتي وفى رواية لان أبي كان سبب كوني ومؤدبي كان سبب نطقي وقال أبو زكريا الضميري لو قيل لى هذا لقلت وطرا بالطبيعة التى اختلفت بالكون والفساد

ولاجاء برهان بتخصيصه في بعض وجوه الايمان

(قال ابو محمد) واما ما لم تقم الحجة على المخالف للحق في اى شيء كان فلا يكون كافرا الا ان ياتى نص بتكفيره فيوقف عنده كمن بلغه وهو فى اقاصى الزنج ذكر النبي ﷺ فقط فيمسك عن البحث عن خبره فانه كافر فان قال قائل فما تقولون فيمن قال انا اشهد ان محمدا رسول الله ولا ادرى أهو قرشي ام تميمي أم فارسي ولا هل كان بالحجاز او بخراسان ولا أدري احى هو او ميت ولا ادرى لعله هذا الرجل الحاضر ام غيره قيل له ان كان جاهلا لا علم عنده بشيء من الاخبار والسير لم يضره ذلك شيئا ووجب تعليمه فاذا علم وصح عنده الحق فان عاند فهو كافر حلال دمه وماله محكوم عليه بحكم المرتد وقد علمنا ان كثيراً ممن يتعاطى الفتيا في دين الله عزوجل نعم وكثيرا من الصالحين لا يدرى كم لموت النبي ﷺ ولا أين كان ولا فى اي بلد كان ويكفيه من كل ذلك اقراره بقلبه ولسانه ان رجلا اسمه محمد ارسله الله تعالى الينا بهذا الدين

(قال ابو محمد) وكذلك من قال ان ربه جسم فانه ان كان جاهلا أو متاولا فهو معذور لا شيء عليه ويجب تعليمه فاذا قامت عليه الحجة من القرآن والسنن فخالف مافيهما عنادا فهو كافر يحكم عليه بحكم المرتد وأما من قال ان الله عزوجل هو فلان لانسان بعينه أو ان الله تعالى يحل في جسم من أجسام خلقه أو ان بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبيا غير عيسى بن مريم فانه لا يختلف اثنان فى تكفيره لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل أحد ولو امكن ان يوجد احد يدين بهذا لم يبلغه قط خلافه لما وجب تكفيره حتى تقوم الحجة عليه

(قال ابو محمد) وأما من كفر الناس بما تؤول اليه اقوالهم فخطا لانه كذب على الخصم وتقويل له مالم يقل به وان لزمه فلم يحصل على غير التناقض فقط والتناقض ليس كفرا بل قد احسن اذ فر من الكفر وايضا فانه ليس للناس قول الا ومخالف ذلك القول يلزم خصمه الكفر فى فساد قوله وطرده فالمعتزلة تنسب الينا تجويز الله عز وجل وتشبيهه بخلقه ونحن ننسب اليهم مثل ذلك سواء بسواء ونلزمهم أيضا تعجيز الله عزوجل وانهم يزعمون انهم يخلقون كخلقه وان له شركاء فى الخلق وانهم مستغنون عن الله عزوجل ومن أثبت الصفات يسمي من نفاها باقية لانهم قالوا تعبدون غير الله تعالى لان الله تعالى له صفات وأنتم تعبدون من لا صفة له ومن نفى الصفات يقول لمن أثبتها انتم تجعلون مع الله عزوجل أشياء لم تزل وتشركون به غيره وتعبدون غير الله لان الله تعالى لا أحد معه ولا شيء معه فى الازل وأنتم تعبدون شيئا من جملة أشياء لم تزل وهكذا فى كل ما اختلف فيه حتى فى السكون والجزء وحتى فى مسائل الاحكام والعبادات فاصحاب القياس يدعون علينا خلاف الاجماع واصحابنا يثبتون عليهم خلاف الاجماع واحداث شرائع لم ياذن الله عزوجل بها وكل فرقة فهى تنتفى بما تسميها به الاخرى وتكفر من قال شيئا من ذلك فصح انه لا يكفر احد الا بنفس قوله ونص معتقده ولا ينتفع احد بان يعبر عن معتقده بلفظ يحسن به قبحه لكن المحكوم به هو مقتضى قوله فقط واما الاحاديث الواردة فى ان ترك الصلاة شرك فلا تصح من طريق الاسناد واما الاخبار التى فيها من قال لا إله الا الله دخل الجنة فقد جاءت احاديث اخر بزيادة على هذا الخبر لا يجوز ترك تلك الزيادة وهى قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى

ومؤدبى أفادنى العقل الذى به انطلقت الى ماليس فيه الكون والفساد وجلس الاسكندر يوما فلم يساله أحد حاجته فقال لاصحابه والله ماأعد هذا اليوم أيام من عمرى فى ملكي قيل ولم أيها الملك قال لان الملك لا يوجد التلذذ به الاعلي السائل بالجود وأغاثة الملهوف ومكافاة المحسن والابانالة الراغب واسعاف الطالب وكتب اليه ارسطوطاليس فى كلام طويل أجمع فى سياستك بين بدار لاحدة فيه وريث لا غفلة معه وأمزج كل شيء بشكله حتى تزداد قوة وعزة عن ضده حتى يتميز لك بصورته ومن وعدك من الخلف فانه شين وشب وعيدك بالعفو فانه زين وكن عبدا للحق فان عبد الحق حر وليكن وكذلك الاحسان الى جميع الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة فى موضعها وأظهر لاهلك أنك منهم ولاصحابك أنك بهم ولرعيتك أنك لم وتشاور الحكماء فى أن يسجدوا له اجلالا وتعظيما قال لا سجود لغير بارىء الكل بل يحق له السجود علي من كساه بهجة الفضائل وأغلظ له رجل من أهل

يقولوا لا إله الا الله وانى رسول الله ويؤمنوا بما ارسلت به فهذا هو الذى لا ايمان لاحد بدونه
(قال ابو محمد) واحتج بعض من يكفر من سب الصحابة رضي الله عنهم بقول الله عزوجل
*محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم . الى قوله . ليغيظ بهم الكفار :
قال فكل من أغاظه احد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر
(قال ابو محمد) وقد أخطا من حمل الآية على هذا لان الله عزوجل لم يقل قط ان كل من غاظه
واحد منهم فهو كافر وانما اخبر تعالى انه يغيظ بهم الكفار فقط ونعم هذا حق لا ينكره مسلم
وكل مسلم فهو يغيظ الكفار وايضا فانه لا يشك احد ذو حس سليم فى ان عليا قد غاظ معاوية
وان معاوية وعمرو بن العاص غاظا عليا وان عمار اغاظ ابا العادية وكلهم اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقد غاظ بعضهم بعضا فيلزم على هذا تكفير من ذكرنا وحاشى لله من هذا
(قال ابو محمد) ونقول لمن كفر انسانا بنفس مقالته دون ان تقوم عليه الحجة فيعاند رسول الله صلى
الله عليه وسلم ويجد فى نفسه الحرج مما أتى به اخبرنا هل ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا من الاسلام الذى يكفر من لم يقل به الا وقد بينه ودعا اليه الناس كافة فلا بد
من نعم ومن انكر هذا فهو كافر بلا خلاف فاذا اقر بذلك سئل هل جاء قط عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه لم يقبل ايمان اهل قرية او أهل محلة او انسان اتاه من حر او عبد او امرأة الا حتى يقر ان
الاستطاعة قبل الفعل او مع الفعل او ان القرآن مخلوق او ان الله تعالى يرى اولا يرى او ان له
سمعا او بصرا او حياة او غير ذلك من فضول المتكلمين التى اوقعها الشيطان بينهم ليوقع بينهم
العداوة والبغضاء فان ادعى ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يدع احدا يسلم الا حتى يوقفه على هذه
المعاني كان قد كذب باجماع المسلمين من أهل الارض وقال مايدري انه فيه كاذب وادعى ان جميع
الصحابة رضى الله عنهم تواطؤا على كتمان ذلك من فعله عليه السلام وهذا محال ممتنع فى الطبيعة
ثم فيه نسبة الكفر اليهم اذ كتموا ما لا يتم اسلام احد الا به وان قالوا انه صلى الله عليه وسلم لم يدع
قط احداً الى شىء من هذا ولكنه مودع فى القرآن وفى كلامه صلى الله عليه وسلم . قيل له صدقت
وقد صح بهذا انه لو كان جهل شىء من هذا كله كفر لما ضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان
ذلك للحر والعبد والحرة والامة ومن جوز هذا فقد قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ
كما امر وهذا كفر مجرد ممن أجازه فصح ضرورة ان الجهل بكل ذلك لا يضر شيئا وانما يلزم الكلام
منها اذا خاض فيها الناس فيلزم حينئذ بيان الحق من القرآن والسنة لقول الله عزوجل . كونوا
قوامين لله شهداء بالقسط . ولقول الله عزوجل . لتبيننه للناس ولا تكتمونه . فمن عند حينئذ
بعد بيان الحق فهو كافر لانه لم يحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سلم لما قضى به وقد صح عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا لم يعمل خيراً قط فلما حضره الموت قال لاهله اذا مت
فاحرقونى ثم ذروا رمادى فى يوم راح نصفه فى البحر ونصفه فى البر فوالله لئن قدر الله تعالى على
ليعذبنى عذابا لم يعذبه أحداً من خلقه وان الله عزوجل جمع رماده فاحياه وساله ما حملك على ذلك
قال خوفك يارب وان الله تعالى غفر له لهذا القول
(قال ابو محمد) فهذا انسان جهل الى ان مات ان الله عزوجل يقدر على جمع رماده واحيائه وقد
غفر له لاقراره وخوفه وجهله وقد قال بعض من يحرف الكلم عن مواضعه ان معنى لئن قدر الله
على انما هو لئن ضيق الله على كما قال تعالى . واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه .

اثينية فقام اليه بعض
قواده ليقابله بالواجب فقال
له الاسكندر دعه لا تحطه
الى دناءته ولكن ارفعه الى
شرفك وقال من كنت تحب
الحياة لاجله فلا تستعظم
الموت بسببه وقيل له ان
روشنك أمرأتك ابنت دارا
الملك وهى من أجمل
النساء فلو قربتها الى نفسك
قال أكره ان يقال غلب
الاسكندر دارا وغلبت
روشنك الاسكندر وقال
من الواجب على أهل الحكمة
أن يسرعوا الى قبول
اعتذار المذنبين وان يبطئوا
عن العقوبة وقال سلطان
العقل على باطن العاقل أشد
تحكما من سلطان السيف
على ظاهر الاحمق وقال
ليس الموت بالم للنفس بل
للجسد وقال الذى يريد
أن ينظر الى أفعال الله
مجردة فليعف عن الشهوات
وقال ان نظم جميع مافى
الارض شبيه بالنظم السماوى
لانها أمثال له بحق وقال
العقل لا يألم فى طلب معرفة
الاشياء بل الجسد يألم ويسام
وقال النظر فى المرآة يرى
رسم الوجه وفى أقاويل
الحكماء يرى رسم النفس
ووجدت فى عضده صحيفة
فيها قلة الاسترسال الى
الدنيا أسلم والاتكال على
القدر أروح وعند حسن

(قال أبو محمد) وهذا تاويل باطل لا يمكن لانه كان يكون معناه حينئذ لئن ضيق الله على ليضيقن على وايضا فلو كان هذا لما كان لامره بان يحرق ويذر رماده معنى ولا شك فى انه انما امر بذلك ليفلت من من عذاب الله تعالى

(قال أبو محمد) وابين من شيء فى هذا قول الله تعالى * واذقال الحواريون ياعيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء * الى قوله * ونعلم ان قد صدقتنا * فهؤلاء الحواريون الذين أثنى الله عزوجل عليهم قد قالوا بالجهل لعيسى عليه السلام هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء ولم يبطل بذلك ايمانهم وهذا ما لا مخلص منه وانما كانوا يكفرون لو قالوا ذلك بعد قيام الحجة وتبيينهم لها

(قال أبو محمد) وبرهان ضرورى لا خلاف فيه وهو ان الامة مجمعة كلها بلا خلاف من أحد منهم وهو ان كل من بدل آية من القرآن عامدا وهو يدرى انها فى المصاحف بخلاف ذلك واسقط كلمة عمداً كذلك او زاد فيها كلمة عامدا فانه كافر باجماع الامة كلها ثم ان المرء يخطىء فى التلاوة فيزيد كلمة وينقص اخرى ويبدل كلامه جاهلا مقدرا انه مصيب ويكابر فى ذلك ويناظر قبل ان يتبين له الحق ولا يكون بذلك عند أحد من الامة كافراً ولا فاسقا ولا آثما فاذا وقف على المصاحف أو أخبره بذلك من القراء من تقوم الحجة بخبره فان تمادى على خطاه فهو عند الامة كلها كافر بذلك لا محالة وهذا هو الحكم الجارى فى جميع الديانة

(قال ابو محمد) واحتج بعضهم بان قال الله تعالى * قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا *

(قال ابو محمد) وآخر هذه الآية مبطل لتأويلهم لان الله عزوجل وصل قوله يحسنون صنعا بقوله * أولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم واتخذوا آياتى ورسلى هزوا * فهذا يبين ان اول الآية فى الكفار المخالفين لديانة الاسلام جملة ثم نقول لهم لو نزلت هذه الآية فى المتأولين من جملة أهل الاسلام كما تزعمون لدخل فى جملتها كل متأول مخطىء فى تاويل فى فتيا لزمه تكفير جميع الصحابة رضى الله عنهم لانهم قد اختلفوا وبيقين ندرى ان كل امرء منهم فقد يصيب ويخطىء بل يلزمه تكفير جميع الامة لانهم كلهم لا بد من أن يصيب كل امرىء منهم ويخطىء بل يلزمه تكفير نفسه لانه لا بد لكل من تكلم فى شيء من الديانة من أن يرجع عن قول قاله الى قول آخر يتبين له انه اصح الا ان يكون مقلدا فهذه أسوأ لان التقليد خطا كله لا يصح ومن بلغ الى هاهنا فقد لاح غوامر قوله وبالله تعالى التوفيق وقد اقر عمر بن الخطاب رضى الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم انه لم يفهم آية الكلالة فما كفره بذلك ولا فسقه ولا اخبره انه آثم بذلك لكن أغلظ له فى كثرة تكراره السؤال عنها فقط وكذلك أخطا جماعة من الصحابة رضى الله عنهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الفتيا فبلغه عليه السلام ذلك فما كفر بذلك أحدا منهم ولا فسقه ولا جعله بذلك آثما لانه لم يعانده عليه السلام أحد منهم وهذا كفتيا ابي السنابل بن بعكك فى آخر الاجلين والذين افتوا على الزانى غير المحصن الرجم وقد تقصينا هذا فى كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام فى اصول الاحكام هذا وايضا فان الآية المذكورة

الظن تقر العين ولا ينفع مما هو واقع التوقى وأخذ يوما تفاحة فقال ما ألطف قبول هذه الهيولى الشخصية لصورتها وانفعالها لما تؤثر الطبيعة فيها من الاصباغ الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك دليل على ابداع مبدع الكل واله الكل ولو قيل ألطف منها قبول هذه النفس الانسانية لصورتها العقلية وانفعالها لما تؤثر النفس الكلى فيها من العلوم الروحانية من تركيب بسيط وبسيط مركب حسب تمثل العقل لها كل ذلك على ابداع مبدع الكل وساله اطوسايس الكلبى أن يعطيه ثلاث حبات فقال الاسكندر ليس هذه عطية ملك فقال الكلبى اعطنى مائة رطل من الذهب فقال ولا هذا مسئلة كلبى وقال بعضهم كنا عند شبر المنجم اذا وصل الينا انهاء الملك واقامنا فى جوف الليل وأدخلنا بستانا ليرينا النجوم فجعل شبر يشير اليها بيده ويسير حتى سقط فى بئر فقال من تعاطى علم ما فوقه فلا يجهل ما تحته وقال السعيد من لا يعرفنا

لاتخرج على قول احدممن خالفنا الابحذف وذلك أنهم يقولون ان الذين في قوله تعالى الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا هو خبرا ابتداء مضمر ولايكون ذلك الابحذف الابتداء كانه قال هم الذين ولايجوز لاحد ان يقول في القرآن حذفا الا بنص آخر جلي يوجب ذلك أو اجماع على ذلك أو ضرورة حس فبطل قولهم وصار دعوى بلا دليل وأما نحن فان لفظة الذين عندنا على موضوعها دون حذف وهو نعت للاخسرين ويكون خبراً لابتداء قوله تعالى أولئك الذين كفروا وكذلك قوله تعالى * ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون . فنعم هذه صفة القوم الذين وصفهم الله تعالى بهذا في أول الآية وردا الضمير اليهم وهم الكفار بنص أول الآية وقال قائلهم أيضا فاذا عذرتم للمجتهدين اذا أخطؤا فاعذروا اليهود والنصارى والمجوس وسائر الملل فانهم أيضا يجتهدون قاصدون الخير فجوابنا والله تعالى التوفيق اننا لم نعذر من عذرنا بآرائنا ولا كفرنا من كفرنا بظننا وهوانا وهذه خطة لم يؤتها الله عز وجل أحدا دونه ولايدخل الجنة والنار أحدا بل الله تعالى يدخلها من شاء فنحن لانسمي بالايمان الا من سماه الله تعالى به كل ذلك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ولايختلف اثنان من أهل الارض لانقول من المسلمين بل من كل ملة في ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع بالكفر على أهل كل ملة غير الاسلام الذين تبرأ أهله من كل ملة حاشي التي اتاهم بها عليه السلام فقط فوقفنا عند ذلك ولايختلف أيضا اثنان في انه عليه السلام قطع باسم الايمان على كل من اتبعه وصدق بكل ماجاء به وتبرأ من كل دين سوي ذلك فوقفنا أيضا عند ذلك ولامزيد فمن جاء نص في اخراجه عن الاسلام بعد حصول اسم الاسلام له اخرجناه منه سواء أجمع على خروجه منه اولم يجمع وكذلك من أجمع اهل الاسلام على خروجه عن الاسلام فواجب اتباع الاجماع في ذلك واما من لانص في خروجه عن الاسلام بعد حصول الاسلام له ولا اجماع في خروجه ايضا عنه فلا يجوز اخراجه عما قدصح يقينا حصوله فيه وقدنص الله تعالى على ماقلنا فقال * ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . وقال تعالى . ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا * وقال تعالى . قل أبالله وآياته ورسله كنتم تستهزؤون لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم * فهولاء كلهم كفار بالنص وصح الاجماع على ان كل من جحد شيئا صح عندنا بالاجماع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى به فقد كفر وصح بالنص ان كل من استهزأ بالله تعالى او بملك من الملائكة اوبنبي من الانبياء عليهم السلام اوبآية من القرآن اوبفريضة من فرائض الدين فهى كلها آيات الله تعالى بعد بلوغ الحجة اليه فهو كافر ومن قال بنبي بعد النبي عليه الصلاة والسلام او جحد شيئا صح عنده بان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فهو كافر لانه لم يحكم النبي صلي الله عليه وسلم فيما شجر بينه وبين خصمه

(قال ابو محمد) وقد شقق اصحاب الكلام فقالوا ماتقولون فيمن قال له النبي صلى الله عليه وسلم قم صل فقال لاافعل اوقال له النبي صلى الله عليه وسلم ناولني ذلك السيف ادفع به عن نفسي فقال له لاافعل

(قال ابوا محمد) وهذا امر قد كفوا وقوعه ولافضول اعظم من فضول من اشتغل بشيء

ولانعرفه لانا اذا عرفناه أطلنا يومه وأطرنا نومه وقال استقلال كثير ماتعطي واستكثر قليل ماتاخذ فان قرة عين الكريم فيما يعطى ومسرة اللئيم فيما ياخذ ولا تجعل الشحيح أمينا ولا الكذاب صفيا فانه لا عفة مع شح ولا أمانة مع كذب وقال الظفر بالحزم والحزم باجالة الرأى واجالة الرأى بتحصين الاسرار ولما توفى الاسكندر برومية المدائن وضعوه في تابوت من ذهب وحملوه الى الاسكندرية وكان قد عاش اثنين وثلاثين سنة وملك اثني عشرة سنة وندبه جماعة من الحكماء الندبة فقال بليموس هذا يوم عظيم العبرة أقبل من شره ماكان مدبرا وادبر من خيره ماكان مقبلا فمن كان باكيا على من قد زال ملكه فليبكه وقال ميلاطوس خرجنا الى الدنيا جاهلين وأقمنا فيها غافلين وفارقناها كارهين وقال زينون الاصغر ياعظيم الشان ماكنت الا ظل سحاب اضمحل فلما أضل فما نحس لملكك أثرا ولا نعرف له خبرا قال افلاطن الثاني أيها ساعى المتعصب جمعت ماخذلك ماتولى عنك

قد أيقن انه لايكون ابدا ولكن الذى كان ووقع فاننا نتكلم فيه ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(قال ابو محمد) قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم افضل أهل الارض وهم هل الحديبية بان يحلقوا وينحروا فتوقفوا حتى أمرهم ثلاثا وغضب عليه السلام وشكا ذلك الى ام سلمة فما كفروا بذلك ولكن كانت معصية تداركهم الله بالتوبة منها وما قال مسلم قط انهم كفروا بذلك لانهم لم يعاندوه ولا كذبوه وقد قال سعد بن عبادة والله يارسول الله لاز وجدت لكاع يتفخذها رجل ادعهما حتى آتي باربعة شهداء قال نعم قال اذن والله يقضي اربه والله لاجللنهما بالسيف فلم يكن بذلك كافراً اذلم يكن عانداً ولا مكذبا بل أقر انه يدري ان الله تعالى امر بخلاف ذلك وسألوا ايضا عما قال انا ادري ان الحج الى مكا فرض ولكن لا ادري اهي بالحجاز ام بخراسان ام بالاندلس وأنا ادري ان الخنزير حرام ولكن لا ادرى اهو هذا الموصوف الاقرن ام الذى يحرث به

(قال ابو محمد) وجوابنا هو ان من قال هذا فان كان جاهلا علم ولا شيء عليه فان المشبين لا يعرفون هذا اذا أسلمو حتى يعلموا وان كان عالما فهو عابث مستهزيء بآيات الله تعالى فهو كافر مرتد حلال الدم والمال ومن قذف عائشة رضي الله عنها فهو كافر لتكذيبه القرآن وقد قذفها مسطح وحمنة فلم يكفرا لانهما لم يكونا حينئذ مكذبين لله تعالى ولو قذفاها بعد نزول الآية لكفر واما من سب احداً من الصحابة رضى الله عنهم فان كان جاهلا فمعذور وان قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنى وسرق وان عاند الله تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم عن حاطب وحاطب مهاجر بدرى دعني اضرب عنق هذا المنافق فاكان عمر بتكفيره حاطبا كافرا بل كان مخطئا متاولا وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آية النفاق بغض الانصار وقال لعلي لا يبغضك الامنافق

(قال ابو محمد) ومن أبغض الانصار لاجل نصرتهم للنبي صلى الله عليه وسلم فهو كافر لانه وجد الحرج في نفسه مما قد قضى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من اظهار الايمان بايديهم ومن عادى عليا لمثل ذلك فهو ايضا كافر وكذلك من عادى من ينصر الاسلام لاجل نصرة الاسلام لا لغير ذلك وقد فرق بعضهم بين الاختلاف في الفتيا والاختلاف في الاعتقاد بان قال قد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الفتيا فلم يكفر بعضهم بعضا ولا فسق بعضهم بعضا

(قال ابو محمد) وهذا ليس بشيء فقد حدث انكار القدر في أيامهم فما كفرهم اكثر الصحابة رضى الله عنهم وقد اختلفوا في الفتيا واقتتلوا على ذلك وسفكت الدماء كاختلافهم في تقديم بيعة على علي النظر في قتلة عثمان رضى الله عنهم وقد قال ابن عباس رضي الله عنه من شاء باهلته عند الحجر الاسود ان الذى احصى رمل عالج لم يجعل في فريضة واحدة نصفا ونصفا وثلثا

(قال أبو محمد) وهنا اقوال غريبة جدا فاسدة منها ان اقواما من الخوارج قالوا كل معصية فيها حد فليست كفرا وكل معصية لا حد فيها فهي كفر

(قال أبو محمد) وهذا تحكم بلا برهان ودعوى بلا دليل وما كان هكذا فهو باطل قال تعالى *

فلزمتك أوزاره وعاد على غيرك مهناه وثماره وقال فوطس ألا تتعجبوا ممن لم يعظنا اختيارا حق وعظنا بنفسه اضطرارا وقال مطور قد كنا بالامس نقدر على الاستماع ولا نقدر على القول واليوم نقدر على القول فهل نقدر على الاستماع وقال ثاون انظروا الى حلم النائم كيف انقضي والى ظل الغمام كيف انجلي وقال سوس كم قد أمات هذا الشخص لئلا يموت فمات فكيف لم يدفع الموت عن نفسه بالموت وقال حكيم طوى الارض العريضة فلم يقنع حتى طوي منها في زراعين وقال آخر ماسافر الاسكندر سفرا بلا اعوان ولا آلة ولا عدة الا سفره هذا وقال آخر ما ارغبنا فيما فارقت واغفلنا عما عاينت وقال آخر لم يؤدبنا بكلامه كما ادبنا بسكوته وقال آخر من ير هذا الشخص فليتق وليعلم ان الدنيا هكذا قضاؤها وقال آخر قد كان بالامس طلعته علينا حياة واليوم النظر اليه سقم وقال آخر قد كان يسال عما قبله ولا يسال عما بعده وقال آخر من شدة حرصه على الارتفاع انحط وكله قال آخر الآن يضطرب

قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على قوله فليس صادقا فيه

(قال أبو محمد) فصح بما قلنا ان كل من كان على غير الاسلام وقد بلغه امر الاسلام فهو كافر ومن تأول من أهل الاسلام فاخطا فان كان لم تقم عليه الحجة ولا تبين له الحق فهو معذور ماجور اجرا واحدا لطلبه الحق وقصده اليه مغفور له خطؤه اذ لم يتعمده لقول الله تعالى * وليس عليكم جناح فيما أخطاتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم * وان كان مصيبا فله اجران اجر لاصابته واجر آخر لطلبه اياه وان كان قد قامت الحجة عليه وتبين له الحق فعند عن الحق غير معارض له تعالى ولا لرسوله صلى الله عليه وسلم فهو فاسق لجراءته على الله تعالى باصراره على الامر الحرام فان عند عن الحق معارضا لله تعالى ولرسوله ﷺ فهو كافر مرتد حلال الدم والمال لا فرق فى هذه الاحكام بين الخطا فى الاعتقاد فى اي شيء كان من الشريعة وبين الخطا فى الفتيا فى اى شيء كان على ما بينا قبل

(قال ابو محمد) ونحن نختصر هاهنا ان شاء الله تعالى ونوضح كل ما اطلنا فيه قال تعالى . وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا . وقال تعالى . لانذركم به ومن بلغ . وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما . فهذه الآيات فيها بيان جميع هذا الباب فصح انه لا يكفر احد حتى يبلغه امر النبى صلى الله عليه وسلم فان بلغه فلم يؤمن به فهو كافر فان آمن به ثم اعتقد ماشاء الله ان يعتقده فى نحلة او فتيا او عمل ماشاء الله تعالى ان يعمله دون ان يبلغه فى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم حكم بخلاف ما اعتقد واو قال او عمل فلا شيء عليه اصلا حتى يبلغه فان بلغه وصح عنده فان خالفه مجتهدا فيما لم يبين له وجه الحق فى ذلك فهو مخطىء معذور ماجور مرة واحدة كما قال عليه السلام اذا اجتهد الحاكم فاصاب فله أجران وان أخطا فله أجر وكل معتقد او قائل او عامل فهو حاكم فى ذلك الشيء وان خالفه بعمله معاندا للحق معتقداً بخلاف ما عمل به فهو مؤمن فاسق وان خالفه معاندا بقوله او قلبه فهو كافر مشرك سواء ذلك فى المعتقدات والفتيا للنصوص التى اوردناو هو قول اسحاق بن راهويه وغيره وبه نقول وبالله تعالى التوفيق

(الكلام فى تعبد الملائكة)
(وتعبد الحور العين والخلق المستانف وهل يعصى ملك ام لا)

(قال ابو محمد) قد نص الله عزوجل على ان الملائكة متعبدون قال تعالى * ويفعلون مايؤمرون * ونص تعالى على انه امرهم بالسجود لآدم وقال تعالى * وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون * الى قوله . ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين . وقال تعالى ولله يسجد مافى السموات ومافى الارض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون .

(قال ابو محمد) فنص الله تعالى على انهم مامورون منهيون متوعدون مكرمون موعودون بايصال الكرامة ابدا مصرفون فى كتاب الاعمال وقبض الارواح واداء الرسالة الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام والتوكل بما فى العالم الاعلى والادنى وغير ذلك كما خالقهم عزوجل به عليم وقوله تعالى . انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين . فاخبر عز وجل ان جبريل عليه السلام مطاع فى السموات أمين هنالك فصح ان هنالك اوامر وتدبير

وأمانات

الاقاليم لان مسكنها قد سكن حكيم ديوجانس الكلبي وكان حكيما فاضلا متقشفا لا يقتنى شيئا ولا ياوى الى منزل وكان من قدرية الفلاسفة لما يوجد فى مدارج كلامه من الميل الى القدر قال ليس الله علة الشرور بل الله علة الخيرات والفضائل والجود والعقل جعله بين خلقه فمن كسبها وتمسك بها نالها لانه لا يدرك الخيرات الا بها ساله الاسكندر يوما فقال باى شيء يكتسب الثواب قال بافعال الخيرات وانك لتقدر ايها الملك ان تكتسب فى يوم واحد مالا يقدر عليه الرعية ان تكتسبه فى دهرها وساله عصبة من اهل الجهل ماغذاؤك قال ماعفتم يعنى الحكمة قالوا فما عفت قال ما استطبتم يعنى الجهل قالوا كم عبد لك قال اربابكم يعنى الغضب والشهوة والاخلاق الردية الناشئة منها قالوا فما اقبح صورتك قال لم املك الخلقة الذميمة فالام عليها ولا ملكتم الخلقة الحسنة فتحمدوا عليها واما ماصار فى ملكى واني عليه تدبيرى فقد استكملت ترتيبه وتحسينه بغاية الطوق وقاصية الجهد واستكملتم شيئين مافى ملككم قالوا فما الذى فى الملك

وامانات وطاعة ومراتب ونص تعالى على انهم كلهم معصومون بقوله عز وجل . عباد مكرمون لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون . وبقوله . ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لايفترون. وبقوله . فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون . فنص تعالى على انهم كلهم لايسأمون من العبادة ولا يفترون من التسبيح والطاعة لاساعة ولاوقتا ولايستحسرون من ذلك وهذا خبر عن التأييد لايستحيل ابدا ووجب انهم متنعمون بذلك مكرمون به مفضلون بتلك الحال وبالتذاذهم بذلك ونص تعالى على انهم كلهم معصومون قد حققت لهم ولاية ربهم عز وجل ابد الابد بلا نهاية فقال تعالى . من كان عدو الله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل فان الله عدو للكافرين * فكفر تعالى من عادى احدا منهم فان قال قائل كيف لايعصون والله تعالى يقول . ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم . قلنا انهم متوعدون على المعاصي لما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول له ربه عز وجل . لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين . وقد علم عز وجل انه عليه السلام لا يشرك ابدا وان الملائكة لا يقول احد منهم ابدا انى اله من دون الله وكذلك قوله تعالى . يانساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين . وهو تعالى قد برأهن وعلم انه لاياتي احد منهن بفاحشة ابداً بقوله تعالى * والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤن مما يقولون * لكن الله تعالى يقول ماشاء ويشرع ماشاء ويفعل ما يشاء ولا معقب لحكمه ولا يسال عما يفعل وهم يسالون فاخبر عز وجل بحكم هذه الامور لو كانت وقد علم انها لاتكون كما قال تعالى . لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ان كنا فاعلين. وكما قال . لو أراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء . وكما قال تعالى . ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه . وكما قال تعالى . قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا . وكل هذا قد علم الله تعالى انه لايكون أبدا وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل ان الملائكة مامورون لامنهيون قلنا هذا باطل لان كل مامور بشيء فهو منهي عن تركه وقوله تعالى * يخافون ربهم من فوقهم * يدل على أنهم منهيون عن أشياء يخافون من فعلها وقال عز وجل * ومانزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذن منظرين *

(قال أبو محمد) وهذا مبطل ظن من ظن ان هاروت وماروت كانا ملكين فعصيا بشرب الخمر والزنا والقتل وقد أعاذ الله عز وجل الملائكة من مثل هذه الصفة بما ذكرنا آنفا انهم لايعصون الله ويفعلون مايؤمرون وباخباره تعالى انهم لا يسامون ولا يفترون ولا يستحسرون عن طاعته عز وجل فوجب يقينا انه ليس في الملائكة البتة عاص لا بعمد ولا بخطا ولا بنسيان وقال عز وجل * جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع * فكل الملائكة رسل الله عز وجل بنص القرآن والرسل معصومون فصح ان هاروت وماروت المذكورين في القرآن لايخلو أمرهما من احد وجهين لاثالث لهما اما ان يكونا جنيين من احياء الجن كما روينا عن خالد بن ابي عمران وغيره وموضعهما حينئذ في الجو بدل من الشياطين كانه قال ولكن الشياطين كفروا هاروت وماروت ويكون الوقوف على قوله وما أنزل على الملكين ببابل ويتم الكلام هنا واما ان يكونا ملكين انزل الله عز وجل عليهما شريعة حق ثم مسخها فصارت كفرا كما فعل بشريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام فتمادى الشياطين على تعليمها

من التزيين والتهجين قال أما التزيين فعمارة الذهن بالحكمة وجلاء العقل بالادب وقمع الشهوة بالعفاف وردع الغضب بالحلم وقطع الحرص بالقنوع وإماتة الحسد بالزهد وتذليل المرح بالسكون ورياضة النفس حتى تصير مطية قدار تاضت فتصرفت حيث صرفها فأرسلها في طلب العليات وهجر الدنيات ومن التهجين تعطيل الذهن من الحكمة وتوسيخ العقل بضياع الادب واثارة الشهوة باتباع الهوى واضرا الغضب بالانتقام وامداد الحرص بالطلب وقدم اليه رجل طعاما وقال له استكثر منه فقال عليك بتقديم الاكل وعلينا باستعمال العدل وقال زمام العافية بيد البلاء ورأس السلامة تحت جناح العطب وباب الامن مستور بالخوف فلا تكونن في حال من هذه الثلاث غير متوقع لضدها وقيل له مالك لا تغضب قال أما غضب الانسانية فقد أغضبه وأما غضب البهيمية فاني تركته لترك الشهوة البهيمية واستدعاه الملك اسكندر الى مجلسه يوما فقال للرسول قل له ان الذي منعك من المصير الينا منعنا من المصير اليك

وهي بعد كفر كانه قال تعالى * ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل علي الملكين ببابل هاروت وماروت * ثم ذكر عز وجل ما كان يفعله ذلك الملكان فقال تعالى * وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق *

(قال ابو محمد) فقول الملكين انما نحن فتنة فلا تكفر قول صحيح ونهى عن المنكر واما الفتنة فقد تكون ضلالا وتكون هدي قال الله عز وجل حاكيا عن موسى عليه السلام انه قال لربه . اتهلكنا بما فعل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء * فصدق الله عز وجل قوله وصح ان يهدى بالفتنة من يشاء ويضل بها من يشاء وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة . وليس كل احد يضل بماله وولده فقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم أولاد ومال وكذلك لكثير من الرسل عليهم السلام وقال تعالى * وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا . وقال تعالى * وان لو استقاموا علي الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه . فهذه سقيا الماء التى هى جزاء علي الاستقامة قد سماها الله تعالى فتنة فصح ان من الفتنة خيرا وهدى ومنها ضلالا وكفرا والملكان المذكوران كذلك كانا فتنة يهتدى من اتبع امرهما فى ان لا يكفر ويضل من عصاهما فى ذلك وقوله تعالى * فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه . حق لان اتباع رسل الله عليهم الصلاة والسلام هذه صفتهم يؤمن الزوج فيفرق ايمانه بينه وبين امرأته التى لم تؤمن وتؤمن هى فيفرق ايمانها بينها وبين زوجها الذى لم يؤمن فى الدنيا والآخرة وفى الولاية ثم رجع تعالى الى الخبر عن الشياطين فقال عز وجل . وما هم بضارين به من احد الا باذن الله * وهذا حق لان الشياطين فى تعليمهم ما قد نسخه الله عز وجل وابطله ضارون من اذن الله تعالى باستضراره به وهكذا الى آخر الآية وما قال عز وجل قط ان هاروت وماروت علما سحرا ولا كفرا ولا انهما عصيا وانما ذكر ذلك فى خرافة موضوعة لا تصح من طريق الاسناد اصلا ولا هى ايضا مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي موقوفة علي من قال من دونه عليه السلام فسقط التعلق بها وصح ما قلناه والحمد لله رب العالمين وهذا التفسير الاخير هو نص الآية دون تكلف تأويل ولا تقديم ولا تاخير ولا زيادة فى الآية ولا نقص منها بل هو ظاهرها والحق المقطوع به عند الله تعالى يقينا وبالله تعالى التوفيق فان قيل كيف تصح هذه الترجمة او الاخرى وانتم تقولون ان الملائكة لا يمكن ان يراهم الا نبي وكذلك الشياطين ولا فرق فكيف تعلم الملائكة الناس أو كيف تعلم الجن الناس قلنا وبالله تعالى التوفيق اما الملائكة فيعلمون من أرسلوا اليه من الانبياء خاصة وينهونهم عن الكفر كما نهى النبي عليه الصلاة والسلام عن الكفر فى نص القرآن واما الشياطين فتعلم الناس بالوسوسة فى الصدور وتزيين الباطل او يتمثل فى صورة انسان كما تمثل يوم بدر فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم قال تعالى * واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص علي عقبيه وقال اني بريء منكم انى أرى ما لا ترون أني أخاف الله * واما الحور العين فنسوان مكرمات مخلوقات فى الجنة لاولياء الله عز وجل عاقلات مميزات مطيعات لله تعالى فى النعيم خلقن فيه ويخلدن بلا نهاية لا يعصين البتة والجنة اذا دخلها اهلها المخلدون فليست دار

بمنعك عنى استغناؤك بسلطانك ومنعى عنك استغنائى بقناعتى وعاتبته دالسة اليونانية بقبح الوجه وذمامة الصورة فقال منظر الرجل بعد المخبر ومخبر النساء بعد المنظر فخجلت وتابت ووقف عليه الاسكندر يوما فقال له ما تخافنى قال أنت خير أم شرير قال خير قال فالحق بى من الخير معنى بل يجب على رجاؤه وكان لاهل مدينة من يونان صاحب جيش جبان وطبيب لم يعالج أحدا الا قتله فظهر عليهم عدو ففزعوا اليه وقال اجعلوا طبيبكم صاحب لقاء العدو واجعلوا صاحب جيشكم طبيبكم وقال أعلم بانك ميت لا محالة فاجهد أن تكون حيا بعد موتك لئلا يكون لميتتك ميتة ثانية وقال كما أن الاجسام تعظم فى العين يوم الضباب كذلك تعظم الذنوب عند الانسان فى حال الغضب وسئل عن العشق فقال سوء اختيار صادف نفسا فارغة ورأى غلاما معه سراج فقال له تعلم من أين تجيء هذه النار قال له الغلام أن اخبرتنى الى أين تذهب أخبرتك من أين تجيء وأفحمه بعد ان لم يكن يقوى عليه أحد

معصية وكذلك اهل الجنة لايعصون فيها اصلا بل هم فى نعيم وحمدلله تعالى وذكر له والتذاذ باكل وشرب ولباس ووطء لايختلف فى ذلك من أهل الاسلام اثنان وبذلك جاء القرآن والحمدلله رب العالمين واما الولدان المخلدون فهم اولاد الناس الذين ماتوا قبل البلوغ كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يخلق خلقا يملأ الجنة بهم فنحن نقر بهذا ولا ندرى امتعبدون مطيعون أم مبتدئون في الجنة والله تعالى يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة واما الجن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليهم بدين الاسلام هذا مالاخلاف فيه بين احد من الامة فكافرهم في النار مع كافرنا واما مؤمنهم فقد اختلف الناس فيهم فقال ابو حنيفة لاثواب لهم وقال ابن ابي ليلي وابو يوسف وجمهور الناس انهم في الجنة وبهذا نقول لقول الله عز وجل * اعدت للمتقين * ولقوله تعالى حاكيا عنهم ومصدقا لمن قال ذلك منهم * وانا لما سمعنا الهدى منا به * وقوله تعالى حاكيا عنهم * قل أوحي الى انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به . وقوله تعالى . ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار . الى آخر السورة وهذه صفة تعم الجن والانس عموما لايجوز البتة ان يخص منها احد النوعين فيكون فاعل ذلك قائلا على الله مالا يعلم وهذا حرام ومن المحال الممتنع ان يكون الله تعالى يخبرنا بخبر عام وهو لايريد الا بعض ما اخبرنا به ثم لايبين ذلك لنا هذا هو ضد البيان الذى ضمنه الله عز وجل لنا فكيف وقد نص عز وجل على انهم آمنوا فوجب انهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة ولا بد

(قال ابو محمد) واذا الجن متعبدون فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست فذكر فيها انه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وكان من قبله من الانبياء انما يبعث الى قومه خاصة وقد نص عليه السلام علي انه بعث الى الجن وقال عز وجل . قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به . الى قوله تعالى . وانا معنا المسلمون ومنا القاسطون فمن اسلم فأولئك تحروا رشدا واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا . واذا الامر كما ذكرنا فلم يبعث الى الجن نبي من الانس البتة قبل محمد صلى الله عليه وسلم لانه ليس الجن من قوم انسي وباليقين ندري انهم قد انذروا فصح انهم جاءهم انبياء منهم قال تعالى * يامعشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم . و بالله تعالى التوفيق

(تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله هل تعصي الانبياء)

ورأى امرأة قد حملها الماء فقال على هذا المعنى جرى المثل دع الشر يغسله الشر ورأى امرأة تحمل نارا فقال نار على نار وحامل شر من محمول ورأى امرأة متزينة فى ملعب فقال لم تخرج لترى ولكن لترى ورأى نساء يتشاورن فقال هذا جرى المثل هو ذا الثعبان يستقرض من الافاعي سما ورأى جارية تعلم الكتابة فقال يسقى هذا السهم سما ليرمى به يوما (حكم الشيخ اليوناني) وله رموز وأمثال منها قوله ان امك روم لكنها فقيرة رعناء وان أباك لحدث لكنه جوا د مقدر يعني بالام الهيولى وبالاب الصورة وبالروم انقيادها وبالفقر احتياجها الي الصورة وبالرعونة قلة ثباتها علي ماتحصل عليه وما حداثة الصورة أى هي مشرقة لك بملابسة الهيولى وأما جودها أي النقص لايعتريها من قبل ذاتها فانها جواد لكن من قبل الهيولى فانها انما تقبل على تقدير هذا مافسر به رمزه ولغزه وحمل الام على الهيولى صحيح مطابق للمعنى وليس حمل الاب على الصورة بذلك الوضوح بل حملها على العقل الفعال الجواد الواهب للصور على

(فهرست الجزء الثالث من الفصل في الملل والنحل لابن حزم)

(فهرست الجزء الثالث من الملل والنحل للشهرستاني)

(تم الفهرست)